

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية - المكتبة - قسم الرسائل الجامعية

منهج الإمام محمد أبي زهرة في التفسير

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

نادية سليم أحمد الدريملي

مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة
الرقم العام : 0000411
الرقم الخاص : 12/227
التاريخ 2002-02-17

إشراف الدكتور

زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في قسم التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية
بغزة

العام الجامعي

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة نادية نلیم الدريملي المقدمة لكلية أصول الدين لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

منهج الإمام محمد أبي زهرة في التفسير

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 2001/9/19م الموافق 2 رجب 1422هـ — الساعة الواحدة بعد الظهر، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د.زهدي أبونعمة
د.عبدالرحمن الجمل
د.رياض قاسم
مشرفا ورئيسا
مناقشا داخليا
مناقشا داخليا

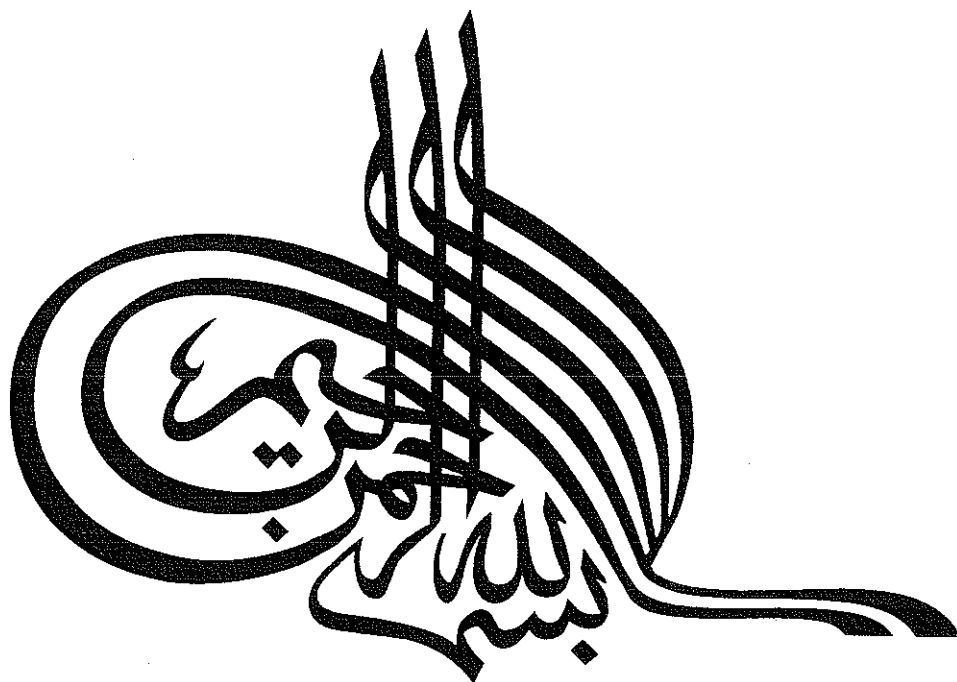
وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن.

والله ولي التوفيق ،،،

توقيع أعضاء اللجنة:

د.زهدي أبونعمة
د.عبدالرحمن الجمل
د.رياض قاسم

د.زهدي أبونعمة
د.عبدالرحمن الجمل
د.رياض قاسم



أهدى
إلى

إلى والديَّ اللذين رباني صغيراً .

إلى العاملين على خدمة كتاب الله ﷻ .

إلى محبي العلم في كل مكان .

إلى الشهداء في أرض الرباط .

أهدي إليهم ثمرة جهدي .

شكراً وأيقظاً

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، فإني أشكر الله عز وجل شكراً يوافي نعمه الذي وفقني على إتمام هذا البحث بعد رحلة عناء ومشقة فهو أهل للشكر والثناء وقد قال **وَكَلَّمَ** : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] .

وامثالاً لهدية **ﷺ** في قوله: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)^(١) فإني أقدم عظيم الشكر وأكرمه لأعظم الناس حقاً عليّ وأحبهم إليّ والديّ الكريمين أطال الله في عمريهما، وما أراني إلا عاجزة أمام برهما وعطفهما.

كما أقدم خالص شكري لإخواني جميعاً الذين ساعدوني في إتمام البحث على هذه الصورة. كما أقدم خالص شكري وعظيم امتناني وفاءً واحتراماً لصاحب الفضل الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله الذي تفضل برعاية هذا البحث وأمدني بنصائح وإرشادات قيمة. كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل، وفضيلة الدكتور: رياض قاسم حفظهما الله اللذان تفضلاً بقبول مناقشة هذا البحث، لإثرائه بملاحظتهما المفيدة .

كما أتقدم بالشكر إلى كلية أصول الدين متمثلة في أساتذتها الكرام، وأخص منهم أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل :الدكتور: سعد عاشور حفظه الله الذي ساعدني في اختيار موضوع البحث، وأمدني بما احتجت إليه من كتب ومجلات وإرشادات، مساهمة منه في إخراج هذا البحث في أحسن صورة .

وأتقدم بالشكر إلى دار الفكر العربي متمثلة بمديرتها الحاج عاطف الخضري، وإلى دار الكتب المصرية، وإلى مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية الذي ساعدني في تصوير بعض المجلات والرسائل العلمية.

ولا أنسى في هذا المقام الجامعة الإسلامية هذا الصرح التعليمي الذي كان وسيظل قلعة ومنارة للعلم من أجل هذا الوطن المعطاء.

وأخيراً أقدم خالص شكري إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا البحث .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (٣٣٩/٤)، (ح ١٩٥٤) قال عنه الترمذي (حسن صحيح)، دار إحياء التراث العربي.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلامُ على المعلم الأعظم سيد الخلق الذي أرسل للعالمين بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه الكتاب المبين حجةً باقية شامخة إلى يوم الدين، ورضي الله عن صحابته الأكرمين الذين بلغوا من بعده شريعة القرآن وبعد:

إن من أفضل العلوم وأعلاها قدراً، وأجلها نفعاً، وأكثرها بركة العلم بكتاب الله تعالى قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164] وقال ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)^(١) وقال أيضاً: (رُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)^(٢) وانطلاقاً من هذا الهدى المبارك انجذب علماء الإسلام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يومنا هذا للتعمق في معرفة أسرار القرآن الكريم، واستخراج كنوزه ودرره التي لا تغنى .

سعدت به الإنسانية فترة من أعظم فترات التاريخ حين تمسكت به وسارت على هديه، وتلقته بالقبول ففهمته وتدبرته حق تدبره من رسولنا عليه السلام وصحابته الكرام. وبعدهما انتشر الإسلام في بقاع الأرض دخل فيه كثير من الناس من ذوي اللغات والثقافات المختلفة، احتاج المسلمون إلى من يفسر لهم كتاب الله، ويبين لهم معانيه فظهرت التفاسير المتعددة التي تختلف تبعاً لاختلاف ميول وثقافة العصر واختلاف الأفهام في تفسيره ومغزى ألفاظه، مما أدى إلى تعدد مدارس التفسير، فظهر التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الفقهي، والتفسير اللغوي البياني، والتفسير العلمي، والتفسير الدعوي، والتفسير الإصلاحي الاجتماعي، مما يعكس اعتناء العلماء بالقرآن قديماً وحديثاً. ومن العلماء المعاصرين الذين تشرفوا بخدمة كتاب الله - ﷺ - في القرن الرابع

(١) فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكره عن بني إسرائيل، (٤٩٦/٦)، (ح ٣٤٦١) دار المعرفة - بيروت.

(٢) فتح الباري، كتاب العلم، باب قول النبي رب مبلغ أوعى من سامع (١/١٥٧). صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، (٦/٣، ١٣)، (ح ١٦٧٩) (بنحوه) دار إحياء السنة النبوية.

عشر الهجري عالم جليل كان شارة وأمارة على نضج العقلية الإسلامية، وقدرتها على العطاء، ويعد شواخ الفقهاء الإسلامي في العصر الحديث، شهد له علماء عصره بفقهاء وغزارة علمه، وكثرة إنتاجه المتميز من فقه، وتفسير وأصول، وعقائد وثقافة إسلامية. كان علماً شامخاً بين علماء عصره، قوي الحجة، ذواقاً لمعاني القرآن الكريم استوعب فكر المتقدمين، وأدرك حاجة عصره فأتى بتفسير يلائم حاجة هذا العصر وأسماء (زهرة التفاسير) وانتمى تفسيره إلى مدرسة التفسير الإصلاحي الاجتماعي ليضيف إلى هذه المدرسة تفسيراً جديداً ذلكم هو (الإمام محمد أبو زهرة) - طيب الله ثراه - عشت معه في هذا البحث أبين منهجه وطريقته في التفسير فألفيته مفسراً عميقاً، وفقهياً بارعاً، ومصلحاً اجتماعياً، وسياسياً محنكاً.

أولاً: أهمية الموضوع:

(زهرة التفاسير) من التفاسير المعاصرة التي أضفى عليه الإمام أبو زهرة من علمه وثقافته، وزيد تفكيره، وجاءت هذه الدراسة لتحدد المنهج العلمي الذي سار عليه في حين أنه اشتهر بين الأوساط العلمية بالفقه، وكان لا بد من إظهار دوره مفسراً.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١. التشرف بخدمة كتاب الله ﷻ.
٢. حداثة هذا التفسير الذي لم يطبع في كتاب مستقل حتى وقت كتابة هذه الحطة كان دافعاً لإبراز منهج الإمام أبي زهرة في تفسيره.
٣. الوقوف على فهم معاصر للتفسير.
٤. التشجيع الواضح من قبل أساتذتي الأفاضل الذين شجعوني للكتابة في منهج الإمام أبي زهرة واعتبروه جديراً بالبحث.
٥. حبي الشديد للبحث في مناهج المفسرين الذي تولد لدي من خلال دراسة مادة مناهج المفسرين، كان دافعاً للكتابة في هذا العلم.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

تعد الكتابة في (منهج الإمام أبي زهرة في التفسير) جديدة لم يتعرض لها أحد من الباحثين بالبحث والدراسة وقد تم معرفة ذلك بعد البحث والتحري، على الرغم من

وجود بعض الدراسات عن الإمام أبي زهرة لكنها لم تكن تفسيرية تخصصية بحثية، بل كانت في مجالات أخرى غير التفسير مثل:

١. دراسة تحت عنوان (الإمام محمد أبو زهرة حياته ودعوته) وهي رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب مقدمة من قبل الطالب: إبراهيم بن عبد العزيز النفيسة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦م).
٢. ودراسة تحت عنوان (جهود محمد أبو زهرة في الدعوة الإسلامية) وهو رسالة ماجستير للطالب: منجد السيد عبد الغني شادي، (جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، القاهرة).
٣. ودراسة ثالثة تحت عنوان (الإمام محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية) وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية مقدم من قبل الدكتور: سعد عبد الله عاشور (جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٧م).
٤. وأخيراً وجدت الباحثة دراسة تناولت حياة الإمام أبي زهرة ومنهجه في بحوثه وكتبه في (قسم اللغة العربية- كلية الآداب، جامعة عين شمس) وهي رسالة ماجستير للدكتور: ناصر محمود وهدان، طبعت عام (١٩٩٦م) وكانت تحت عنوان (أبو زهرة عالماً إسلامياً ومنهجه في بحوثه وكتبه). وبذلك يتضح أن منهجية الإمام أبي زهرة في التفسير غير مسبوقه بالبحث.

رابعاً: أهداف البحث:

١. إخراج تفسير الإمام أبي زهرة إلى النور وإبراز أهميته ومكانته بين التفسير الحديثة.
٢. إبراز معالم شخصية الإمام أبي زهرة التفسيرية، وبيان ما له وما عليه من خلال الدراسة المنهجية الاستقرائية لتفسيره.
٣. بيان منهجه في التفسير من أجل فتح آفاق جديدة أمام طلاب العلم.
٤. إثراء المكتبة الإسلامية التي هي بحاجة إلى كثير من الدراسات المنهجية في التفسير.

خامساً: منهجية البحث:

١. استقراء تفسير الإمام أبي زهرة.

٢. الوقوف على ملامح منهجية الإمام أبي زهرة، وتناول كل ملمح على حدة، مع ضرب الأمثلة والتعليق عليها إن احتاج الأمر، إما بالمناقشة أو الرد، أو استنباط الفوائد منها أو غير ذلك.
٣. الاستشهاد بأقوال العلماء والمفسرين إن احتاج الأمر.
٤. بيان الأسلوب الذي استخدمه المفسر، والرأي الذي اقتنع به واعتمده، والجديد الذي تميز به هذا التفسير.
٥. الاستعانة بمؤلفات ومقالات الإمام أبي زهرة لبيان آرائه التي تبناها في التفسير وعلوم القرآن.
٦. ضبط الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها وجعل التوثيق بجانب الآية.
٧. تخريج الأحاديث الواردة من كتب السنة مع بيان الحكم إن وجد حسب الأصول.
٨. بيان المفردات اللغوية التي تحتاج إلى بيان في الحاشية.
٩. الترجمة للأعلام، ولم يتم الترجمة للأعلام المعاصرين الذين لم أفهم على ترجمة لهم.
١٠. توثيق ما نقلته من نصوص من كتاب (زهرة التفاسير) في الأجزاء الثمانية الأولى من سورة البقرة إلى بعض الآيات من سورة الأعراف من مجلة لواء الإسلام، وذلك بذكر اسم التفسير والمجلة، والسنة، والعدد، ورقم الصفحة. وتوثيق النصف الثاني من التفسير من سورة الأعراف إلى نهاية سورة النمل بذكر اسم التفسير والسورة ورقم الآية.
١١. توثيق ما نقلته من نصوص فإذا تصرفت فيها اختصاراً قلت (انظر) وإذا كان التصرف قليلاً قلت (بتصرف).
١٢. وضعت ما اقتبسته من (زهرة التفاسير) أو غيره بين شولتين، وإذا مررت بآية زينتها بقوسين مزهرين، وإذا مررت بحديث وضعت له قوسين عاديين.
١٣. إذا مررت بمعلومة أو ترجمة سبق ذكرها أشير إلى أنه سبق ذكره موضحة رقم الصفحة.
١٤. عزو الشواهد الشعرية إلى أصحابها.
١٥. الاستعانة بالمصادر والمراجع الأصلية من كتب التراجم، والحديث، والتفسير وغيره.
١٦. ذيلت البحث بفهرس للآيات القرآنية رتبته حسب ورودها في المصحف مشيرة

إلى رقم الصفحة في الرسالة. وآخر: للأحاديث النبوية مرتبة حسب حروف الهجاء، ذاكرة رقم الصفحة. وثالث: للتراجم مرتبة حسب حروف الهجاء. ورابعًا: للمراجع والمصادر مرتبة حسب حروف الهجاء. وختمته: بفهرس الموضوعات مرتبة حسب ورودها في الرسالة، ثم قمت بعمل ملخص للرسالة باللغة العربية والإنجليزية.

*المصطلحات والرموز التي وردت في البحث:

١. بلفظه: بنفس ألفاظ الحديث.
٢. بمعناه: بمعنى الحديث.
٣. بنحوه: بتغيير بعض ألفاظ الحديث.
٤. الباقيون: باقي القراء، والقراء هم: نافع، ابن كثير، أبو عمر، ابن عامر، عاصم، حفص، الكسائي، فإذا ذكرت قراءة واحد أو اثنين منهم، وقيل قرأ الباقيون، فيعني هؤلاء القراء.
٥. ت : توفي.
٦. ج : جزء.
٧. ح : حديث.
٨. د : دكتور.
٩. ص : صفحه.
١٠. م : ميلادي.
١١. هـ: هجري.

سادسًا: الصعوبات التي واجهت الباحثة:

١. من أكثر الصعوبات التي واجهت الباحثة أثناء كتابة هذا البحث عدم وجود التفسير في كتاب مستقل يسهل الرجوع إليه فكان لا بد من جمع هذا التفسير، مما اضطرني إلى السفر إلى موطن الإمام الأصلي حتى أحصل على التفسير، فقامت بزيارة جامعة الأزهر كخطوة أولى كي أحصل عليه ولكنني فوجئت بعدم وجود التفسير نهائيًا في الجامعة، وعند مقابلي للمتخصصين في التفسير بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر بالقاهرة بدا الاستغراب لسماعهم عن وجود تفسير للإمام أبي زهرة وهنا وجهت لدار الكتب المصرية للتأكد من ذلك وبالفعل وجدت التفسير في بطون أعداد في مجلة (لواء

الإسلام) المصرية، وقمت بتصوير كم هائل من هذه الأوراق وتم تصوير تفسير سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنعام، المائدة، ومقتطفات من سورة الأعراف، لتفاجأ بعدم نشر الجزء المتبقي من التفسير، وبدأت معاناة الباحثة في البحث عن بقية التفسير فكان لا بد من البحث من جديد، ومن هنا كان لا بد لي من البحث عن أسرة الإمام أبي زهرة وعندما اهتديت إليها فوجئت بالمقابلة الغربية والرفض التام والمطلق من قبل ابنة الإمام أبي زهرة المخولة من قبل أسرتها لإتمام ما ترك من رصيد علمي من والدها دون طباعة فوجئت برفضها مساعدتي، بل رفضت مجرد الاطلاع عليه، ولكنها أشارت في معرض حديثها إلى أن التفسير تحت الطبع وأن المتعهد لطباعته دار الفكر العربي، ثم التقت الباحثة بالمسئول عن طبع الكتاب في هذه الدار وأكد لها ذلك. وجرى الإتفاق بين الباحثة والمسئول أن يرسل لها طبعة أولى من التفسير ولكن لأسباب خارجة عن إرادة الدار تأخر الانتهاء من طباعة التفسير مدة تتراوح ستة أشهر دون الحصول عليه مما استدعى الباحثة إلى السفر مرة ثانية إلى مصر، لتكتشف أن طباعة التفسير يحتاج إلى كثير من الوقت فرجعت رأساً إلى مدير الدار الحاج عاطف الخضري، وكم تأثرت بعظيم كرم وأخلاق مدير الدار وتعاونه الشديد مع طلاب العلم حيث تبنى الموضوع على عاتقه وعين موظفاً مسئولاً لمساعدتي في تصوير ما يلزمي من بقية التفسير والذي كان بعضه عبارة عن أصول بخط الإمام وبعضه الآخر مطبوعاً بخط الحاسوب، وبذلك حصلت على تفسير الإمام كاملاً وهو عشرون جزءاً من الآية أربع وتسعين ومائة من سورة البقرة حتى الآية الخامسة والسبعين من سورة النمل.

٢. صعوبة قراءة خط الإمام في الأصول.

٣. كثرة الأخطاء الطباعية والنحوية في تفسيره.

٤. كل سورة تم تفسيرها من قبل الإمام كانت تحمل رقمًا خاصًا بها سواء من الأصول أو من الحاسوب فكانت حيرتي في كيفية التوثيق فكان لا بد من معالجة التوثيق بطريقة خاصة كما هو موضح في منهجية الباحثة.

٥. التأخر في الحصول على بقية التفسير جعلني أعيد النظر في الفصول الأربعة الأولى التي انتهيت من كتابتها مخافة التناقض ومن أجل التنويع في الأمثلة.

٦. ندرة المراجع التي ترجمت للإمام والتي تم البحث عنها من خلال المكتبات المصرية والمعارض الدولية ولم أجد غير كتاب واحد إلى جانب كتاب آخر، فلجأت

إلى المجالات التي كتبت عنه.

٧. الشخصيات التي عاصرها الإمام وتم اثباتها في البحث من شيوخه وتلاميذه شخصيات معاصرة كان من الصعب في بعضها الحصول على ترجمة لهم.
٨. الأحاديث النبوية التي استشهد بها الإمام أبو زهرة كانت تحتاج إلى تخريج وكان بعضها من الصعب الوصول إلى مصدرها؛ لأنها أخذت من كتب الشروح وكتب أخرى غير كتب السنة.

سابعاً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد وسبعة فصول، وخاتمة.

-أما التمهيد: الإمام أبو زهرة عصره وحياته، تضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر الإمام ذكرت فيه الحالة السياسية، والاجتماعية، والإقتصادية، والعلمية والثقافية التي عايشها الإمام.

المبحث الثاني: حياته الشخصية تناولت فيه مولده، ونشأته، وصفاته وأخلاقه ووفاته.

المبحث الثالث: حياته العلمية، وفيه ستة مطالب: عرضت خلاله رحلته العلمية، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية بين أقرانه، وثناء العلماء عليه، وأثاره العلمية والتي منها ما هو مطبوع من خلال تخصصات مختلفة، إلى جانب بعض مقالاته في المجالات.

ثم بينت عقيدته، ومذهبه الفقهي، ثم اهتمامه بالتفسير وعلومه موضحة التفاسير التي شارك في إخراجها، واهتمامه بتفسير كتاب الله مضيئة الطريقة التي نُشر فيها تفسيره في مجلة لواء الإسلام.

-أما الفصل الأول: فقد أفردته لبيان المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره وضمن

مبحثان:

المبحث الأول: المصادر التي أحال إليها وتأثر بها، وفيه نماذج من الكتب المتنوعة من التفسير، والحديث والفقهاء، والعقيدة، والثقافة الإسلامية التي اعتمد عليها في تفسيره.

المبحث الثاني: المصادر التي نقل عنها ولم يحل إليها، ذكرت فيه بعض الأمثلة من التفسير نقل فيها عن كتب ولم يحل إليها.

-أما الفصل الثاني: منهج الإمام أبي زهرة في التفسير النقلي وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور وفيه ثلاث مطالب: بينت من خلالها تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
المبحث الثاني: اهتمامه بعلوم القرآن، ذكرت فيه بعض العلوم القرآنية التي استخدمها أثناء تفسيره وهي ثمانية مطالب: القراءات القرآنية، الحروف المقطعة، الناسخ والمنسوخ، أسباب النزول، المحكم والمتشابه، الإسرائيليات، علم المناسبات، المبهمات.

-**أما الفصل الثالث: منهجه في التفسير بالرأي** وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القضايا اللغوية عند الإمام أبي زهرة وفيه ثلاثة مطالب: عنايته ببيان معاني المفردات اللغوية واستقامتها، وعنايته بالنحو والإعراب واستشهاده بالشعر.

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند الإمام أبي زهرة ذكرت فيه ثلاثة أنواع من الإعجاز مدعمة بالأمثلة التي تكشف عن هذا الإعجاز وهذه المطالب هي:
 الإعجاز البياني، الإعجاز التشريعي، الإعجاز العلمي

-**أما الفصل الرابع: منهج الإمام أبي زهرة في عرض قضايا العقيدة**، تضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: اقراره لعقيدة التوحيد والدفاع عنها، ذكرت من خلاله أمثلة لعرضه للتوحيد بأنواعه الثلاثة، ووضحت طريقة الإمام في الدفاع عنه.
المبحث الثاني: موقفه من القضاء والقدر.

المبحث الثالث: منهجه في إقرار الغيبات من ملائكة، وجن، وحساب وعذاب.

المبحث الرابع: عرضه لعقيدة اليهود والنصارى ومناقشته لهما.

-**أما الفصل الخامس: منهجه في تفسير آيات الأحكام**، وقد حوى على تمهيد من التفسير الفقهي، وضمن مبحثان:

المبحث الأول: منهجه في استنباط الأحكام الفقهية.

المبحث الثاني: جوانب فقهية تعرض لها الإمام، شمل ثلاثة مطالب: جوانب فقهية برز فيها الإمام في العبادات، وأخرى في المعاملات، وثالثة في فقه الأحوال الفقهية.

-**أما الفصل السادس: قضايا الحكم والدولة في تفسير الإمام أبي زهرة**. وفيه

ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من الحكم.

المبحث الثاني: رأيه في الجهاد.

المبحث الثالث: رأيه في القوانين الوضعية.

-أما الفصل السابع: التفسير الإصلاحي الاجتماعي عند الإمام أبي زهرة وفيه

مبحثان:

المبحث الأول: التفسير الإصلاحي .

المبحث الثاني: التفسير الاجتماعي. بينت من خلاله اهتمامه بالمجتمع وبمشاكله المعاصرة،

والاهتمام بإصلاحه وإصلاح الأفراد بالرجوع إلى الدين.

المبحث الثالث: موقفه من دعاة الإصلاح الديني.

-أما الخاتمة: لخصت فيها أهم نتائج البحث موضحة ما للمفسر وما عليه، ثم ألحقته بأهم

التوصيات، واتبعت الخاتمة بخمس فهارس وهي:

١. فهرس الآيات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الأعلام المترجم لهم .

٤. فهرس المراجع والمصادر.

٥. فهرس الموضوعات.

ثم وضعت ملخصاً للبحث باللغة العربية والإنجليزية.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين.

مَهَيِّدٌ

أبو زهرة عصره وحياته

المبحث الأول: عصر الإمام أبي زهرة.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية، والاقتصادية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية.

المبحث الثاني: حياته الشخصية

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: صفاته وأخلاقه.

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثالث: حياته العلمية.

المطلب الأول: رحلته العلمية.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية.

المطلب الخامس: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب السادس: اهتمام الإمام أبي زهرة بالتفسير وعلوم القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهَيِّدٌ

أبو زهرة عصره وحياته

عصر المفسر وحياته من الأمور التي يجب معرفتها من جميع جوانبها؛ لأنها تشكل المحور الأساس الذي يساعد على نبوغه العلمي وإبراز مكانته العلمية بين علماء عصره وفيما يلي بيان لعصره وحياته تتناوله الباحثة في المباحث التالية .

المبحث الأول

عصر الإمام أبي زهرة

قبل الحديث عن حياته الشخصية والعلمية لا بد من بيان موجز عن البيئة التي عاش فيها والأحوال السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والعلمية والثقافية، التي أحاطت به واتخذ من خلالها مواقف جريئة.

المطلب الأول

الحالة السياسية

كانت مصر منذ القدم مطمعا للاستعمار، ذلك لما تتميز به من موقع استراتيجي من ناحية، وبما حباها الله من ثروات وهبات من ناحية أخرى؛ ونتيجة ذلك تنوعت الحقب السياسية في مصر تنوعاً كبيراً .

وبالفتح الإسلامي لها على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص في عام ٢٠هـ استعادت مصر مكانتها العالية، وعاشت حياة كريمة عزيزة، وظلت كغيرها من البلدان

الإسلامية تحت الخلافة الإسلامية قرونًا متعددة^(١)، ثم بدأ ولاية المسلمين بعد ذلك يبتعدون عن مبادئ الدين وتعاليمه، وبدأ الضعف يتسلل تدريجياً إلى مراكز الحكم، وأصبح هنالك خلافات وصراعات داخلية على الحكم مما أوجد فرصة للغرب للتدخل في شئون الحكم^(٢).

ثم بدأت أطماع الغرب تظهر، وأخذت تتذرع بالدين في طلب حماية الأقليات المسيحية وتثيّر الفتن التي لا تنقطع، فهم يخفون مطامعهم السياسية تحت ستار الدين^(٣). فاحتل الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨م، ولم يستمر هذا الاحتلال إلا ثلاث سنوات ومع ذلك فقد أحدث تأثيراً كبيراً في حياة مصر السياسية مما مهد لانتقالها إلى العصر الحديث، وتم جلاء الفرنسيين عن مصر بفضل الصراع الدولي على إخراجهم إلى جانب قوة الشعب المصري المؤيد لحقه الشرعي^(٤).

ثم عادت الفوضى والصراعات على الحكم، وكان ملك مصر فاروق في ذلك الوقت غارقاً في لهوه، باسطاً نفوذه، وفارضاً سيطرته كي لا يكون لأحد سواه كلمة، وأحزاب تتصارع على الحكم لا تبالي بالشعب إلا في وقت الانتخابات، ومجلس نيابي يُحلّ بأمر، ويُرجع بأخر لا يختلف عن أحزابه المتعددة، والشعب فقير بئس مسحوق بالحكم مستعبد من قبل مَلَاك الأرض، وبذلك تهيأت الظروف للتدخل العسكري البريطاني في شئون مصر^(٥).

وانتهزت بريطانيا فرصة الحرب العالمية الأولى وأعلنت حمايتها على مصر في (١٣٢٣هـ - ١٩١٤م) وبدأ الاحتلال يمارس سطوته وقسوته على الشعب هذا إلى جانب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السيئة التي تراكمت فترات طويلة،

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن الجوزي (٤/٢٩١)، دار الكتب العلمية. انظر: تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث، د. عبد العزيز سليمان نوار، ص ١٤، دار الفكر. وانظر: تاريخ مصر الحديث مع فذلكة منذ فجر تاريخ مصر القديم، جرجي زيدان (١١/٩٤) مكتبة مدبولي.

(٢) انظر مصر قبل عبد الناصر، د. عبد العظيم رمضان، ص ٣٣، الهيئة العامة للكتاب.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، (١/٣٧)، (بتصرف) مؤسسة الرسالة.

(٤) انظر: مصر المجاهدة في العصر الحديث، عبد الرحمن الراجعي، ص ١٥٠ وما بعدها، دار الهلال.

(٥) السّاريخ الإسلامي، محمود شاكر (١٣/١٠٠)، (بتصرف)، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة

وخصوصاً أثناء الحرب؛ ونتيجة ذلك انفجرت ثورة ١٩١٩م، فاضطرت إنجلترا إلى إسقاط حمايتها عن مصر، والاعتراف بها دولة مستقلة .

وبعد الحرب العالمية الثانية تفاقمت قضية فلسطين، وأعلن الصهاينة قيام دولتهم ١٩٤٨م، ودخل الجيش المصري إلى جانب الجيوش العربية الحرب لتصفية الخطر الصهيوني، ولكن الهزيمة لحقتهم بسبب عجز القيادة، وتفكك العرب، ومن هنا بدأت تنبت فكرة الثورة على النظام الملكي في رؤوس الضباط؛ مما أدى إلى قيام ثورة ٢٣/ يوليو / ١٩٥٢م، وعمل الجيش على قلب نظام الحكم^(١).

وبتنازل الملك فاروق عن العرش سقطت الملكية في مصر وانتهت رسمياً في ١٨ / يونيو/ ١٩٥٣م، وبذلك انتهى النظام الملكي وأعلن النظام الجمهوري^(٢) .

وكان الإمام أبو زهرة من أول المؤيدين لانتهاء النظام الملكي الذي هاجم سلبياته بصراحته المعهودة باعتباره السبب في إغلاق الفقهاء لباب الاجتهاد على أنفسهم خوفاً من استبداد الحكام، وصيانة لشرع الله من أن يعبث به الملوك الذين استولوا على ملكهم بغير حق شرعي، ولا شبه شرعي، وحفظاً للخيرية الإسلامية، وقد أعلنها بكل صراحة وجرأة قائلاً: " أعلنوها جهيرة صريحة قوية، لا ملكية في الإسلام، لا ملكية في الإسلام، لا ملكية في الإسلام، لا ملكية في الإسلام، إن الشعوب الإسلامية ليست سلعاً تورث كما يورث المال، و﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] " ^(٣) .

وبانتهاء الاحتلال والنظام الملكي ظنَّ الشعب أنه حان الوقت الذي يرتاحون فيه من الظلم والتعذيب والسجون وحان الوقت ليتغير مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بوجود نظام جمهوري لكنهم سرعان ما أدركوا عكس ذلك.

حيث تولى رئاسة الجمهورية محمد نجيب قائد الثورة فقام جمال عبد الناصر وهو أحد رجال الثورة بمضايفة الرئيس، وأشاع بين رجال الثورة أن نهاية الثورة معناه

(١) مصر قبل عبد الناصر، ص ٤١، ٤٢ .

(٢) فاروق وسقوط الملكية في مصر، د. لطيفة محمد سالم، ص ١٠٢٠ (بتصرف)، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٣) انظر: الملتي السابع للتعرف على الفكر الإسلامي بالجزائر، عنوان الندوة (روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي) الإمام أبو زهرة (١/ ٣٣١، ٤٤٠، ٤٤٢) (جمادى الثانية ١٣٩٣هـ، يوليو ١٩٧٣ م) منشورات وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية.

سوق عدد من ضباط الثورة إلى السجن فخشي عدد منهم ورغبوا في استمرارية الحكم العسكري فجندهم للعمل على التخلص من أتباع محمد نجيب وإخراجهم من الجيش بأيّة وسيلة حيث قاموا بإلقاء المتفجرات في عدد من أحياء القاهرة، وروجوا أنّ سياسة اللين لن تؤدي إلا إلى خراب البلاد؛ لذلك يجب الضغط على الشعب، وإظهار قوة السلطة، فقاموا بعدة اعتداءات على محمد نجيب وصل بعضها إلى الضرب، والشتم أمام أنصاره ويطلب منهم تبليغه بذلك؛ وبسبب تلك الأحداث قدّم محمد نجيب استقالته .

وعين جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية في عام ١٩٥٥م، وبدا في عهده التسلط واضحاً، والاستبداد ظاهراً، وتركز الحكم في يد فرد، وتدور أجهزة الدولة في اتجاه شخص واحد هو جمال عبد الناصر، وظهرت الإجراءات الاستبدادية بشكل قوانين جائرة تفوح منها روائح الحقد والتشفي، وما كانت في المنطقة حرب إلا وزجّ قبلها العلماء، ورجال الحركات الإسلامية في السجون وفي نفس الوقت كان يطلق العنان للمفسدين، والشيوخيين بالحرية والنشاط وبت أفكارهم، وقامت الحكومة بإجراء المحاكمات الظالمة واستخدمت أسلحة وسائل التعذيب في السجون، وحكم على مجموعة من صفوة العلماء بالإعدام كان في مقدمتهم الشهيد سيد قطب^(١) - رحمه الله - ونفذ فيهم الحكم رغم وساطات كثيرة من العالم الإسلامي، ومظاهرات تندد بالظلم والطغيان .

ثم توالى الهزائم على مصر في حرب ١٩٥٦م عند انسحابها من سيناء أمام هجوم اليهود بحجة عدم استعدادها لصد الهجوم و عدم توفر الوقود اللازم للطائرات وفي حرب اليمن ١٩٦٢م، وفي احتلال اليهود لشبه جزيرة سيناء ١٩٦٧م ، وانسحاب الجيش المصري مرتين أمام إسرائيل وتخليه عن سيناء، وخشي عبد الناصر من الضغط الشعبي مع أنه وصل إلى مرحلة يستطيع معها أن يحرك الشعب العربي وكثيراً من الشعوب الإسلامية التي تؤيد العرب من باب العاطفة الإسلامية إلا أنه خشي أن يهدم المجد الذي بناه لنفسه .

ورأت الولايات المتحدة أن جمال عبد الناصر قد استهلك ولم يعد منه فائدة وهو في الوقت نفسه لم يؤد مهمته إذ اقتصر على عدم تقوية الجيش المصري، وتفارقة صفوف الدول العربية، والعمل على إبراز منظمة التحرير الفلسطينية لتؤدي دورها في المستقبل نيابة عن الحكومات العربية؛ لذلك كانت ترى ضرورة استبداله بأخر يخطو

(١) انظر: الترجمة ص ٣٦ من البحث .

خطوة أوسع نحو إسرائيل فكان لا بد من التخلص منه بأيّة صورة، فوضع له الزئبق في الطعام وتم قتله (١).

ولم ينجُ الإمام أبي زهرة من أذى جمال عبد الناصر بسبب آرائه الجريئة في الدفاع عن الإسلام، فعاقبه بمنعه من إلقاء المحاضرات، ونشر مقالاته في المجلات، وفرض عليه إقامة جبرية في بيته (٢).

وخلف عبد الناصر أنور السادات سنة ١٩٧٠م، فعمل على إطلاق الحريات، وأفرج عن المعتقلين في السجون وجرى بعض الانفتاح للصحف، والمجلات وصرح بضرورة حرية الفكر والمناقشة بالحوار، وأن الحكومة لن تكون حكومة الرأي الواحد، ومن الاستبداد عدم سماع آراء غير أصحاب السلطة، وقد فعل ذلك خوفاً من تكوين جماعات سرية تعمل ضده .

واستطاع السادات أن يقوي مركزه ويثبت أعوانه في مراكز السلطة وأن يقلل من مكانة جمال عبد الناصر في النفوس وذلك بالقوة وإخافة الناس بالتجسس عليهم وارتكاب أشنع الجرائم بمخالفته، وصَبَّ عَدَاءه على منافسيه في حين ترك الذين يلعبون بشؤون الناس من المحتكرين وتجار المخدرات وغيرهم يمرحون كما يحلو لهم .

وقد حصل له شيء من التأييد بعد أن اعتقد الناس أنه حقق نصراً على العدو الإسرائيلي وذلك تحت تأثير وسائل الإعلام والشعب المصري عاطفي يتأثر بسرعة وبالإضافة إلى ما أعطي من حرية بالنسبة إلى سلفه .

أراد الرئيس التقرب من إسرائيل فكان لا بد من مقدمات فأظهر إخلاصه للبلاد وكان لديه الرغبة في وجود صراعات بين الفئات في الداخل ليتسنى له تحقيق ما يريد (٣). كان للإمام أبي زهرة مواقف سياسية في فترة حكم الرئيس أنور السادات حيث كان يشكو الرئيس منه في حياته وبعد مماته، ومن هذه المواقف أنه يرى أن الدين النصيحة، ولذلك أرسل له خطاباً يطلب منه أن يمنع زوجته جيهان السادات من التدخل في شئون الدولة، وخصوصاً قانون الأحوال الشخصية، وخشي الإمام أن يحيل المحيطين بالرئيس بينه وبين قراءة الخطاب، لذلك فقد قرأه أمام طلبته في كلية الحقوق بجامعة

(١) التاريخ الإسلامي (١١٣/١٣-١٧٤) .

(٢) انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، د. ناصر الدين وهدان، ص ٦٠، ٦١، شركة ناس للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي (١١٣ / ١٣ - ١٩٤) .

القاهرة وقت المحاضرة لأنه كان واثقاً من وجود أفراد المخابرات بين الطلاب ولا بد أنهم سيبلغون القصة إذا لم يكن قد قرأ الخطاب، وكان الرئيس يشتكي منه شكوى غير عادية، وقال أنه تسبب له بمتاعب سياسية خطيرة جداً بإصراره على مواقف معينة ترتبط بمشاكل المجتمع المصري بصفة خاصة والمجتمع العربي والإسلامي بصفة عامة (١) .

وفي عهد أنور السادات وبالتحديد في عام ١٩٧٤م توفي الإمام أبو زهرة رحمه الله رحمة واسعة .

وبما أن العالم ابن بيئته ومجتمعه، فقد تأثر الإمام أبو زهرة بالديئة التي عايشها، وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً في تفسيره خصوصاً عند تفسيره لآيات الحكم والسياسة، وسوف تتناول الباحثة الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل السادس (قضايا الحكم والدولة) في هذا البحث إن شاء الله تعالى .

(١) قم إسلامية أبو زهرة ورأي علماء العصر، أبو بكر عبد الرزاق، (٢/ ٣٨، ٣٩، ٩٦)، (بتصرف)، دار الاعتصام - القاهرة .

المطلب الثاني

الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية

أولاً: الجانب الاجتماعي :

اعتنى الإسلام بالمجتمع ووضع مقومات أساسية لإقامة أي مجتمع مسلم في أي مكان وزمان، ويعد الأفراد هم الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، فإذا صلح الأفراد صلح المجتمع لذلك اهتم الإسلام بتهديب أخلاق الأفراد .
قال ﷺ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢٠]. وقال: ﴿ كل معروف صدقه، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك ﴾ (١) .

والحالة الاجتماعية انعكاس طبيعي للحالة السياسية والاقتصادية؛ لأن كلاً منهما يرتبط بالآخر ويتردى الأوضاع السياسية التي تعج بالفوضى والاضطراب والصراعات الداخلية انغلق المجتمع المصري على نفسه محتفظاً بتنظيماته العائلية والقبلية، وبعاداته وتقاليدته ولم يُعن كثيراً بما يحدث في العالم فلم يكن هنالك تأثير، ولا تأثير (٢).
وبسوء الأوضاع الاقتصادية انتشرت الأمراض، ازداد عدد الوفيات؛ مما أدى إلى عدم توفر الأمن، وارتفاع نسبة الفقر بين السكان، وأصبح المجتمع المصري يخضع لنظام الطبقات وانقسم إلى طبقتين :

١. طبقة الأغنياء: وتضم الحكام والولاة والإقطاعيين، وهم من الأثراك وهمم الأول جمع الثروات .
١. طبقة عامة الشعب: وتضم رجال الدين، والصناع، والتجار، والفلاحين هؤلاء عليهم العبء الأكبر فهم يُجندون وعليهم دفع الضرائب، وهي طبقة مهضومة الجانب، ولا تحظى بعناية الفئة الحاكمة، وكثير منهم

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في طلاقة الوجه، (٣٤٧/٤)، (ح. ١٩٧٠)، قال عنه

الترمذي (حديث حسن) .

(٢) تاريخ العرب الحديث، د. جمال بيضون وآخرون، ص ٦٧، (بتصرف)، دار الأمل للطباعة الأولى

١٩٩٢ م . وانظر : تاريخ مصر الاجتماعي ، ص ٣٨٣ . وانظر: تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٧٣ .

من تمكنوا من جمع بعض الثروة ولكنهم كانوا عرضة للظلم والاستغلال والابتزاز من رجال الحكم .

ورجال الدين لهم احترام كبير من قبل الحكام لحاجتهم إليهم من وقت لآخر ولمساندتهم الفكرية والسياسية، وكذلك لهم احترام كبير من الأهالي؛ لأنهم يرفعون الظلم عنهم في كثير من الأحيان بوقوفهم إلى جانبهم، وتدخلهم لدى رجال الحكم^(١). وبوجود الاحتلال ازدادت الأوضاع سوءًا واستُعبد الشعب، وماتت فيهم الآمال وفقدوا الإرادة وتركوا أنفسهم للتيارات المعتزكة تقذف بهم حيث تريد؛ ونتيجة للاستسلام والجهل انتشرت الخرافات، والأمراض التي أخذت تفتك بهم^(٢) .

وبتردي الأوضاع الاجتماعية أطلقت حرية الصحافة للكلام عن عيوب المجتمع وآفاته ووسائل علاجه، فأدى ذلك إلى ظهور ثلاث طوائف للإصلاح وهم :

١. طائفة تدعو إلى الاحتفاظ بالتقاليد الإسلامية والشرقية دون تغيير .
٢. طائفة تدعو إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية وهم ممن فتنوا بها وعاشوا فيها، ونشأوا في مدارسها، واستمدوا مثلهم العليا من ثقافتهم التي لا تمت للإسلام بصلة وتدعو إلى أن الإسلام لا يصلح لتنظيم مجتمع جديد في القرن العشرين^(٣).
٣. طائفة تدعو إلى التوسط بين الاتجاهين فهي تحاول تقريب الحضارة الغربية إلى الإسلام حتى تواكب التقدم الحديث، وهذا أحدث معركة بين القدامى والمحدثين. ولجأ دعاة التجديد هؤلاء إلى الطريقة التقدمية المتبعة في أوروبا، ولم يكن هدفهم تصحيح أوضاع المسلمين بالرجوع إلى الإسلام، بل هدفهم إبعاد الدين عن الحياة، ولم يعد الدين في رأيهم سوى مسألة بين العبد وربّه جعلوا مهمة الدين تربية أخلاقية في الدرجة الأولى، وظهر من الأفكار التي يدافعون عنها مشكلة جديدة تواجه مصر ولأول مرة وهي لم تتخلص بعد من إرث تقاليد القديمة، ألا وهي مشكلة حرية التفكير^(٤).

(١) انظر: تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٣٨٣. وانظر: تاريخ العرب الحديث، ص ٦٧. وانظر: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، د. حلمي محروس إسماعيل، ص ٣٨ مؤسسة شباب الجامعة .

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية (١ / ٢٤٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (١ / ٢٥٤).

(٤) انظر: تطور مصر، مار سيل كولومب، ترجمة زهير الشايب، مراجعة د. أحمد مصطفى ص ١٥٧، ١٥٨ مكتبة مدبولي. وانظر: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، د. حسن محمود، ص ٣٥ دار الفكر.

وبذلك حدث تناقض في الحياة المصرية، ومن هنا بدأت الحضارة الغربية تغزو مصر بخيرها وشرها، فافتتحت السينما الأولى بالقاهرة ١٨٩٦م، وازدادت دور السينما والمسارح الليلية، وانتشرت أوراق اليانصيب، وامتألت صفحات المجلات في نقل أخبار الممثلين والممثلات، والمغنيين والمغنيات، وكثرت الترجمة للقصص الخليعة، والمذاهب الأدبية الهدامة والمعادية للإسلام، وافتتحت الخمارات في كل مكان، حتى تغلغت إلى الريف وإلى أحياء العمال، وافتتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة في كل العواصم، وتجراً الناس على فعل الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية التي لم يفهموا منها إلا أن يحل الناس أنفسهم من كل قيد، لا يبالون ديناً، ولا عرفاً، ولا مصلحة .

ثم اقتحم المستعمر بيوتهم باسم (تحرير المرأة) ومساواتها بالرجل، وكانت قضية المرأة من أهم الميادين التي اقتحمها، والذي كان له أثراً بعيداً في التغيير الاجتماعي، فالمرأة كانت من أبرز الموضوعات، وأكثرها إثارة للجدل ومن أهم ما ظهر في ذلك، كتابان لقاسم أمين^(١) الذي اقترن اسمه من بعد بمحرر المرأة وهما:

١. كتاب (تحرير المرأة) الذي طبع ونشر سنة ١٨٩٩م، وقد ذهب المؤلف في هذا

الكتاب إلى أن الحجاب ليس من الإسلام في شيء، وأن الشريعة كليات وحدود عامة ولو تعرضت لجزئيات لما أخذت صبغة الدوام في كل أمة في كل زمان، وأن الأحكام المبنية في المعاملات والعادات تتغير حسب أحوال الزمان والمجتمعات على ألا يخل بالشريعة في أي من أحكامها، وقد تناول المؤلف في كتابه أربع قضايا وهي: الحجاب، واشتغال المرأة في الشؤون العامة، والطلاق، وتعدد الزوجات وناقش هذه المسائل من زاوية المتأثر بالحضارة الغربية.

٢. كتاب (المرأة الجديدة) طبع و نشر سنة ١٩٠٠م، وهذا الكتاب كان أكثر

وضوحاً في الدعوة للأخذ بأساليب الحضارة الغربية وخاصة فيما يتعلق بما وصلت إليه المرأة الأوروبية وما حصلت عليه من حقوق^(٢).

وأثار ظهورهما ضجة شديدة ظلاً موضع أخذ ورد في الصحف طوال نصف قرن

(١) قاسم محمد أمين المصري، ولد عام ١٢٣٦هـ، كاتب باحث، اشتهر بمناصرتة للمرأة ودفاعه عن حريتها، كردي الأصل، درس الحقوق في فرنسا، عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف، توفي بالقاهرة عام ١٣٢٦هـ، له مؤلفات عديدة . انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، (١٨٤/٥)، (بتصرف)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .

(٢) الاتجاهات الوطنية (٢٩٣/١)، (١٩٦/٢)، (٢٤٨، ٢٤٩، ٣٤٩) .

وأخذت الأمور تتطور تطوراً سريعاً أكثر مما دعا إليه قاسم أمين، فقد فتح الباب لهذه الدعوة، فاستنفذت دعوته في وقت وجيز كل أغراضها حيث خلعت المرأة النقاب، واستبدلته بالملابس الملونة الضيقة القصيرة، وقطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي، واقتحمت الجامعة لتختلط بالرجل بعد أن كان لها مكاناً خاصاً بها، وزاحمت فيما يلائمها وما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، ولم تقف مطالبها عند حدّ الجري وراء ما أسماه أنصارها (حقوق المرأة) بل امتلأت المصانع، والمتاجر بالعمالات، واختفت المقاعد التي جرت العادة تخصيصها للنساء .

ويتسلل الحضارة الغربية إلى المجتمع المصري فقد الآباء سلطانهم على الأسرة بعد أن ضاعت صفة احترام الماضي، وإكرام الكبار، وانتشرت المخدرات انتشاراً مروعاً ينذر بالخطر الشديد، وقد تبين وقتذاك أن إنجلترا وفرنسا كانتا تصدران هذه المخدرات وظهرت مجلات أمثال: مجلة (الهلال)، ومجلة (السياسة الأسبوعية) التي تعرض المذاهب التي استخدمها مرضى النفوس، والهدامون من الغربيين في صورٍ جذابة تستهوي الشباب^(١)

يتضح من عرض ما سبق أن الإمام أبا زهرة عايش حياة اجتماعية، فيها ألوان شتى من الانحراف منها استبدال العادات الإسلامية بعادات غريبة تعمل على هدم الدين، وضرورة خروج المرأة للعمل ومساواتها بالرجل، والتخلي عن الحجاب، غير ذلك فنجم عن ذلك آثار خطيرة على الأسرة والمجتمع؛ لذلك فإن الإمام كثيراً ما يتعرض للحديث عن إصلاح المجتمع، وعلاجه بالرجوع إلى الإسلام في تفسيره .

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية (١/ ٢٦٦) . الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية، د. زكريا سليمان بيومي، ص ٢٩٢، (بتصرف) مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٩٩١م .

ثانياً : الجانب الاقتصادي:

سادت مصر في القرن التاسع عشر الميلادي أوضاع اقتصادية متردية للغاية؛ لأن الاقتصاد المصري كان اقتصاداً محلياً لا يرتبط بالاقتصاد العالمي بصلة قوية، فهو يعتمد على الزراعة نظراً لحالة العزلة التي فرضها الحكم العثماني على الشعب المصري، وكادت مصر أن تُقسم إلى وحدات اقتصادية يعتمد كل منها على نفسه، فحركة التبادل كانت تتم في أضيق الحدود، وأهل القرى كانوا يعتمدون على إنتاجهم في تدبير معاشهم فانكشيت تجارة مصر الخارجية، وأصبحت الصناعات منزلية صرفة، فقلَّ النقد المتداول، وضعف التمويل، وانعدم الاستثمار، وقلَّ الحافز إلى التغيير^(١).

ونظراً لوجود نظام الطبقات عملت الحكومة على القضاء على طبقة التجار والحرفيين؛ وبذلك مُنع ظهور وتطور الطبقة المتوسطة، وتحولت إلى طبقة من الأجراء، لم يتم التعاقد معهم على أساس التعاقد الحر، بل أتبع معهم نفس الوسائل التي استُخدمت للتجنيد في الخدمة العسكرية، وبالمقابل لا تدفع أجورهم بانتظام، ويحجز جانباً منه؛ وذلك لضمان استمرار الفرد، وغالباً ما يتلقون أجورهم عيناً^(٢).

وتبعاً لذلك فإن الاقتصاد المصري ستقل عن الأسواق العالمية، وعند ذلك أدركت الرأسمالية الخطر ورأت ضرورة الاستثمار في مصر وأخذت تتسلل بقوة، حيث وجدت الأسواق المصرية خالية تماماً، دون مواجهة من الطبقة المتوسطة، التي منعت من احتلال مكانها السياسي والاقتصادي لتواجه التغلغل الأوروبي الاستعماري؛ وبذلك فتح باب التدخل الأجنبي في الاقتصاد المصري، واهتم الأتراك بالأسواق الغربية مما فتح آفاقاً جديدة للتجارة زاد من اعتماد مصر عليها وجعلها سريعة التأثر بتقلبات الاقتصاد الأوروبي في شؤونها الداخلية، فزعمت الحكومة الأوروبية أن لها الحق في حماية مصالحها التجارية بمقتضى الامتيازات الأجنبية، واستنزف الأجانب خيرات مصر لصالحهم وجعلوها مزرعة للقطن بأرخص الأسعار، وأصبح الاقتصاد المصري يدور في فلك الاقتصاد العالمي دون أن يملك من زمام الأمور شيئاً^(٣).

(١) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ١٣٢ (بتصرف).

(٢) انظر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، ص ٢٧٣، دار المعرفة.

(٣) انظر: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية، د. أحمد الشربيني، ص ٢٤٥، الهيئة

العامية للكتاب. وانظر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص ٢٧١.

وبالتخلص من الاحتلال بدأت محاولات الإصلاح بالقضاء على الفساد، وبضبط مرافق البلاد الاقتصادية فنظمت جباية المال، وضبطت الحكومة الصناعات القائمة، وشرعت في احتكار التجارة الخارجية، فبدأت مرحلة الانقلاب الاقتصادي بالعمل على زيادة الإنتاج والتنمية الاقتصادية بتوسيع الرقعة الزراعية، وزراعة المحاصيل التجارية، وتحولت البلاد من النظام الزراعي الذي يقوم على الإنتاج المحلي إلى النظام الزراعي الذي يقوم على التخصص والإنتاج لأسواق أوسع نطاقاً من السوق المصري العام ثم الأسواق الخارجية .

ثم اتجهت الدولة إلى التصنيع، وأنشئت في القاهرة والإسكندرية وكثير من مدن الأقاليم مصانع كبيرة لغزل القطن ونسجه، وكذلك الحرير والكتان، ومصانع أخرى لإنتاج الأسلحة، ودور للصناعات البحرية، وامتد الإصلاح إلى التجارة، وربط الاقتصاد المصري بالاقتصاد العالمي^(١) .

أدرك الإمام أبو زهرة أن الحياة الاقتصادية ما هي إلا ثمرة الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية للأفراد، فقد شهد الإمام تدخل الاستعمار في اقتصاد بلاده، ونهب ثرواته، وما عاناه شعبه من مشكلات اقتصادية .

(١) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ١٣٣ (بتصرف) .

المطلب الثالث

الحالة الثقافية والعلمية

اعتمدت الحياة الثقافية والفكرية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي على الشريعة الإسلامية التي نظمت أحوال الناس الحياتية، إلا أن العلماء عاشوا حياة انطوائية مستقلة، بعيدة عن الإبداع والتفكير؛ بسبب سياسة العزلة التي اتبعها العثمانيون، فجمد البحث بسبب الركود المميت الذي أبعدهم عن حب البحث والاستقصاء، ولم تهتم الحكومة في هذه الفترة بالتعليم، فالمدارس كانت قليلة للغاية ولا توجد إلا في المدن، وتركز التعليم في الكتاتيب، والزوايا، والمساجد، واقتصر التعليم على حفظ القرآن الكريم وعلى القراءة والحساب وأهملت دراسة العلوم العصرية، ولم يُعطَ الشعبُ الفرصة الكافية للتعليم؛ مما أدى إلى انتشار الأمية والجهل وعلى الرغم من ذلك كانت هناك منارات علمية في العلوم الشرعية التي تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الإسلامي، كالجامع الأزهر الذي كان بمثابة التعليم الجامعي الآن والذي كان يغذي المساجد و الجوامع الأخرى بالأساتذة المؤهلين للتدريس والإفتاء والإمامة والخطابة .

وظهر في ذلك الوقت أفكار بعيدة عن الإسلام، كالتمسح بالقبور، والحجب والسحر والخرافات الدينية مما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية تعيد الناس إلى الإسلام الصحيح من خلال الكتاب والسنة (١) .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر طرأ تغيير على النواحي الثقافية والعلمية والاجتماعية وذلك بدخول الاحتلال الفرنسي الذي كان له الأثر في هذا التغيير، فقد أحضروا معهم عدداً من أعظم الخبراء في الرياضة، والفلك والجغرافيا والطب . . . الخ، وأعدّ لهم مكتبة زُوِّدت بالأجهزة العلمية المناسبة، غير أن المجتمع الإسلامي لم يكن بحاجة إلى اليقظة المفاجئة، إنما كان بحاجة إلى ملامعة وثيدة بين حسنات الغزو تراث الإسلام ، وأن يعطى من ثقافة الغرب و حضارته ما يلائم تفكيره و مستواه .

(١) تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٤، (بتصرف) . وانظر: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى الحرب العالمية الأولى ، ص ٣٨ . وانظر: تاريخ مصر الاجتماعي ، ص ٣٦٣ . وانظر: تاريخ وسياسات التعليم الحديث في مصر، د. شكري عباس حلمي، ود. إيهاب السيد إمام ، ص ١٠ ، وما بعدها، طبعة

وبالرغم من أن الاحتلال الفرنسي لم يَطلُ في مصر، ولم يستكمل محاولته للإصلاح، إلا أنه هز أعماق الشرق، وزلزل أفكار المعاصرين؛ وأدى إلى ظهور حركة إصلاحية من الداخل ذات صبغة شرعية مع عدم إهمال ثقافة الغرب .

كان من أهداف هذا الإصلاح إنشاء نظام تعليمي حديث، بحيث يترك الأزهر والمدارس الدينية على حالها، وينشئ مدارس تأخذ بالون الجديد فوضع أساس (ثنائية التعليم الديني، والمدني) وكان من الممكن أن تتبع هذه الإصلاحات في حجر الأزهر ولو كان ذلك لكان لنهضة المسلمين شأن آخر ولكن الحاكم في ذلك الوقت لم يكن يهدف من هذه الإصلاحات إلا تحقيق أطماعه الشخصية بأيسر الطرق فأنشئت المدارس الابتدائية، والثانوية، والفنية، كما أنشئت مدارس الطب وكان أساتذتها من الأطباء الفرنسيين، ثم أنشئت مدرسة التوليد، ومدرسة الصيدلة، ومدرسة البيطرة^(١)، ومدرسة الحقوق، ونشأ عقب ذلك مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢م لتُخرج أساتذة للغة العربية وكان طلابها من بين نجباء الأزهر، ثم افتتحت المدارس الصناعية، ومدارس الفنون، ثم المدارس الخصوصية من الابتدائية والثانوية^(٢).

وانتشرت الجمعيات العلمية، وتقدمت الطباعة، وكثرت الصحف والمجلات العربية والأجنبية، ونشطت حركة الترجمة والنشر، ونشط الأدب، والشعر، وظهرت طائفة من الشعراء بدا على شعرهم أسلوب العصر الحديث، أمثال رفاعة الطهطاوي^(٣)(٤). وأرسلت البعثات إلى الخارج؛ من أجل الالتحاق بالمعاهد الأوروبية ودراسة الطب، والإدارة والحقوق، والطبيعة والكيمياء وغير ذلك كثير .

(١) انظر : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر : تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تأليف: جورج يانج، ص ٣٩٥، مكتبة مدبولي. وانظر: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، محمد صبري، ص ١٣٢، مكتبة مدبولي .

(٣) رفاعة الطهطاوي: رفاعة بن بدوي بن رافع الطهطاوي، ولد ١٢١٦هـ من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث أوفد إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة وعندما عاد كان يحمل أفكار الغربيين فحارب الدين والأخلاق وأيد السفور والاختلاط ، ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية وترجم عن اللغة الفرنسية كتبًا كثيرة توفي في القاهرة عام ١٢٩٠هـ . انظر: الأعلام ، (٣ / ٢٩). وانظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (٤/ ١٦٨)، مكتبة المتنبى، ودار إحياء التراث العربي، لبنان.

(٤) انظر: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، د. محمد بديع شريف وآخرون، ص ٥٨٩، دار اقرأ.

وعندما عادت هذه البعثات التعليمية، وبعدها تشرب طلابها ثقافة الغرب وأفكاره، ظهرت بعض الدعوات مثل دعوة سلامة موسى^(١)، الذي نادى بإلغاء الدين من المدارس واعتبره معوقاً للحرية الفكرية حيث يقول: "نحن أحوج ما نكون لثقافة حرة متحررة من الفكر الديني وبحكم أن الدين ليس معارفاً؛ وإنما هو تربية للعواطف؛ لذلك يجب ألا تُعلم المدارس الحكومية ديناً معيناً، وتترك هذه المهمة للوالدين"^(٢).

وهذه الدعوة باطلة؛ فالدين ليس معوقاً للحرية الفكرية، ولا تقتصر مهمته على تربية العواطف، وهو فطرة في الإنسان يجب أن تقوى، ولا تقتصر هذه المهمة على الوالدين فقط، بل على البيت، والمدرسة، والشارع، ووسائل الإعلام.

وقد أثرت هذه البعثات على النهضة الوطنية والثقافية في مصر، وواكب تأثير هذه البعثات حركة الترجمة التي تتطلب جيلاً من المثقفين الذين يعرفون اللغة العربية، وغيرها من اللغات، ولم تقتصر هذه النهضة على النقل من التراث الغربي إنما امتدت لإحياء التراث القديم^(٣).

وشهد مطلع القرن العشرين حركة علمية فريدة نهضت بها مصر نهضة علمية واسعة، فقد كثر عدد المدارس وعدد الملتحقين بها، وتوالى افتتاح الجامعات والكليات الجامعية وغير الجامعية، والمعاهد العليا، والفنية التي يقبل بها، الحاصلون على الشهادة الثانوية، حيث تم افتتاح جامعة القاهرة عام ١٩٠٨م، وجامعة الإسكندرية عام ١٩٤٢م، وجامعة عين شمس عام ١٩٥٠م، وجامعة أسيوط عام ١٩٥٧م، كما تم تطوير الأزهر وأدخلت الكليات الأخرى إلى جانب الكليات الشرعية عام ١٩٦١م، وتم افتتاح جامعة طنطا عام ١٩٧٢م، وجامعة الزقازيق عام ١٩٧٤م.

ثم أنشئت المعاهد العليا للخدمة الاجتماعية، ومعاهد للدراسات التعاونية، ومعاهد للدراسات الإسلامية في ١٩٦٧م وهي تمنح درجتي الدبلوم، والماجستير.

واعتمدت الحكومة بتنظيم التعليم العالي الذي تعددت أنماطه وتوعدت سبله، فتم إنشاء

(١) سلامة موسى: كاتب صحفي باحث، ولد في الزقازيق بمصر عام ١٣٠٤ هـ تلقى ثقافته في أميركا وتأثر ببعض المفكرين أمثال: فرويد، داروين، وماركس، حرر في مجلة (الهلال) وله مؤلفات كثيرة منها: (أحلام الفلاسفة) توفي سنة ١٣٧٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين (٢٣٦/٢).

(٢) تاريخ سياسات التعليم في مصر، ص ١١٧.

(٣) انظر: معالم تاريخ مصر الحديث، د. شوقي الجمل، د. عبد الله إبراهيم، ص ١٦٢، دار الثقافة. وانظر: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ١٣٥.

وزارة مسـتقلة للتعليم العالي عام ١٩٦١م خضعت لها جميع المعاهد العليا، والكليات غير الجامعية؛ وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ التعليم العالي في مصر^(١).

وبما أن الإمام نشأ في بيئة ثرية علمياً وثقافياً، وقد شهد عصر النهضة الثقافية والعلمية في مصر، وشهد الانفتاح على علوم الدول الأخرى، فقد انعكس علمه وثقافته بشكل واضح على تفسيره .

بهذا أكون قد ألقيت الضوء على الأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، و الثقافية والعلمية التي سادت عصر الإمام أبي زهرة و التي كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته.

(١) انظر: الدليل العام للجامعات العربية، ص ١٩٧ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٩٨٨م . وانظر: التعليم الحديث، د. شبل بدران، ص ١٩٦، المكتبة التربوية.

المبحث الثاني

حياته الشخصية

لا بد من التعرف على حياة الإمام أبي زهرة الشخصية، والتعرف على البيئة الأسرية التي تربي فيها، وفيما يلي بيان لذلك.

المطلب الأول

اسمه، ومولده، ونشأته

أولاً: اسمه ومولده :

اسمه محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله أبو زهرة، ولد في عام ١٣١٦هـ، الموافق ٢٩/ مارس/ ١٨٩٨م في مدينة المحلة الكبرى^(١)، وسمي محمداً تيمناً باسم أفضل الخلق ﷺ من أسرة مصرية يطلق عليها اسم أبو زهرة واشتهر باسم أسرته وهي الكنية التي عرف بها^(٢).

ثانياً: نشأته:

نشأ الإمام أبو زهرة في بيت اشتهر بالعلم والذكاء، وفي أسرة متوسطة الحال بين الغنى والفقر، وإلى الفقر أقرب عرفت بالتدين والصلاح والعلم، ينتهي نسبها إلى الأشراف ولكنها لا تدعي ذلك، لعدم ثبوت النسب بشكل قطعي، وهي من أبرز عائلات المحلة

(١) المحلة الكبرى: إحدى مدن محافظة الغربية، وهي مدينة مشهورة في مصر، وهي عدة مواضع منها المحلة الكبرى (محلة شريقيون) وتتميز هذه المدينة بكثرة عدد السكان، وخصوصاً بعد إنشاء مصانع الغزل والنسيج فيها، وصارت المركز الرئيس لصناعة المنسوجات القطنية، يلتقي فيها كثير من طرق المواصلات. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٧٦/٥)، دار الكتب العلمية. وانظر: الموسوعة العربية الميسرة، (١٦٥٧/٢)، (بتصرف)، دار النهضة.

(٢) انظر: قم إسلامية، (٢٥/١). وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٠، ١١. وانظر: مجلة دراسات عربية وإسلامية، العدد ١١، السنة ١٤١٢هـ، ص ٧٥.

الكبرى في تلك الفترة^(١).

فَجَدُّهُ الشيخ مصطفى أبو زهرة الششتاوي^(٢) ممن عرف بالصلاح والتقوى وأثر عنه أنه من أولياء الله الصالحين؛ لعلمه الغزير، وإقامته الحلقات الدراسية بالمسجد لتفقيه أهل مدينة المحلة الكبرى والقرى المجاورة، وتحفيظهم القرآن، وله مسجد باسمه في المدينة وكان جريئاً في قول الحق، ويقف مع أهل بلده ضد ظلم القصر وأعدائه.

وأما والده أحمد أبو زهرة فهو ممن عرف بالتدين والتمسك بالأخلاق الكريمة، وأمه السيدة خضره كانت مثل زوجها تحفظ القرآن الكريم بل وترتله وتقرأه غيباً دائماً للشيخ محمد أبي زهرة، قبل أن يغيبه له الشيخ في الكتاب بالمحلة، وهو طفل صغير.

وقد نشأ الإمام بين ثلاثة إخوة، وأخوات ثلاث كان من بينهم العالم الدكتور: مصطفى أحمد أبو زهرة الشقيق الأكبر للإمام أبي زهرة مؤسس علم الطيران المدني في الجامعات المصرية^(٣).

امتاز الإمام عن باقي إخوته أنه اتجه للدراسات الدينية منذ نعومة أظفاره، وأنه الوحيد بين إخوانه وأخواته الذي حفظ القرآن الكريم وعمره في ذلك الوقت لم يتجاوز تسع سنوات بفضل ما منحه الله من ذاكرة قوية .

هذه هي البيئة التي تربي وترعرع فيها وحريراً بتلك البيئة الفياضة بالعطاء والتي تمتاز بنبوغه العلمي والفكري أن تكون سبباً في تشكيل شخصية الإمام أبي زهرة وصقل عقليته.

(١) انظر: قم إسلامية، (٢٥/١). وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٠، ١١. وانظر: مجلة دراسات عربية وإسلامية، العدد ١١، السنة ١٤١٢هـ، ص ٧٥.

(٢) الششتاوي: نسبة إلى شستا وهي بلدتهم الأصلية بمركز زفتى الغربية، بالرجوع إلى كتب البلدان لم تقف الباحثة على بيان لهذه البلدة لأنها معاصرة ولم تجد معلومات عنها إلا في قم إسلامية، (٢٤/١).

(٣) انظر: قم إسلامية (٢٤/١). وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١١، ١٢.

المطلب الثاني

صفاته وأخلاقه

الأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة، ولها تأثير كبير، على سلوك الإنسان وما يصدر عنه، وقد وضع الإسلام مقومات أساسية لهذه الأخلاق يصلح لإقامة مجتمع مسلم له دعائم من الفضيلة والمودة والتعاون على الخير .

ورسولنا ﷺ كان خير قدوة للمسلمين، وقد وصفه الله في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

ودعوة الرسول ﷺ تتضمن الدعوة إلى الأخلاق، وفي حديث عبد الله بن عمر إذ قال: لم يكن رسول الله فاحشاً، ولا متفحشاً وإنه كان يقول: (إن خياركم أحسنكم أخلاقاً)^(١) .

والإمام أبو زهرة تحلى بهذه الأخلاق والتي كانت عاملاً مؤثراً في دعوته للإسلام من خلال كتابات وخطبه، وأفعاله التي جمعت القلوب من حوله، ومن هذه الصفات :

(أ) غزارة علمه:

يعتبر الإمام أبي زهرة من شوامخ العلماء في العصر الحديث؛ لغزارة علمه، وكثرة مؤلفاته ومحاضراته متعددة الجوانب، وكان كثير النظر في العلم القديم والحديث على السواء، هذا إلى جانب عنايته بمجالس العلماء ومناقشتهم، والاختلاف مع كبار العلماء في عصره .

وقد وصفه علماء عصره بأنه غواص ماهر يغوص في بحر العلم الهائل، الزاخر باللائق فيأتي بكثير، والكثير الذي يعجز الكثيرون غيره عن الإتيان بمثله أو أقل منه"^(٢) .

وقد يجد الإنسان عالماً متبحراً في الفقه، وأصوله، أو أستاذاً في علوم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل،

(١٠/٤٥٦)، (ح ٦٠٣٥)، دار المعرفة .

(٢) انظر: قم إسلامية، (١/٤٥) .

القرآن وتفسيره، أو متخصصاً في مقارنة الأديان، أو متكلماً في علم الكلام والجدل، أو فيلسوفاً في المنطق والفلسفة، وإذا بحثنا عن وعاء جامع لكل هذه العلوم لعزّ ذلك، إلا أنّ شيخنا أبا زهرة قد جمع بين كل هذه العلوم والفنون، فقد كان خطيباً مصقّعا، وفتياً متمكناً، وأصولياً متعمقاً، لا ينشق له غبار، يقرع الحجة بالحجة، والمنطق بالمنطق، وإذا قرأ المرء تفسيره يجده بحراً زخاراً، ونبعاً فياضاً، ومن هنا كثر رواده وعظم قصاده^(١).

(ب) قوة حفظه وذاكرته :

تميز الإمام أبو زهرة عن علماء عصره بقوة حفظه وذاكرته، لدرجة غير معهودة، مما جعله في مصاف العلماء الأوائل الذين يتصفون بالحفاظ المتقنين، وهذه الصفة حباه الله بها، فقد كان يناقش رسائل الدكتوراه والماجستير من الذاكرة طوال أكثر من ساعتين دون أن يخطئ مرة واحدة، لا ينظر في كتاب ولا مفكرة، وإنما يقول للطالب: "قلت في صفحة كذا، سطر كذا، ما نصه كذا، نقلاً عن كتاب كذا، صفحة كذا، سطر كذا، طبعة كذا" وكان عندما يعترض الطالب مُبرراً وجهة نظره يحيله إلى أكثر من مرجع، محدداً الصفحة، والباب، والفصل، بل والسطر، وتاريخ الطبعة .

وكان - رحمه الله - إذا ذهب إلى مؤتمر، أو ندوة لا يحمل ورقاً، ولا قلماً، ولا بحثاً معداً، ولا موضوعاً معيناً يتحدث فيه، وكان يكفي أن يعرف موضوع الندوة، أو اسم المحاضرة .

وكان لا يقرأ الكتاب إلا مرة واحدة، ولا يهتم باقتناء الكتب بعد قراءتها؛ لأنه لا يحتاج للرجوع إليها مرة أخرى .

وكانت تجري على لسانه أحداث السياسة المصرية ووقائعها بنفس الدقة والغزارة التي تجري بها أحكام الشريعة الإسلامية ونصوصها حتى ظن تلاميذه أن هذه الأحداث مدونة، ولكن سرعان ما تأكدوا أنهم أمام عالم موسوعي فذ^(٢) .

(١) مجلة الأزهر، العدد ٨، مايو ١٩٨٤م، مقالة بعنوان (من أعلام الأزهر محمد أبو زهرة شيخ الفقهاء المعاصرين)، عبد المعز عبد الحميد الجزائر، ص ١٢٧٠، (بتصرف) .

(٢) انظر: قمم إسلامية (١/ ٤٦، ٤٧) . وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٢٣، (بتصرف) .

(ج) إخلاصه في طلب العلم :

كانت حياة الإمام أبي زهرة منذ صغره حياة جادة لا هزل فيها فما ماعت نفسه لشهوة جامحة، ولكن لجد في العمل، وكان جُلُّ همه في طلب العلم، ومعرفة الحقيقة الخالية من الشبهات، ومع ذلك لم يكن متعصباً لرأيه بل يدفعه الإخلاص للحق، فيفتح قلبه لغير رأيه، ويرى أن الخطأ يحتمل في رأيه متقبلاً الحقيقة بنفس راضية، وكان شديد الإعجاب بقول الإمام أبي حنيفة عندما سأله أحد تلاميذه فقال: " يا أبا حنيفة هذا الذي تعني به هو الحق الذي لا شك فيه ؟ قال: لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه" (١) .

وكما أنه مخلص في طلب العلم فهو كذلك مخلص في بذل وإعطاء العلم، فقد كان يكتب المقالات والمؤلفات الكثيرة، والمحاضرات التي يلقيها والتي كان يرفض فيها السكوت عن الظلم، وكذلك يرفض أن يأخذ على محاضراته العامة الكثيرة أجراً من المال وكان يقول لمن يدعوه إلى إلقاء محاضرة: "أنتم تقومون بعمل خيري وهذه مشاركة مني معكم في هذا الخير وأنتم أصحاب الفضل بهذا" (٢) .

وكان يرفض الاعتذار عن إلقاء محاضرة وهو في غاية التعب والإرهاق، ولم يكن يتخذ عمله من أجل الكسب المادي فقط، وإنما كان عمله قربة لله ﷻ . وقد رفض إعطاء الدروس الخصوصية للتلاميذ بشكل قاطع حين طلب منه أولياء الأمور فعل ذلك، وأقصى ما وافق عليه هو نقل التلميذ إلى الفصول التي يدرس بها . وكان أثناء تدريسه في المدارس الثانوية عند شعوره بعدم قدرته على تفهيم الطلبة كان يقوم بفكرة ما وهي أن يدرس الطلاب الإنشاء، والمطالعة، والمحفوظات، في درس واحد، فيأتي بالقطعة الأدبية ويقول: " لخصوا لي هذه القطعة فيستفيدوا منها إنشاءً، أو اشرح قصيدة في المحفوظات"، فيطالبهم باختيار أبلغ كلماتها ليستعملوه مرة واثنين، وفي النحو كان يلزم الطلبة بالإنصات المطلق وهو يراقبهم فمن تلفت يميناً أو يساراً يطالبه بإعادة الكلام الذي

(١) انظر: قم إسلامية، (٤٨/١، ٤٩) .

(٢) انظر: مجلة المجتمع، مقالة بعنوان (موت عالم، مع المرحوم العلامة فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة)

إبريل ١٩٧٤، العدد ١٩٧، ص ١٦ .

قاله^(١).

(د) الشجاعة في قول الحق :

شجاعة الإمام أبي زهرة شجاعة نادرة قلما نجد مثلها في عصرنا الحاضر، كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يقول الحق في كل مكان وعلى الملأ حتى لو كان أمام الحاكم، ومهما تكن آثارها، ومهما يكن تصادمها مع الحكم السائد في عصره مما جعل الحاكم يأخذ قراراً ضده بمنعه من التدريس بالأزهر، وكذلك منع من نشر أحاديثه التلفزيونية والإذاعية ولكن لم يوهن ذلك عزيمته، وانطلق ليؤدي رسالته من خلال المساجد، والنوادي الإسلامية، وقاعات المؤتمرات الدولية، وظل ينقد ويوجه ويحق الحق ويبطل الباطل رافضاً الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي بكل ألوانه ويبصر الأمة بما يراد به^(٢).

ومن المواقف الدالة على شجاعته في قول الحق حين دُعِيَ إلى مؤتمر إسلامي مع جماعة من كبار العلماء في العالم الإسلامي، وكان رئيس الدولة الداعية ذا صدى مسموع في الناس، وبطش متعسف في بلده، فافتتح المؤتمر بكلمة يعلن فيها ما يسميه (اشتراكية الإسلام) ويدعو العلماء المجتمعين إلى تأييد ما يذهب إليه أنه الحق الذي لا ثاني له، ونظر العلماء متحيرين ضائعين، ولكن الإمام أبا زهرة طلب أن يتكلم، واعتلى المنبر ليقول في شجاعة: " نحن علماء الإسلام الذين يعرفون حكم الله في قضايا الدولة، ومشكلات الناس، وقد جننا هنا لنصدع بما نعرف ، فعلى رؤساء الدول أن يقفوا عند حدودهم ،فَيَدْعُوا العلم إلى رجاله، ليصدعوا بكلمة الحق، وقد تفضلت بدعوة العلماء لتسمع أقوالهم لا لتعلق رأياً لا يجدونه صواباً مهما هتف به رئيس، فلننق الله في شرع الله ". ثم فزع الرئيس يطلب عالماً يخالف الإمام في منحاه فلم يجد أحداً يتفق معه، فأيد الحضور أبا زهرة وقضاً

(١) مجلة الهلال، مقالة بعنوان (تجربتي مع الحياة كان عملي قربة لله)، مارس ١٩٧٤م، العدد ٣

، للإمام محمد أبي زهرة، ص ٥٦، (بتصرف).

(٢) انظر: قمم إسلامية، (١/ ٤٩ ، ٧٦).

المؤتمر بعد الجلسة الأولى^(١).

(هـ) الصبر على الشدائد :

ابتلي الإمام أبو زهرة بسبب آرائه ومواقفه الصلبة من بعض القضايا التي تمس الإسلام مثل: الحرية ورفضه للشيوعية، والتي كان لها أثر سيئ على الحكام نتيجة لذلك؛ دخل في صراع حاد مع السلطة المصرية فقد فيه منصبه في معهد الدراسات الإسلامية الذي طرد منه، وشغل الإمام النظام المصري فراقبوا تحركاته واتصالاته البريدية والهاتفية وصدرت الأوامر باعتقاله في بيته لا يراه أحد، ولا يرى هو أحداً، ومنع من الاتصال بالصحف، وعن الكتابة في المجالات العلمية، ومن كل طرق الإعلام، وكان أكبر همّة أنه انقطع عن دروسه ومحاضراته العامة^(٢)، ولم يجد أنيساً لوحدته، غير القرآن وأفصح عما أصابه من ابتلاء في آخر مقدمة كتابه (المعجزة الكبرى) حيث قال: "لزمنا المرض المقعد نحو شهرين، فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكبر من ألم المرض الممض"^(٣)، ولقد منّ الله تعالى بالشفاء فخرجنا من الداء العقام^(٤)، وما منعتنا وعتاء المرض فعدنا إلى القرآن نقبس من نوره، ونعبق من عرفه، فهو أنس المستوحش، وسمير المستغرب، فأنسنا بعد طول غياب، ومنحنا الله تعالى به العافية"^(٥).

(و) الدعاية الهادفة :

كان الإمام أبو زهرة مع سعة علمه يميل إلى الدعاية و يُضمّن محاضراته، وندواته، وأحاديثه بعض الترويحيات من نكتة علمية، أو فكاهة أدبية، مثال ذلك :

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، (١/ ٢١٧)، (بتصرف) طبعة ١٩٨٧م .

(٢) قم إسلامية، (١/ ٥٥)، (بتصرف). وانظر: مجلة الأمة، (مواقف من حياة الشيخ محمد أبو زهرة) بقلم: فاروق منصور، جمادى الأولى ١٤٠١، مارس ١٩٨١، العدد ٥، ص ١٨ .

(٣) الممض: المؤلف. المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس (٢/ ٩٠٩)، الطبعة الثانية، مجمع اللغة العربية.

(٤) العقام: المرض الذي لا شفاء منه. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص ٤٤٨، دار الفحاء.

(٥) انظر: المعجزة الكبرى (القرآن)، للإمام أبي زهرة، ص ٥، ٦، دار الفكر العربي .

١. ما حدث منه في مجمع البحوث الإسلامية حين ألقى بحثاً بعنوان (المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام) يحتوي هذا البحث على "مائة وست وأربعين" ورقة، يستغرق قراءته أربع ساعات، فداعب الإمام أعضاء المؤتمر قائلاً: "سأختصر الوقت إلى أربع ساعات، ولإعجاب أعضاء المؤتمر بعلم الشيخ فقد وافقوا على ذلك بالإجماع وألقى بحثه كاملاً أمام الوفود (١) .

٢. ومن مواقفه المرححة أيضاً أنه بينما كان مستغرقاً في إحدى محاضراته، والطلبة منصتون، ولا يسمع أي صوت سوى صوت المحاضر، وإذا بطالب يدخل المحاضرة ويسير وسط القاعة معجباً بنفسه، وزيادة في الإعجاب بنفسه لاحظ الإمام أنه يضع وردة على صدره، فناداه الإمام مداعباً (أهلاً أبو وردة)، فضج المدرج بالضحك فرد الطالب على الفور (أهلاً أبو زهرة) فأعجب الإمام بفطنته وذكائه وقام من مكانه ونزل إلى الطالب، وحياه مَقْبِلاً (٢) .

(ز) الهَيِّبَةُ:

كان الإمام أبو زهرة موسوعة شاملة لا تغيب عنه شاردة ولا واردة، يلتزم النص ولا يحد عنه، يعتد برأيه يدافع عنه بأقصى ما يملك معتقداً أنه بذلك يخدم عقيدته ودينه، وكان أعرف الناس بقيمة الدين وأحرصهم على الربط بين العلم والعمل وهكذا العلماء، لذلك فقد كان من يريد معارضته يفكر كثيراً قبل معارضته لكثرة علمه، ومن هنا أخذ شيخنا العلم بحقه فهابه الناس (٣) .

هذه بعض الصفات التي تحلى بها الإمام أبو زهرة، ومن البدهي أن هذه الصفات إذا توافرت في شخص تكون له الإمامة بلا منازع، والإمام -رحمه الله- كان إمام عصره .

(١) قمم إسلامية، (٦٣/١)، (بتصرف) .

(٢) مجلة الأزهر، شعبان ١٤٠٤هـ، مايو ١٩٨٤م، ص ١٢٧١، (بتصرف) .

(٣) أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٢٥، (بتصرف) .

المطلب الثالث

وفاته

الموت سنة ماضية من سنن الله - ﷻ - والمسلم الحق هو من يحرص على أن تكون دنياه مزرعة لأخرته، يقدم فيها صالح الأعمال ويعمر الأرض بطاعة الله فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإذا جاء أجل الإنسان فإنه سيفارق الحياة شاء أم أبى يقول ﷻ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] .

توفي الإمام أبو زهرة بعد حياة حافلة بالعلم، والعمل على خدمة الإسلام، والمسلمين، وبعد أن خلف ثروة هائلة من العلم الذي لا ينقطع أجره إلى يوم القيامة.

توفي في حوالي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الجمعة، الموافق التاسع عشر من شهر ربيع أول عام أربعة وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق الثاني عشر من إبريل عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية، في القاهرة بمنزله بالزيتونة، عن ست وسبعين عاماً، أثناء نزوله من الدور الأعلى وهو يحمل المصحف الشريف مفتوحاً على سورة النمل، وكذلك الأوراق التي كان يكتب فيها التفسير لبعض آيات هذه السورة، وقلم الحبر مفتوحاً بيده الأخرى، وفي هذه اللحظات فجأة سقط عن السلم ساجداً، وأصيب بغيوبة من أذان الجمعة حتى وقت المغرب، حيث فاضت روحه الكريمة بين الأذان والإقامة^(١) .

وقد ارتجت القاهرة والعالم الإسلامي لنبا وفاته بالبكاء عليه، وتأسف عليه المسلمون العارفون لقدره، وصلى عليه يوم السبت صلاة الجنازة بالجامع الأزهر، وأم المصلين المرحوم الإمام الدكتور: عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وورثاه المرحوم الشيخ صالح الجعفري بقوله: "رحمك الله يا أبا زهرة رحمة واسعة، فقد تحليت بخصلتين العلم والشجاعة، أما العلم فحزت فيه قصب السبق^(٢)، وأما الشجاعة فكانت فيها القدوة فرفعك

(١) انظر: مجلة الأزهر، العدد ٨، مايو ١٩٨٤م، ص ١٢٧٤ . وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٧٢، (بتصرف) نقل المؤلف هذا الكلام من حديث ابنة الإمام أبي زهرة الدكتورة: حياة النفوس الدكتورة بالقصر العيني، خلال حديثها لإذاعة القرآن الكريم .

(٢) قصب السبق: استولى على الأمد البعيد، ووصل إلى أعلى الدرجات في العلم . انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤/ ٣٦٤٢) .

الله بالعلم درجة، وبالشجاعة أخرى، وألهم المسلمين الشجاعة وجزاك أفضل ما يجزى به عالماً عن جهاده^(١).

وكان لوفاة الإمام أبي زهرة أصداء خارج مصر، فما إن سرى نبأ وفاته حتى بكاه محبوه وتلامذته في كل مكان .

وقد رثاه أحد العارفين بفضله بقصيدة عدّد فيها مآثر فضله، حيث قال :

مَضَيْتَ إِلَى رِحَابِ اللَّهِ بَرًّا	فَأَعُوذُ الْوَرَى مَثَلًا مَجِيدًا
وَهَبْتَ الْعِلْمَ كُلَّ قَوَاكِ بَحْنًا	وَتَنْقِيبًا فَقَدِمْتَ الْمُفِيدًا
رَعَاكَ اللَّهُ إِذْ أَوْلَاكَ فَقْهًا	وَتَأْوِيلًا وَالْهَمَّكَ الْعَدِيدًا
فَقَمْتَ بِنَهْضَةٍ أَثَرَتْ وَأَزَكَّتْ	وَأَحْيَيْتَ شَرْعًا وَأَتَتْ جَدِيدًا
وَكَانَ قَوَامُهَا ذِكْرًا حَكِيمًا	وَسُنَّةَ مُجْتَبًى وَنَهَى رَشِيدًا
وَأَثَارًا تَوَاتَرَ نَاقِلُوهَا	وَأَحْدَثَ فِكْرَةَ غَزَتِ الْوُجُودَا
خَبِرْتَ الشَّرْعَ مَأْثُورًا وَرَأْيًا	عُنَيْتَ بِهِ فَسَرْتَ مَدَى بَعِيدًا
فَنَصَّكَ حِينَ تَوَلَّيْتَهُ اهْتِمَامًا	تُمَحِّصُهُ جَدِيرًا أَنْ يَسُودَا
يَكُونُ الْحَلُّ إِنْ عَضَلْتَ وَيَبْدُو	حَقِيقًا أَنْ يَكُونَ لَهَا وَحِيدًا
وَرَأْيُكَ حَلَّةُ الْأَرَاءِ طُرًّا	إِذَا جُمِعَتْ يُتَوَجَّهْهَا عَمِيدًا
إِذَا مَا أَشْكَلَتْ آرَاءُ قَوْمٍ	فَرَأْيُكَ لَمْ يَزَلْ فِينَا سَدِيدًا
صَدُوقًا لَا دِهَانَ بِهِ وَلَكِنْ	قَوِيًّا أَصْلَبُ الْأَرَاءِ عُوْدَا
بِهَذَا صَرْتَ أَسْتَاذًا لَجِيلٍ	وَطَوَّقْتَ الْعِلْمَ عُنْقًا وَجِيدًا ^(٢) .

ويقول الدكتور: عبد العزيز كامل: نقلًا عن سفير باكستان في القاهرة عندما كان يعزي شيخ الأزهر في وفاة الإمام أبي زهرة : "لو كان لدينا عالماً مثل الإمام أبي زهرة لقبضنا له رجالاً بل رجالاً يكتبون ما ينطق به"^(٣) .

وحملت الجنازة على الأعناق في صمت مهيب، وحشد حافل ودموع تذرف وقد تقبل العزاء عليه أبناؤه و محبوه في السرادق التي أقامها الشيخ عند بيته حيث كان

(١) انظر: مجلة الأزهر ، مايو ١٩٨٤م ، العدد ٨ ، ص ١٢٧٤ .

(٢) مجلة الأزهر، مقال (قصيدة رثاء محمد أبا زهرة)، للأستاذ: خالد محمود إبراهيم سالم، واعظ غدامس بالجمهورية العربية الليبية، رجب ١٣٩٤، أغسطس ١٩٧٤، العدد ٥، ص ٥٨٠، ٥٨١ .

(٣) قمم إسلامية، (٧٧/١) .

معدداً لمناقشة قضايا العصر فصار سرادقاً للعزاء. او كان للإمام أمنية غالية تمنى أن يحققها قبل موته وهي أن يطيل الله في عمره حتى ينتهي من تفسير القرآن الذي كان قد أشرف على شرح ثلثه الأخير ولكن قضاء الله إذا جاء فلا يؤخر، حيث وصل إلى تفسير سورة النمل الآية الخامسة والسبعين (١).

وكان من آخر كلماته ترديد قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:

[٧٨] (٢).

وكان منها أيضاً: "إني أقول نصيحتي لأبنائي الذين أنعم الله علي بأنهم تخرجوا على يدي كونوا يا بني مع الحق دائماً، وأخلصوا لله، ولا تمالقوا أحداً في حق ولا تكونوا على ضعيف أبداً" (٣).

رحم الله شيخنا رحمة واسعة بقدر ما أسدى إلى الأمة والشريعة الإسلامية من

إخلاص وعمل .

(١) انظر: مجلة الأزهر، مايو ١٩٨٤م، العدد ٨، ص ١٢٧٤ .

(٢) انظر: مجلة الرسالة الإسلامية، مقالة بعنوان (جاهدوا في الله حق جهاده)، للإمام أبي زهرة، جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ، يونيو ١٩٧٤م، عدد ٦، ص ٢١ .

(٣) انظر: مجلة حضارة الإسلام، مقال بعنوان (رجل فقدناه الأستاذ العلامة الشيخ محمد أبو زهرة)، بقلم الدكتور: عدنان زرزور، جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ، عدد ٣، ص ٥٠، ٥١ .

المبحث الثالث

حياته العلمية

لا بد من التعرف على حياة الإمام أبي زهرة العلمية للوقوف على المراحل العلمية التي وصل إليها، والمناصب التي تقلدها.

المطلب الأول

رحلته العلمية

بدأ الإمام أبو زهرة رحلته العلمية في الكتاب، ثم في المدرسة الأولية، حيث تعلم القراءة والكتابة، وأتم حفظ القرآن في المدارس الراقية التي انتقل إليها، وتعلم فيها مبادئ العلوم المدنية، كالرياضة، والجغرافيا، بالإضافة إلى العلوم العربية، حيث كانت المدارس الراقية في ذلك الوقت، تشبه إلى حد كبير التعليم الابتدائي فيما بعد، الذي استبدل بالتعليم الإعدادي الآن، إلا أن هذه المدارس ينقصها تعليم اللغة الإنجليزية، وبعد أن استوعب القرآن، وبعض الثقافة الأولية في هذا السن المبكر أرسل إلى المعهد الديني في طنطا الجامع الأحمدي - الأزهر الثاني - من معاهد الأزهر عام ١٩١٣م، ومكث فيه ثلاثة أعوام، وبدت عليه مظاهر النبوغ والتفوق، وعرف بجده واجتهاده، حتى كان مرموقاً من شيوخه، وتقدم شيخ المعهد بمذكرة طالب فيها مشيخة الأزهر بأن محمداً أبا زهرة وأمثاله يجب أن يوضع لهم نظام خاص يجتازون به الابتدائي والثانوي في المعاهد الأزهرية في مدة مختصرة، وألا يعاملوا معاملة الآخرين هذا بجانب رصد مكافأة مالية تصرف لهم شهرياً، ولكن الاقتراح لم ينفذ لصعوبته قانونياً، ثم لانتقاله إلى مدرسة القضاء الشرعي، إلا أنه منح مكافأة مالية نتيجة تفوقه .

ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٦م، واستمر بها إلى أن تقرر إلغائها سنة ١٩٢٣م وهو ما زال في السنة الثالثة فقرر زملاؤه الانتقال إلى دار العلوم، إلا أن الإمام رفض هو و زميل له أتم تعليمه في هذه المدرسة حتى حصل على العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز سنة ١٩٢٥م، ثم انتقل للدراسة في دار العلوم وتلقى العلم على أيدي نخبة ممتازة من العلماء وبعد مضي عام واحد بدار العلوم أي عام ١٩٢٧م،

حصل على شهادة دار العلوم العليا من الخارج وذلك بعد أن حصل على شهادة العالمية من مدرسة القضاء الشرعي^(١).

ويمكن القول إن الأثر الأكبر في شخصية الإمام أبي زهرة العلمية، وشغفه الذي لا حد له بالمعرفة، والمطالعة، والتأليف يعود إلى مدرسة القضاء الشرعي التي أنشأتها الحكومة من أجل إصلاح القضاء الشرعي في البلاد^(٢).

بعد أن تخرج من دار العلوم سنة ١٩٢٧م عين في نفس السنة مدرساً للشريعة الإسلامية والتفسير، والعلوم الدينية، واللغة العربية بمدرسة تجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي.

ثم انتقل للتدريس في المدارس الثانوية العامة حتى آخر ديسمبر ١٩٣٢م، وفي أول يناير سنة ١٩٣٣م انتقل إلى الأزهر الشريف ليجد مكانه في كلية أصول الدين، مدرساً لتاريخ الخطابة، ثم تاريخ الديانات، وفي هذا العام ارتدى الزي الأزهرى؛ لأنه كان من مستلزمات الوظيفة الجديدة.

وفي اليوم الأول من نوفمبر عام ١٩٣٤م نقل مدرساً للخطابة بكلية الحقوق في جامعة القاهرة بناء على ترقية أستاذه بالقضاء الشرعي، وأستاذ الشريعة بحقوق القاهرة الشيخ أحمد إبراهيم^(٣)، وقد وافقت الجامعة المصرية والأزهر على ذلك، وانتقل من تدريس الخطابة إلى تدريس الشريعة في كلية الحقوق.

وتدرج الإمام أبو زهرة في مناصب التدريس بحقوق القاهرة من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ كرسي، فربط قسم الشريعة، ثم وكيلاً للكلية لمدة خمس سنوات انتهت ببلوغه سن التقاعد عام ١٩٥٨م.

واستمر في التدريس بكلية الحقوق قسم الدراسات العليا منذ إحالته إلى سن التقاعد حتى وفاته عام ١٩٧٤م، وظلت الكلية في حاجة إلى الاستفادة من علمه الغزير ما بقي قادراً على العطاء باستثناء فترة تحديد إقامته في نهاية الستينيات والتي صدرت فيها أوامر عليا إلى إدارة الكلية والجامعة بمنعه من التدريس، ولكنه لم يعبأ بذلك القرار، ولم يثنه عن المضي قدماً في نشر الدعوة الهامة بالنقد وإبداء الرأي حتى لو كان ذلك ضد

(١) انظر: قم إسلامية، (٢٥/١). وانظر: دراسات عربية وإسلامية، (٧٥ / ١١) وما بعدها.

وانظر: مجلة الأزهر، مايو ١٩٨٤، العدد ٨، ص ١٢٦٧.

(٢) انظر: مجلة حضارة الإسلام، حزيران ١٩٧٤م، العدد ٣، ص ٤٢.

(٣) انظر: الترجمة ص ٣٣ من البحث.

اتجاهات السلطان، وبرغم ذلك القرار تولى التدريس في معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية واشترك في إنشاء جمعية الدراسات الإسلامية وإنشاء معهد الدراسات الإسلامية، وعمل أستاذاً فيها، ورئيساً لقسم الشريعة فيها .

ثم عمل أستاذاً بالدراسات العليا بجامعة الأزهر، وجامعة الإسكندرية، وعين شمس، وأستاذاً زائراً بجامعة السودان، وسوريا، وليبيا، والجزائر، والعراق واشترك في تأسيس وعضوية العديد من الجمعيات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي، واختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٦٢م، وتولى تدريس الشريعة الإسلامية في كلية المعاملات، والإدارة في جامعة الأزهر سنة ١٩٦٣م.

ونظراً لما يتمتع به من سعة اطلاع ووفرة إنتاجه، اختاره زملاؤه في المجمع الديني كمقرر للجنة بحوث القرآن، ثم تولى لجنة السنة المطهرة، ثم اختير مقررًا في لجان التقنين للمذهبين الحنفي والشافعي، ثم عضواً في معهد البحوث الجنائية، والاجتماعية ثم عضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب^(١).

هذا إلى جانب عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه التي شارك فيها إما مشرفاً ورئيساً، وإما مناقشاً، وكانت هذه الرسائل تتعلق بالفقه، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام، وسائر فروع الثقافة العربية والإسلامية^(٢).

وظل يساهم في جميع هذه الأنشطة وأداء رسالتها على الوجه الأكمل إلى أن توفاه الله ﷻ رحمه الله رحمة واسعة .

(١) انظر: قمم إسلامية، (٢٥/١). وانظر: دراسات عربية وإسلامية، (٧٥/١١) وما بعدها .
وانظر: مجلة الأزهر، العدد ٨، مايو ١٩٨٤م، ص ١٢٦٧ وما بعدها. وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٤٢ - ٤٩ .

(٢) انظر: مجلة حضارة الإسلام، حزيران ١٩٧٤م، العدد ٣، ص ٤٢.

المطلب الثاني

شيوخه، وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

تأثر الإمام أبو زهرة بشيوخه من العلماء الأفاضل، الذين استمد منهم مكارم الأخلاق وبذور المعرفة .

ولا بد من التنبيه في بداية الترجمة لشيوخه إلا أن الباحثة لم تذكر كل شيوخه وهذه ترجمة بعض شيوخه الذين يمتُّون له بصلة قريبة، وكان لهم الدور البارز في إنماء شخصية الإمام أبي زهرة بهذه الصورة الطيبة .

وقد ذكر الإمام مجموعة من شيوخه ترجم لهم أثناء تقديمه لكتاب المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي^(١)، حيث قال : "لقد تسابق إلى خاطري وأنا أقرأها، شيوخي الذين تلقيت العلم عليهم، وتنسبت نسيم العلم في جَوْهم، ونفذت روعي بأفوايق المعرفة من فيضهم"^(٢)، وذكر شيوخه وهم :

١ . الأستاذ: محمد عاطف بركات :

يعتبره الإمام أبو زهرة أستاذ الأساتذة، وخير من أنجبت دار العلوم، وهو ممن ملك على الإمام أبي زهرة عقله وأثر في نفسه وتكوينه تأثيراً عظيماً، تخرج من دار العلوم عام ١٨٩٤م، وكان أول مبعوث لدار العلوم يحمل شهادة علمية من أوروبا، عين ناظراً لمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٠٧م واختص بتدريس مادة الأخلاق، ونفي عند قيام الثورة، ثم عاد إلى أرض الوطن، وتوفي في ٣٠/يوليو/١٩٢٤م^(٣).

(١) لم تعثر الباحثة على ترجمته.

(٢) انظر: المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي، د. مصطفى زيد، ص ٦، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، دار الفكر العربي. هذا الكتاب رسالة حصل المؤلف فيها على درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية بمرتبة الشرف الممتازة من دار العلوم في جامعة القاهرة عام ١٩٥٤م، والإمام كان أحد مناقشي الرسالة، وقد قدم الإمام لهذا الكتاب عند طباعته، وذكر شيوخه وترجم لهم .

(٣) أنظر: المرجع السابق، ص ٦. وانظر: دراسات عربية وإسلامية، (١١/ ٧٦). وانظر: أبو

زهرة علما إسلاميا، ص ٩٢ .

٢. الأستاذ: أحمد إبراهيم :

الشيخ أحمد إبراهيم إبراهيم، ولد سنة ١٨٧٤م، وهو الشخص الثاني الذي ملك لب وخيال الإمام أبي زهرة، ورسم له طريقه في الدراسات الفقهية، وهو فقيه، باحث مدرس من أهل القاهرة، تعلم في الأزهر الشريف، وتخرج من دار العلوم سنة ١٨٩٧م، وأمضى سبعة عشر عاماً تفرغ فيها لدراسة الفقه الإسلامي، ثم رُقِيَ أستاذاً مساعداً، فأستاذاً لكرسي الشريعة الإسلامية عام ١٩١٣م، وانتخب وكيلاً لكلية الحقوق سنة ١٩١٣م أُحيل على المعاش ١٩٣٤م، ومع ذلك ظل يدرس لطلبة الدكتوراه حتى توفي عام ١٩٤٥م^(١).

٣. الشيخ : حسن منصور:

مفسر عميق ويعد نجماً لامعاً في تفسير القرآن الكريم، ولد بالإسكندرية عام ١٨٧٠م، تلقى مبادئ العلوم العربية والدينية في مسجد إبراهيم باشا وتخرج من دار العلوم عام ١٨٩٧، وعين رئيساً لقلم النسخ بمحكمة الاستئناف، ثم اختير مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي ثم ناظراً لتجهيزية دار العلوم، وأحيل على المعاش عام ١٩٣٠م، له مذكرات قيمة غير مطبوعة في التفسير والأدب، وفسر جزء تبارك ولكنه لم يطبعه، وحرر قسم التفسير والحديث في مجلة الأزهر التي كان اسمها (نور الإسلام) منذ إنشائها حتى وفاته عام ١٩٣٢م^(٢).

٤. الأستاذ : عبد الحكيم بن محمد :

تخرج من دار العلوم ١٨٩١م، ودرّس بالمدارس الثانوية، ثم مدرسة الحقوق، وانتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي فكان من بُنائها الأولين، كان يجيد اللغة العربية إجادته للفقه الإسلامي توفي ١٩٢٤م، من مؤلفاته المرافعات الشرعية^(٣).

٥. الأستاذ: عبد الوهاب خير الدين :

تخرج من دار العلوم سنة ١٨٩٨م ثم عمل أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعي، ودار

(١) انظر: الأعلام، (١ / ٩٠). وانظر: المصلحة في التشريع الإسلامي، ص ٩. وانظر: دراسات عربية وإسلامية، (٧٦ / ١١).

(٢) المصلحة في التشريع الإسلامي، ص ١٠، (بتصرف). وانظر: دراسات عربية وإسلامية، (١١ / ٧٦)

(٣) انظر: معجم المؤلفين، (٩٤ / ٥). وانظر: المصلحة، ص ٨، (بتصرف).

العلوم، يدرس العلوم الشرعية وخاصة تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف وكان يجمع بين جلال العلم، وعلائم الصلاح والتقوى، وأحيل على المعاش ١٩٣٥م، واشترك في تأليف كتاب (الدين الإسلامي) (١).

٦. الأستاذ: محمد الخضري :

الشيخ محمد الخضري بن الشيخ عفيفي الباجوري، تخرج من دار العلوم سنة ١٨٩٥م ثم أمضى بالتدريس ثلاثاً وعشرين سنة من بينها ثلاث سنوات في كلية الخرطوم الجامعية، وثلاث عشرة سنة بمدرسة القضاء الشرعي، وفي هذه المدرسة تجلت عبقريته العلمية في الدرس والكتابة والإلقاء، درس الفقه وأصوله وتاريخه، وهو أول من قسم تاريخ الفقه ذلك التقسيم العلمي، وكان يلقي دروساً بكلية الآداب في الجامعة المصرية القديمة توفي في مايو ١٩٢٧م (٢).

٧. الأستاذ: محمد عفيفي :

المرحوم الشيخ محمد عفيفي عبد الله، تخرج من دار العلوم سنة ١٩٠٤م، وكان من أوائل المتخرجين في فرقته، وهي الفرقة التي تولى امتحانها الأستاذ الإمام محمد عبده، درس في مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٠٨م، وتولى تدريس الفقه فيها وكان حريصاً في دراساته الفقهية على رد كل فرع إلى قاعدته، وقد تربى فيه بذلك ذوق فقهي صادق، وكان يتغلغل في فهم الفروع، ويربط بينها برباط محكم هو أصل قياسها، وعمل أستاذاً للشريعة الإسلامية في دار العلوم حتى توفي سنة ١٩٣٦م (٣).

٨. الأستاذ: محمد المهدي :

محمد المهدي بن عبد الله بن محمد، ولد عام ١٨٩٢م، من أب ألباني وأم كردية، تعلم بالأزهر، ثم في دار العلوم، وتلمذ للشيخ محمد عبده، وكان الأستاذ عاطف بركات حريصاً على ألا تتخرج فرقة من مدرسة القضاء الشرعي إلا وقد مرت على الشيخ محمد المهدي في دروس الأدب والنقد، وكان يلتزم الفصحى في كلامه، توفي

(١) المصلحة، ص ١٠، (بتصرف).

(٢) المرجع السابق، ص ٨، (بتصرف).

(٣) المرجع السابق، ص ١١، (بتصرف).

عام ١٩٢٤م^(١).

رحم الله شيوخ الإمام فقد كانوا كبارا و فكبر بهم و فخرُوا به .

ثانياً : تلاميذه^(٢) :

الشيخ له أثر كبير على شخصية تلاميذه فهم يتشربون أخلاقه، وصفاته بل ويقلدون في أفعاله وتصرفاته؛ لذا يجب أن تتوفر القدوة الصالحة وهذه حقائق تربوية توصل إليها العلماء لما لها من أثر على نشأة الجيل وكلما كان القدوة رفيع القدر، كثير العلم لا ينشق له غبار مثل شيخنا أبي زهرة كلما كان الجيل عفيف النفس، قوي الإرادة، كريم الأخلاق؛ لذا يجب توفر المنارات العلمية التي تضيء للجيل طريقه .

وقد عاش الإمام - رحمه الله - حتى رأى ثمرة زرعه في تلاميذه الذين تتلمذوا على يده وهم كثر سواء كانوا من داخل مصر أو خارجها، وقد تقلدوا المناصب الرفيعة في ميادين الحياة متعددة أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١. الدكتور : أحمد السيد الكومي :

عَلِمَ من أعلام التفسير، وباحت من خيرة الباحثين في علوم القرآن، ولد عام ١٩١٢م، بمحافظة الجيزة، التحق بكلية أصول الدين عام ١٩٣١م، وحصل على العالمية وكان من أوائل الناجحين من المكفوفين المنتسبين للكلية، ثم التحق بالدراسات العليا فكان من أوائل الناجحين بشعبة التفسير، وعمل في كلية أصول الدين بالأزهر، ثم حصل على درجة أستاذ مساعد في عام ١٩٦٦م، ثم أستاذ عام ١٩٧١م، ثم تولى رئاسة قسم التفسير، وقد درّس له الإمام أبو زهرة في كلية أصول الدين كتابيه: (تاريخ الجدل)، و(الخطابة)، ومن تلاميذ الشيخ الكومي: د. سيد طنطاوي مفتي مصر الحالي، والشيخ عبد الحميد كشك الداعية الإسلامي المعروف^(٣).

(١) انظر: الأعلام، (٧/ ١١٤). وانظر: المصلحة، ٨، ٩.

(٢) إن تلاميذ الإمام معاصرون، ومن الصعب وجود تراجم لهم في كتب الأعلام؛ لذلك ترجمة الباحثة لمن وجدت له ترجمة، ولكن الغالب ترجم لهم من كتاب (قمم إسلامية) للأستاذ أبو بكر عبد الرزاق، الذي ترجم لتلاميذ الإمام بشكل مفصل.

(٣) انظر: أبو زهرة عالما إسلامياً، ص ١٠٤، ١٠٥.

٢. حمزة الدعبس :

حمزة محمد حمزة الدعبس تخرج من كلية حقوق القاهرة عام ١٩٥٨م، وعين وكيلاً للنائب العام في أسيوط وعمل محامياً ومارس العمل السياسي ورشح لعضوية مجلس الشعب، تتلمذ على يد شيخه في مادة (الأحوال الشخصية في الزواج والطلاق) واشترك معه في إعداد معجم لمصطلحات الشريعة الإسلامية مرتبة ترتيباً هجائياً، حصل على دبلومات الدكتوراه في القانون الخاص، ودبلوم العلوم الجنائية، ودبلوم الشريعة الإسلامية، ورئيس مجلس إدارة مجلة (النور) التي تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وتتخذ لها منهجاً ثابتاً لبلوغ هذا الهدف^(١).

٣. الدكتور: زكريا البري :

وزير الأوقاف السابق، وعضو مجلس الشورى، عمل أميناً للفتوى بالأزهر، وعمل محاضراً في معهد الدراسات العربية، ومعهد الدراسات الدبلوماسية، كان أستاذاً للفقهاء الإسلامي وأصوله، ورئيساً لقسم الشريعة، والدراسات الإسلامية لجامعة الكويت لمدة أربع سنوات، له ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً ترجمت إلى أكثر من لغة^(٢).

٤. الإمام الشهيد: سيد قطب :

الشهيد سيد بن قطب بن إبراهيم، ولد عام ١٩٠٦م، مفكر إسلامي، من أسيوط مصر، تخرج من كلية دار العلوم، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية؛ لأنه رآها من وضع الإنجليز وطالب ببرامج تتماشى مع الفكر الإسلامي، وبنى على ذلك استقالته، وانضم إلى الإخوان المسلمين، وترأس قسم الدعوة، وتولى تحرير جريدتهم، وسجن وعذب عذاباً شديداً وعكف على التأليف من كتبه فسي ظلال القرآن، وهو كتاب تفسير، ثم صدرت أوامر من الرئيس عبد الناصر بإعدامه عام ١٩٦٦م^(٣).

(١) انظر: قم إسلامية، (٢١/٢، ٤٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٤٢/٢).

(٣) انظر: الأعلام، (٣/١٤٧). ذكره الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار من ضمن تلاميذ الإمام في

مقالة له في مجلة الأزهر، مايو ١٩٨٤م، العدد ٨، ص ١٢٦٨.

٥. الدكتور: صلاح عبد القادر :

تربطه رابطة مميزة بالإمام أبي زهرة، فقد اهتم به الإمام وكان يراجع معه دروسه ويشرح له ما هو القادم مما جعله مميزاً عن باقي أقرانه، تخرج من كلية حقوق القاهرة سنة ١٩٤٤م، وعمل بالإذاعة وشغل مناصب متعددة بها، واختير عضواً في لجان مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الإعلام بجامعة مصر، وكان أحد ثلاثة وضعوا مشروع قانون الأحوال الشخصية الكويتي^(١).

٦. الدكتور: عبد العزيز موسى عامر :

تخرج من كلية الحقوق ١٩٤٣م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص بتفوق عام ١٩٤٤م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية عام ١٩٤٥م، ثم على الدكتوراه في الحقوق عام ١٩٥٥م، بتقدير جيد جداً، وكان موضوع الرسالة (التعزيز في الشريعة الإسلامية)، وله ثلاثة عشر مؤلفاً وكلها في مجال الشريعة والقانون الجنائي والمدني^(٢).

٧. الدكتور: محمد الطيب النجار :

حفظ القرآن الكريم والتحق بالمعهد الديني بالزقازيق، ثم درس في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، ونال شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام ١٩٤٦م، له مؤلفات تزيد على خمس عشرة مؤلفاً في التفسير والحديث والتاريخ الإسلامي، هذا إلى جانب البحوث العديدة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية^(٣).

٨. الشيخ : محمد الغزالي :

الداعية الإسلامي الكبير، ولد في عام ١٩١٧م، حفظ القرآن في سن مبكر وتخرج من كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٤١م، له مؤلفات تزيد على المائة كتاباً طبعت أكثر من طبعة وترجم أغلبها إلى عدة لغات، عمل مديراً للدعوة بوزارة الأوقاف، ودرس بكليات جامعة الأزهر، والجامعات الإسلامية في الدول العربية وشارك بالعديد في المؤتمرات الإسلامية على المستوى المحلي والدولي وله بحوث ومناقشات قيمة

(١) انظر: قم إسلامية، (٥٠/٢) .

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢/ ٧٧). أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٠٧، ١٠٨، (بتصرف).

(٣) انظر: قم إسلامية، (٢/ ١٢٧). وانظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٠٩، ١١٠ .

أثرى بها المؤتمرات بالمناقشة الجادة والهادفة^(١).

هكذا كان الإمام أبو زهرة قدوة صالحة لتلاميذه، فقد تخرج على يديه قادة استطاعوا أن يسيروا على نهجه، وينفعوا أمتهم ويدافعوا عن الإسلام بكل قوتهم كما فعل أستاذهم رحمه الله.

(١) انظر: قمم إسلامية، (١١٣/٢).

المطلب الثالث

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه

أولاً : مكانته العلمية :

يتمتع الإمام أبو زهرة بمكانة علمية رفيعة بين علماء عصره، حيث اعتبروه إمام العصر بلا منازع فالإمامة لا تكتسب بمجرد تلقي العلم، ولا بمجرد التلقيب الاجتماعي، أو الرسمي في الدولة، وإنما تكتسب بالمواقف الشجاعة في الإصلاح الاجتماعي والإسلامي، وهو إمام من أئمة الفقه المعدودين، ومن شوامخ الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأول من صاغ النظرية العامة للجريمة والعقوبة من خلال الشريعة الإسلامية مقارنة بالأفكار الوضعية والفقه الجنائي الحديث، ولم يقتصر علمه على الناحية الشرعية فحسب، بل امتد ليشمل جوانب المعرفة الأخرى^(١).

ثانياً: ثناء العلماء عليه :

وضع أبو بكر عبد الرزاق أحد تلامذة الإمام مؤلفاً أسماه (قمم إسلامية) يقع في ثلاثة أجزاء، كان الجزء الثاني منه (أبو زهرة في رأي علماء العصر) حوى بين دفتيه مجموعة من الأحاديث لطائفة من كبار رجال الدعوة والفكر على مستوى العالم الإسلامي، وجميعهم ممن تتلمذوا على يديه وانتفعوا بعلمه، إما دارساً، أو قارئاً لكتبه، أو متردداً على محاضراته، وندواته ومستمعاً لأحاديثه، أو مزاملاً له في مجال العمل والدعوة وكان قريباً منه^(٢)، وفيما يلي مقتطفات من آراء علماء عصره، لبيان مكانته العلمية التي كان، وما زال يتمتع بها :

١. يقول الدكتور: زكريا البري^(٣): "الشيخ الإمام محمد أبو زهرة أستاذاً للشريعة الإسلامية يندر تكراره حيث إنه كان يمثل رأياً عاماً، بما وهبه الله من علم غزير، يشبهه إلى حد بعيد الفيوضات الإلهية هذا مع مواقفه الصلبة في الحق وإيمانه القوي بالله وغير المحدود، فهو بحق إمام في حياته وبعد مماته^(٤)."

(١) انظر: قمم إسلامية، (١/ ٢٥، ١٧).

(٢) المرجع السابق، (٧/٢)، (بتصرف).

(٣) انظر: الترجمة ص ٣٦ من البحث.

(٤) قمم إسلامية، (١/ ٢١٨)، (بتصرف).

٢. يقول الدكتور: عبد الحلیم الجندي^(١): "لقد كان مع انطلاق فكره، يتحرك بورع وهذا دأب المجتهد، فلا فقه إلا بورع، بهذا الاجتهاد خاض في مسائل عصره وانشغل عصره بفقهه في كلية الحقوق وفي الأزهر، ولم تعرف له مخالفة للمعقول، وكان عاملاً من عوامل الثبات في الفقه مع المنظور"^(٢).

٣. يقول الدكتور: عدنان زرزو^(٣): "كان أبو زهرة أشبه الناس بالإمام الغزالي^(٤) - رحمه الله - بلاغة قول وإخلاص حديث، وغازاة عبارة، وقوة حجة، فهل كان أبو زهرة غزالي عصره؟" ^(٥).

٤. يقول الأستاذ الدكتور: محمد حلمي مراد^(٦): "في اعتقادي أنه لا جدال أو خلاف في أن الشيخ محمد أبا زهرة كان يحتل مكانة رفيعة بين علماء عصره، وتعتبر آراؤه ومؤلفاته مرجعاً علمياً للدارسين في الموضوعات التي كتب فيها وتوافق على دراسته"^(٧).

٥. يقول الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي^(٨): "الإمام محمد أبو زهرة من أعلام

(١) عبد الحلیم الجندي : هو الرئيس السابق لإدارة قضايا الحكومة لأكثر من ثلاثة عشر عاماً، وله مؤلفات تزيد على الثلاثين مؤلفاً وبحثاً في تاريخ الأئمة والمعاملات، والتشريع والقانون المدني وهو خير من دافع عن الإسلام ودعا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، شارك بأكثر قسط من التشريعات والمعاملات الموجودة بمجلس الشعب حالياً منها: القانون المدني من خلال نصوص الشريعة الإسلامية، قمم إسلامية (١١٨ / ٢).

(٢) المرجع السابق، (٦٧/٢).

(٣) لم تعثر الباحثة له على ترجمة .

(٤) محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجة الإسلام، ولد ٤٥٠هـ، وتوفي في ٥٠٥هـ، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف من كتبه (إحياء علوم الدين). انظر: الأعلام، (٧ / ٢٢).

(٥) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٣، حزيران ١٩٧٤م، ص ٤٥ .

(٦) محمد حلمي مراد تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٣٩م، وبعد حصوله على الدكتوراه من فرنسا عين بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية، واختير مديراً لجامعة عين شمس عام ١٩٦٧م، ثم عين وزيراً للتعليم، له مؤلفات عديدة في الاقتصاد والمالية العامة وبعض المجالات العامة . انظر: قمم إسلامية، (١١٨/٢).

(٧) المرجع السابق، (١١٥ / ٢)

(٨) محمد خفاجي عميد سابق وأستاذ بجامعة الأزهر، وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب، ورئيس رابطة الأدب الحديث، وكاتب ومفكر إسلامي له العديد من الكتب المؤلفة وكتب التراث المتخصصة. المرجع السابق، (١٥٦ / ٢).

الإسلام حقاً في العصر الحديث، وهو إلى شجاعته في الرأي وشخصيته في المجتمع وحرية في الفتوى ورأيه القوي الجريء أمام الطغاة، ومجاهرته بصوت الحق في كل مكان إمام من أئمة الدين، ومجاهد من المجاهدين الوطنيين الأحرار، وداعية إسلامي مصلح قل أن تجد له مثيلاً في عصرنا"^(١).

٦. يقول الشيخ: محمد الغزالي^(٢): "والقضايا التي كان يعتبر المحامي الأول فيها والتي كنا نمشي في أثره وهو يدافع عنها هي قضايا الأسرة، ومحاولة أعداء الإسلام تغيير قوانينها وقضايا المعاملات المالية أو محاولة جعل البنوك الربوية دعامة الاقتصاد الإسلامي، هذا إلى جانب مواقفه الشجاعة في قضية الشورى وضرورة المحافظة على دستور الأمة، ورفضه الشديد للحكم الفردي والاستبداد السياسي"^(٣).

هذه أقوال قليلة جداً من أقوال العلماء في حق الإمام أبي زهرة، وفي صفاته التي تحمل صفات العلماء .

(١) قم إسلامية، (١١١/٢) .

(٢) انظر: الترجمة ص ٣٧ من البحث.

(٣) قم إسلامية، (١١١/٢).

المطلب الرابع

آثاره العلمية

التأليف عند الإمام أبي زهرة تابع من سعة الثقافة التي تميز بها، والتي استطاع من خلالها أن يخوض في كل فن من الفنون، وقد صقل هذه الموهبة بالدراسة والبحث، والعمل المتواصل؛ لذلك تنوعت مؤلفاته، وانتشرت انتشاراً واسعاً حتى صارت مورداً عذباً لأهل العلم و طلابه، وقد ترك لنا هذا العالم ما يقارب الثمانين مؤلفاً إلى جانب بحوثه، ودراساته في المجالات المتخصصة مثل: مجلة (الاقتصاد) ومجلة (حضارة الإسلام) ومجلة (رسالة الإسلام)، هذا إلى جانب بحوثه ومناقشاته في المؤتمرات الدولية والإقليمية، ومحاضراته وأحاديثه داخل البلاد وخارجها التي دونت وكثير منها لم يدون^(١).

وقبل أن نتكلم عن مؤلفات الإمام أبي زهرة، نستطيع أن ندرك القيمة العلمية لمؤلفاته من خلال حديث العلماء عنها، وثنائهم عليها، ومن هذا الحديث :

١. يقول الدكتور: أحمد فتحي سرور^(٢): " والسمة البارزة في كتبه أنه قد أوضح أن الإسلام دين صالح لكل زمان، ومكان على اختلاف القيم والمفاهيم التي تتغير بتغير الزمان والمكان فلم يكن جامداً في فكره ولا متطرفاً في رأيه"^(٣).

٢. يقول الدكتور: محمد رجب بيومي^(٤): " فقد عوضه الله هيام^(٥) الرأي الإسلامي بمؤلفاته الكثيرة التي تعددت طبعتها وتنوعت موضوعاتها، واتسع نطاق توزيعها في العالم الإسلامي ، حتى نقلت علم الرجل إلى أناس لم يروه"^(٥).

(١) انظر: قم إسلامية، (٧٥/١).

(٢) د. أحمد فتحي سرور، ولد عام ١٩٣٢م حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٥٣ م، والدكتوراه في القانون الجنائي عام ١٩٥٩م، والماجستير في القانون المقارن ١٩٦١م، تدرج في الوظائف الجامعية حيث عين عميدا لكلية الحقوق في جامعة القاهرة ثم نائب رئيس الجامعة ثم وزيرا للتعليم عام ١٩٨٦م، ثم رئيسا لمجلس الشعب المصري، كان من تلاميذ الإمام أبي زهرة في كلية الحقوق له العديد من الأبحاث والمؤلفات. انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) لم تعثر الباحثة له على ترجمته.

(٤) هيام: شدة العطش. انظر: لسان العرب، (٤٧٤٠/٥). وانظر: مختار الصحاح، ص ٧٠٤.

(٥) النهضة الإسلامية، (٢١٨/١١).

٣. يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي: "مؤلفاته عامرة، وكتبه حافلة بالخير الكثير".^(١)

ولصعوبة حصر آثاره العلمية، اكتفت الباحثة بذكر بعض مؤلفاته المطبوعة وصنفتها على النحو التالي:^(٢)

(أ) الأدب :

١- الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى العصور عند العرب، طبع في مطبعة العلوم بالقاهرة في مارس ١٩٣٤م، وقد التزمت دار الفكر العربي بطباعته ونشره .

(ب) الاجتماع ونظام الإسلام:

- ١- التكافل الاجتماعي في الإسلام، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٤م، وقامت دار الفكر بنشره أيضاً .
- ٢- تنظيم الإسلام للمجتمع، قام بنشره مكتبة الأنجلو المصرية، ودار الفكر العربي .
- ٣- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ، قام بنشره وطباعته دار الفكر العربي .
- ٤- الرد على مشروع وزارة الشؤون الاجتماعية في الأسرة، مطبعة الأزهر ١٩٧٤م
- ٥- العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي .
- ٦- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، دار الفكر العربي .
- ٧- الولاية على النفس وعلاقتها بالمجتمع الإسلامي، دار الفكر العربي بالقاهرة ، ودار الرائد العربي ببيروت سنة ١٩٧٠م .
- ٨- الوحدة الإسلامية، دار الفكر العربي.

(١) قمم إسلامية، (١١/١).

(٢) التنبيه إلى أن دار الفكر العربي هي المتعهد لنشر معظم مؤلفات الإمام أبي زهرة وقد اعتمدت الباحثة في ذكر مؤلفات الإمام أبي زهرة على ما وجدت من مؤلفات في:

أ. أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٢٧٢ وما بعدها .

ب. مجلة حضارة الإسلام ، عدد ٣، حزيران ١٩٧٤م ، ص ٣٩-٥١.

ج. مجلة الأزهر ، العدد ٨ ، مايو ١٩٨٤م ، ص ١٢٦٦-١٢٧٤.

(ج) التفسير وعلوم القرآن^(١) :

- ١٠- زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. وهو كتاب تفسير مازال مخطوطا والباحثة بصدد بيان منهج الإمام أبي زهرة من خلال هذا التفسير .
- ١١- المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي نشر سنة ١٩٧١ م .

(د) سلسلة الأئمة المجتهدين :

- ١٢- أبو حنيفة ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ م .
- ١٣- أحمد بن حنبل، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ م .
- ١٤- ابن تيمية ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٢ م .
- ١٥- ابن حزم ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٤ م .
- ١٦- زيد ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٩ م .
- ١٧- الشافعي ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ م .
- ١٨- الصادق ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، عدة طبعات .
- ١٩- مالك ، حياته ، وعصره ، و آراؤه ، وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٢ م .

(هـ) السيرة النبوية :

- ٢٠- خاتم النبيين، دار الفكر العربي ، طبع و نشر فيها أول مرة عام ١٩٧٣ م، ثم توالى الطبعات .

(و) علم الكلام والأديان :

- ٢١- تاريخ الديانات القديمة، طبعته دار الفكر العربي سنة ١٩٦٥ م .
- ٢٢- محاضرات في النصرانية، طبعته دار الفكر العربي طبعات مختلفة في عام ١٩٦٦ م،
وعام ١٩٧٢ م .
- ٢٣- تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى عام ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

(ز) الفقه وأصوله :

- ٢٤- أصول الفقه، طبعته دار الفكر العربي، عام ١٩٥٧ م، وعام ١٩٥٨ م .
- ٢٥- أصول الفقه الجعفري، طبعه معهد الدراسات العربية ١٩٥٦ م .

(١) سيتم الحديث عن هذين الكتابين في المطلب السادس من المبحث الثالث من التمهيد إن شاء الله.

- ٢٦- أحكام التراكات والمواريث، طبعته دار الفكر العربي طبعات متعددة، ومطبعة مخيم
عام ١٩٩٤م
- ٢٧- الأحوال الشخصية، طبعته دار الفكر العربي، طبعات مختلفة عام ١٩٥٠م، و عام
١٩٥٧م .
- ٢٨ - بحوث في الربا، دار الفكر العربي .
- ٢٩- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٥٦م، ودار
الفكر العربي .

(ح) القانون :

- ٣٠- شرح قانون الوصية، مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٥٠م، ودار الفكر العربي

(ط) موضوعات متفرقة :

- ٣١- الجزائر المسلمة المجاهدة، نشر ضمن مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية.
- ٣٢- الدعوة إلى الإسلام، دار الفكر العربي .
- ٣٣- الشريعة الإسلامية، طبع ونشر بعد وفاته عن دار الفاروق، ببيروت عام ١٩٨٧م.
- وله أيضاً العديد من المؤلفات والأبحاث التي ترجمت لغير العربية، ومؤلفات شارك
فيها غيره، كما انه قدم لمجموعة من المؤلفات، منها رسائل جامعية قام أصحابها بطباعتها،
وبعض المؤلفات قدم لها تشجيعاً للمؤلفين الشباب، كما أنه أشرف على العديد من المؤلفات
العلمية داخل وخارج الجامعة .
- هذا إلى جانب نشاطه في المجالات المتعددة المجالات، وخصوصاً مجلة (لواء
الإسلام) المصرية التي تبنت مقالات الإمام وفتاواه ونشرها لتفسيره للقرآن بشكل منظم،
أكثر من أي مجلة أخرى؛ وذلك لأنها الوحيدة التي شهدت مراحل حياته العلمية وخاصة
مرحلة النضج العلمي، وهي من أكثر المجالات التي ساهم فيها، وقد ظل ينشر فيها من بداية
نشأته حتى وفاته، بل وحرصت إدارة المجلة على نشر مقالاته وتفسيره حتى بعد وفاته، ومن
بين ما نشر له في هذه المجلة :
- (أ) تفسير القرآن الكريم : من آية ١٩٤ من سورة البقرة حتى نهاية سورة الأنعام
وبعض مقالات متفرقة من تفسيره لسورة الأعراف حتى آية ٩٣.

(ب) له مقالات كثيرة تكاد تكون في كل عدد من أعداد مجلة لواء الإسلام :

الصفحة	التاريخ	السنة	العدد
٤٤	جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ ، مارس ١٩٥٠م	١	٣
٣٥	ذو القعدة ١٣٦٨هـ ، أغسطس ١٩٤٩م	٣	٣
٨٩	شوال ١٣٧٨هـ ، إبريل ١٩٥٩م	٢	١٣
١٧٧	شوال ١٣٧٠هـ ، يوليه ١٩٥١م	٢	٥
٥٦٦	جمادى الأولى ٣٧٥هـ ، ديسمبر ١٩٥٥م	٩	٩
٥٠٠	ربيع الثاني ١٣٧١هـ ، يناير ١٩٥٢م	٨	٥
٦٨٥	رجب ١٣٨٥هـ ، أكتوبر ١٩٦٥م	١١	١٩
٧٥٤	شعبان ١٣٨٣هـ ، ديسمبر ١٩٦٣م	١٢	١٧

(ي) بعض الندوات التي شارك فيها :

الصفحة	السنة	العدد
٤٦	١ ، ٢ ، رمضان ١٣٨٦هـ ، ديسمبر ١٩٦٦م	١
٢٢	٣ ، ٧ ، ذو القعدة ١٣٧٢هـ ، يوليه ١٩٥١م	٢
٣٦٦	٦ ، ١٩ ، صفر ١٣٨٥هـ ، يونيه ١٩٦٥م	٣
٤٤٢	٧ ، ٨ ، ربيع الأول ١٣٧هـ ، نوفمبر ١٩٥٤م	٤
٢٣٨	٤ ، ٧ ، ذو الحجة ١٣٧٢هـ ، أغسطس ١٩٥٣م	٥

(ك) بعض مقالاته في مجلة العربي :

٤٠	٤٠ ، ص ٤٠ . (مارس ١٩٦٢م ، عدد ٤٠ ، ص ٤٠) .	١ - ابن جرير الطبري شيخ المفسرين ، وكبير المؤرخين .
٦١	٣٧ ، ص ٦١ . (سبتمبر ١٩٦١م ، عدد ٣٧ ، ص ٦١) .	٢ - العالم النقي الحر الأبى الزمخشري .
٥٧	٤٦ ، ص ٥٧ . (سبتمبر ١٩٦٢م ، عدد ٤٦ ، ص ٥٧) .	٣ - الفخر الرازي ، رجل دنيا ودين .
٣٤	٢٥ ، ص ٣٤ . (ديسمبر ١٩٦٠م ، عدد ٢٥ ، ص ٣٤) .	٤ - بيت الطاعة خطأ قضائي يجب تصحيحه .
٢١	٢٣ ، ص ٢١ . (أكتوبر ١٩٦٠م ، عدد ٢٣ ، ص ٢١) .	٥ - الطلاق في الإسلام .

هذا غيض من فيض من أعمال الإمام أبي زهرة، ومهما حاولنا حصر آثاره فلن نستطيع حصرها، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء بما أفاد الأمة الإسلامية بهذا العلم
الفياض .

المطلب الخامس

عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً: عقيدته:

العقيدة تشكل شخصية الإنسان وتتعكس على سلوكه وفكره وأخلاقه وثقافته، وبالتالي تنعكس على مؤلفاته وكتبه، وعلى فكر تلاميذه الذين ينحون منحاه أياً كانت هذه العقيدة؛ ولذلك كان لها الأهمية والخطورة.

وعن عقيدة الإمام أبي زهرة فهو يرى أن القرآن الكريم أثبت أن الله خالق كل شيء، وأنه وحده هو المنشئ، وجاءت بذلك آيات كثيرة دالة على أن الله خالق كل شيء وأنه منفرد بذاته وصفاته لا يماثله أحد من خلقه وليس شيء من خلقه يشابهه، كما قال ﷺ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]. وقال ﷺ: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» [النساء: ٣٦].

وإن وحدانية العبادة والألوهية ثمرة وحدانية الذات العلية التي ليست من جنس ما خلقت وهي لا تماثل الحوادث ومفترقة عنها قال تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [الحديد: ٣]. هذه هي نواحي الوحدانية كلها جاء في القرآن بالنص الذي لا تأويل فيه وبالعبارة لا بالإشارة^(١).

وهذه العقيدة التي ارتضاها الإمام أبو زهرة هي عقيدة السلف، وقد عرض عقيدتهم عرضاً يتسم بالموضوعية، وقارن بين آرائهم وآراء المتكلمين وبالرغم من ذلك لم يرتض مذهبهم في الصفات، وأعرب عن اختياره لمذهب التأويل الذي هو مذهب المتكلمين، وعارض رأي شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) في تأويل الصفات حيث قال: "إن التأويل بلا شك في

(١) انظر: ابن تيمية حياته وعصره، للإمام أبي زهرة، ص ٢٥٧، دار الفكر العربي. وانظر: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، للإمام أبي زهرة، ص ٢٩، (بتصرف)، مجمع البحوث الإسلامية، مايو ١٩٦٥ م. وانظر: المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام، للإمام أبي زهرة، ص ١٧، دار الفكر العربي.

(٢) أحمد بن عبد الحلیم الحراني، دمشقي الحنبلي، أبو العباس ابن تيمية شيخ الإسلام، ولد عام ٦٦١ هـ كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاحية، آية في التفسير والأصول، له تصانيف تزيد على أربعة آلاف مصنف منها (السياسة الشرعية) و(الفتاوى)، توفي ٧٢٨ هـ. انظر: الأعلام، (١/٤١). وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين ابن حجر، (١/١٤٤)، دار الجيل-بيروت.

هذا يقرب العقيدة إلى المدارك البشرية، ولا يصح أن يكلف الناس ما لا يطيقون، وإذا كان ابن تيمية قد اتسع عقله للجمع بين الإشارة الحسية وعدم الحلول في مكان أو التنزيه المطلق، فعقول الناس لا تصل إلى سعة أفقه" ثم قال مشككاً بقول ابن تيمية "إن كان كلامه مستقيماً"^(١). ويتضح مما سبق أن الإمام أبا زهرة وافق السلف في الوجدانية، إلا أنه لم يرتض مذهبهم في الصفات، وأعلن عن تأويله للصفات، وهذا مما لا شك فيه هو مذهب الأشاعرة^(٢).

وسوف تقوم الباحثة بعرض عقيدة الإمام أبي زهرة في الفصل الرابع من هذا البحث بشكل مفصل مع ذكر الأمثلة إن شاء الله تعالى .

ثانياً: مذهبه الفقهي :

تلقى الإمام أبو زهرة الفقه ابتداءً على المذهب الحنفي، ثم درس الفقه المقارن المقصور على المذاهب الأربعة^(٣)، وأكثرها كان بين المذهب الحنفي، والمذهب الشافعي، ولم يتجه في السنين الأولى من تخرجه إلى غير المذاهب الأربعة إلا في مقارنات يسيرة . وعندما أنشئت أقسام الدراسات العليا في جامعة القاهرة، وتولى تدريس الشريعة فيها الأستاذ: أحمد إبراهيم، وأخذ يدرس المذاهب الثمانية^(٤)، ويشرح في أكثر المسائل آراء المذاهب الثمانية، فأعجب الإمام أبو زهرة به، وبطريقته أشد الإعجاب، واعتبره خير المناهج في دراسة الفقه الإسلامي . ويرى الإمام أبو زهرة أن الفقه الإسلامي بكل ضروبه تراث المسلمين جميعاً وليس تراث طائفة منهم، وأنه يجب على كل متفقه ينحو في الدراسات الفقهية، ويتخصص فيها أن يدرس هذه المذاهب، ليميز الخبيث من الطيب من بعضها^(٥).

(١) انظر: ابن تيمية، ص ٢٥٨-٢٧٠. العقيدة الإسلامية، للإمام أبي زهرة، ص ٢٣.

(٢) الأشاعرة: نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، وهي فرقة من أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة يثبتون سبع صفات لله ﷻ وينفون عنه باقي الصفات، يثبتون الحياة، الكلام، الرؤية، القدرة، العلم، الإرادة. انظر: مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ص ٤٨٧-٥٦، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٣) المذاهب الأربعة: هي مذاهب أهل السنة من: أحناف، مالكية، شافعية، حنابلة .

(٤) المذاهب الثمانية: المذاهب الأربعة السابقة بجانب مذهب الظاهرية، والزيدية، والإثني عشرية وهما من (مذاهب الشيعة)، والإباضية (مذهب الخوارج) .

(٥) أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٨٨، ١٨٩، (بتصرف).

وكان لذلك أثره في تفسير الإمام أبي زهرة حيث عرض لأغلب المذاهب الفقهية أثناء تفسيره لآيات الأحكام، دون تعصب مذهبي .

ولم يكن - رحمه الله - مقلداً في أحكامه، بل كان مجتهداً، لا يأخذ بأقوال الفقهاء على أنه رأي مسلم به، بل كان يخالفهم ويأتي بالدليل، وقد اجتهد في قضايا معاصرة مثل: تحديد النسل وتنظيمه، ومثل: لبس الجواهر للرجال وغير ذلك.

وسوف تقوم الباحثة بعرض منهجه في تفسير آيات الأحكام بالتفصيل مع ذكر الأمثلة في الفصل الخامس من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المطلب السادس

اعتناء الإمام أبي زهرة بالتفسير، وعلوم القرآن.

بدا اهتمام الإمام أبي زهرة بالتفسير، وعلوم القرآن جلياً واضحاً من خلال التراث الذي خلفه من المؤلفات، والكتب الكثيرة، وقد خطا الإمام أبو زهرة خطوات واسعة في تفسير القرآن، وفيما يلي بيان لاهتمامه:

أولاً: تفسير القرآن:

اعتنى الإمام أبو زهرة بتفسير القرآن الكريم سواء كان مشاركاً في تفسيره، أو مفسراً للقرآن بمفرده وهذه التفاسير:

١. منتخب التفسير:

شارك الإمام أبو زهرة، في وضع تفسير للقرآن مختصراً تمهيداً لترجمته إلى لغات تخدم أمة الإسلام في كل بقاع الأرض على اختلاف أجناسها ولغاتها، وقد وضعت وزارة الأوقاف شروطاً لهذا التفسير من أهمها:

- أ. ألا يزيد حجم تفسير الآية عن حجم الآية المفسرة مرتين.
 - ب. أن يكون بلغة سهلة ميسرة كي يسهل ترجمتها إلى اللغات الأخرى.
 - ج. أن يختار من الآراء في التفسير ما لا يثير اعتراضاً، أو شبهة على أن يستفيد منه القارئ، أو الدارس بسهولة ويسر.
- وقد تم وضع هذا التفسير حسب الشروط وتحت اسم (منتخب التفسير) ولكن للأسف لم يترجم لهم حتى الآن^(١).

٢. الوسيط:

شارك الإمام في تحرير هذا التفسير مع الدكتور: مهدي علام^(٢)، والأستاذ: محمد

(١) قم إسلامية، (٦٢، ٦١/٢)، (بتصرف شديد). أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٣٥ "بتصرف"
(٢) د. مهدي علام ولد عام ١٩٠٠م، عضو المجمعين مجمع البحوث الإسلامية ومجمع اللغة العربية كان زميلاً للشيخ أبي زهرة أسهم في إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس وشغل فيها كرسي الأستاذية للغة العربية وآدابها وكرسي الأستاذية للغة الإنجليزية وآدابها في آن واحد وكان عميداً للكلية، له أكثر من خمسة وثلاثين مؤلفاً، توفي عام ١٩٩٢م. انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٣١، ١٣٤.

خلف^(١)، وهو منشور الآن وقد قاموا على تحريره عدة سنوات^(٢).

٣. زهرة التفاسير :

خطا الإمام أبو زهرة خطوات واسعة في هذا التفسير الذي فسره بصورة فردية، فقد بدأ تفسيره للقرآن في مجلة (لواء الإسلام) من سورة البقرة الآية (١٩٤)، حيث سبقه إلى في هذه المجلة الشيخ محمد الخضر حسين^(٣)، بتفسير سورة الفاتحة والبقرة حتى الآية (١٩٣)، ثم أصيب الشيخ محمد الخضر ببعض المرض فعهد محرر المجلة الأستاذ: أحمد حمزة للإمام أبي زهرة بتكملة التفسير^(٤).

ونشر تفسير الإمام أبي زهرة بصورة شهرية منتظمة حتى فبراير ١٩٧٠م، ثم توقفت المجلة عن نشر تفسيره، وأعلنت اعتذارها عن نشر التفسير لأسباب خارجة عن إرادتها^(٥)، والسبب في ذلك؛ أن الإمام تعرض لمحنة، فَمُنِعَ من نشر مقالاته وعن إلقاء محاضراته، ونشر بدلاً منه تفسير الإمام محمد الغزالي، ولم ينشر له تفسير حتى وفاته، ثم نشرت المجلة بعد وفاته مقالات متفرقة من تفسيره لسورة الأعراف، ثم أشارت المجلة إلى أنها سوف تقوم بنشر ما تبقى من تفسير الإمام في كتاب مستقل بذاته إذا ما رغب القراء^(٦)، ولكن المجلة لم تفعل ذلك حتى الآن، مع العلم أن الإمام أبا زهرة فسر القرآن حتى سورة النمل الآية الخامسة والسبعين عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٧). أما عن اسم هذا التفسير فالإمام كان يضع عند تفسيره للآيات القرآنية عنوان (تفسير القرآن الكريم)، وبما أن أسرة الإمام تولت مهمة طباعته بعد ثلاثة عشر عاماً من

(١) لم تعثر الباحثة على ترجمة له.

(٢) أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٣٥، (بتصرف).

(٣) محمد الخضر حسين، ولد (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) تونسي الأصل، عالم إسلامي وأديب وباحث، تولى رئاسة مجلة لواء الإسلام، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء، تولى مشيخة الأزهر توفي (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م). انظر: الأعلام، (٦/ ١١٣)

(٤) انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٣، أغسطس ١٩٥١ م. صرح الإمام أبو زهرة بذلك في الحاشية.

(٥) مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٤، ١٩٧٠ م، العدد ٥، ص ٥.

(٦) مجلة لواء الإسلام، السنة ٣٣، ١٩٧٠، العدد ٢، ص ٥.

(٧) يجب الإشارة إلى أن الباحثة تتبعت التفسير الأصلي بخط الشيخ ووجدت أنه انتهى إلى تفسير الآية

الخامسة والسبعين وليس الآية التاسعة عشرة كما ذكر ذلك في قم إسلامية، (٢/ ٨٨).

وفاته، فقد أسمته (زهرة التفاسير) والتزم بطباعته دار الفكر العربي عام ١٩٩٧م، وما زال تحت الطباعة حتى الآن .

وبتتبع تفسير الشيخ الخضر حسين، وتفسير الإمام أبي زهرة وجدت الباحثة أن الإمام أبا زهرة قد سار على نهج محمد الخضر حسين في تفسيره للقرآن إلا أنه زاد عليه بسطة في الإيضاح، وزاد عليه كثيراً من معارفه ومعارف العصر العامة وخصوصاً في المسائل الاجتماعية، والسياسية، والتربوية والديانات، والثقافة الإسلامية، واهتمام بربط كل ذلك بالواقع المعاصر.

ثانياً: علوم القرآن:

اعتنى الإمام أبو زهرة بالقرآن وعلومه بجوانبه المتعددة، وكان من ذلك :

* كتاب: المعجزة الكبرى (القرآن) :

يعد هذا الكتاب من مجهودات الإمام أبي زهرة في علوم القرآن، الذي تناول فيه بالبحث كثيراً من الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن مثل: نزول القرآن، وكتابته، وجمعه، وقراءاته، ووجوهه، وأسلوبه، وبيان قصصه، واستعاراته ونظمه، وفواصله، وطوال السور وقصارها، وأسلوب الجدل فيه، وحكم الغناء به، ولم الكون والإنسان فيه، ومناهج المفسرين، وهذه الموضوعات كانت عبارة عن موضوعات متفرقة نشرت في المجلات، ثم تم جمعها في كتاب مستقل وهو كتاب المعجزة.

هذا فضلاً عما له من جهود علمية في هذا العلم نشرت على مستوى المجلات الإسلامية، وفي الندوات والمقالات والأبحاث^(١).

وبعد هذا العرض المطول عن حياة الإمام أبي زهرة وعصره أكون قد ألفت الضوء على الأحوال المختلفة التي عاصرها، والبيئة التي عايشها، وبذلك تم التعرف على عصره وحياته.

(١) ذكرت الباحثة بعض هذه الجهود في ص ٤٥ من البحث، وقد ذكر المؤلف كثيراً من المقالات في هذا

المجال في كتاب أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ٣٢٠ - ٣٨٠ .

الفصل الأول

مصادره في التفسير

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: المصادر التي أحال إليها .

المبحث الثاني: المصادر التي نقل عنها ولم يحل إليه .

المبحث الأول المصادر التي أحال إليها

اعتمد الإمام محمد أبو زهرة في تفسيره على أمهات الكتب الإسلامية في التفسير وعلوم القرآن والحديث وأصول الفقه واللغة، والثقافة الإسلامية العامة، ومن الكتب التي اعتمد عليها على سبيل المثال لا الحصر، مرتبة حسب درجة الإفادة منها:

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن :

١. مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني^(١) :

اعتمد الإمام أبو زهرة على هذا الكتاب في بيان معاني غريب القرآن بصورة كبيرة جداً، حتى أنه لا يكاد يمر على آية يفسر فيها غريب القرآن إلا ذكره واقتبس منه، وأحال إليه^(٢).

٢. الكشاف للزمخشري^(٣) :

أما هذا التفسير فقد استفاد منه الإمام أبو زهرة بدرجة كبيرة جداً، فهو من أكثر كتب التفسير التي نقل عنها سواء في الإعراب، أو القراءات، أو البلاغة، أو التفسير، وكان موقف الإمام أبي زهرة منه ما بين مؤيد ومعارض^(٤).

(١) الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الراغب الأصفهاني أو (الأصبهاني)، أديب من الحكماء العلماء، أصبهاني الأصل سكن بغداد من كتبه: (أفانين البلاغة)، و(محاضرات الأدباء)، و(المفردات)، و(جامع التفاسير)، توفي عام ٥٠٢هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (٢/٢٩٧)، المكتبة العصرية-بيروت. وانظر: الأعلام، (٢/٢٥٥).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٤، ص ٢١٩. ونفس السنة، العدد ٥، ص ٢٧٨.

(٣) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الإمام الكبير في التفسير والحديث، والنحو واللغة، وعلم البيان، كان إمام عصره من غير منازع، متكلماً معتزلياً مفسراً، يقب بجار الله؛ لأنه جاور مكة زماناً، له تصانيف بديعة منها: (الكشاف) في تفسير القرآن لم يصنف قبله مثله، توفي عام ٥٣٨هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ١٠٤، دار الكتب العلمية-بيروت. وانظر: وفيات الأعيان، شمس الدين بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، (٤/٢٤٨)، دار الثقافة.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ١١، ص ٦٤٣، ٦٤٤. وانظر: زهرة التفاسير، [مريم: ٧٨].

٣. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري^(١) :

استفاد الإمام من هذا التفسير كثيراً ونقل عنه في كثيرٍ من المواضع وكان يرجح رأيه في كثيرٍ من الأحيان^(٢).

٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير^(٣) :

استفاد الإمام أبو زهرة من تفسير ابن كثير و نقل عنه في مواضع متعددة، وأحال إليه^(٤).

٥. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي^(٥) :

أحال الإمام أبو زهرة إلى تفسير القرطبي في مواضع متعددة في تفسيره كما اقتبس منه في مواضع أخرى^(٦).

٦. تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد رشيد رضا^(٧) :

استفاد الإمام أبو زهرة كثيراً من تفسير الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المفسر، الفقيه، المؤرخ المشهور، ولد عام ٢٢٤ هـ، ومات عام ٣١٠ هـ ببغداد، كان من الأئمة المجتهدين، له مصنفات في عدة فنون تدل على سعة علمه. انظر: وفيات الأعيان، (١٩١/٤). وانظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٤٠/٩)، دار الفكر، الطبعة الثالثة. انظر: لسان الميزان، الإمام ابن حجر العسقلاني، (١١٥/٥)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.
(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، ص ٣٣٢. والسنة ٩، العدد ٤، ص ٥٩٨. والسنة ١٩، العدد ٣، ص ١٤٤. والسنة ٥، العدد ١٠، ص ٥٩٨. والسنة ٥، العدد ٦، ص ٣٣٢.
(٣) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد عام ٧٠٠ هـ، ونشأ في دمشق، اشتغل بالحديث مطالعة في فنونه ورجاله، ألف كتاباً في التفسير وهو (تفسير القرآن العظيم) وفي التاريخ (البداية والنهاية). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، (٥/٢١)، دار الفكر. وانظر: الدرر الكامنة، (٣٧٣/١، ٣٧٤).

(٤) زهرة التفاسير، [النحل: ٨٠].

(٥) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي الفرج المالكي أبو عبد الله، له مصنف التفسير المشهور (جامع أحكام القرآن)، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً توفي عام ٦٧١ هـ. انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ص ٧٩. انظر: طبقات المفسرين، الداودي، (٦٩/٢)، دار الكتب العلمية.

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٨، ص ٤٧١. وانظر: زهرة التفاسير [الحجر: ٨٠].

(٧) محمد رشيد علي بن رضا بن محمد، ولد عام ١٢٨٢ هـ، بغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار الإسلامية، وناظر الدعوة والإرشاد الكلية بمصر، وأحد رجال الإصلاح الديني، له مجموعة من المؤلفات =

عبده^(١) فقد كان هذا التفسير أنموذجاً للإمام أبي زهرة في التفسير العصري، تعلم منه كيفية ربط التفسير بالواقع، وقد أشار إليه في عدة مواضع من تفسيره واقتبس منه في مواضع أخرى، وكان موقفه من الشيخ محمد عبده ما بين مؤيد ومعارض مع تقديمه الدليل إلى لإثبات صحة ما يذهب إليه^(٢).

٧. أحكام القرآن للإمام الجصاص^(٣) :

استفاد الإمام أبو زهرة من كتاب أحكام القرآن في المسائل الفقهية، إلا أنه أحال إليه في مواطن قليلة جداً^(٤).

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي^(٥) :

تفسير الإمام البيضاوي من التفاسير التي نقل عنها الإمام أبي زهرة في مواطن قليلة جداً^(٦).

=منها (تفسير القرآن الحكيم) المسمى (تفسير المنار)، و(تاريخ محمد عبده)، توفي عام ١٣٣٥هـ. انظر: الأعلام، (١٢٦/٦). وانظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمع وترتيب: يوسف سرقيس، ص ٩٣٤، مكتبة الثقافة الدينية.

(١) محمد عبده بن حسن خير الله، ولد عام ١٢٦٦هـ، وهو من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، له مؤلفات منها: (تفسير القرآن الحكيم) وهو نفس التفسير لمحمد رشيد رضا، لأن الإمام رشيد رضا قام بجمع تفسير الشيخ محمد عبده في مصنف مستقل وأكمل هذا التفسير بسبب وفاة محمد عبده، توفي عام ١٣٢٣هـ. انظر: الأعلام، (٢٥٢/٦). وانظر: معجم المطبوعات، ص ١٦٧٨.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٨، ص ٤٧١.

(٣) الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي، ولد عام ٣٠٥هـ، سكن بغداد، كان مشهوراً بالزهد والورع، حنفي المذهب، له تصانيف كثيرة مشهورة، توفي عام ٣٧٠هـ عن ٦٥ عاماً. انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين التميمي الغزي المصري، (٤١٢/١)، دار الرفاعي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م. وانظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، (٣١٤، ٣١٣/٤)، دار الكتاب العربي- بيروت.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١١، ص ٦٦٦.

(٥) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد أبو الخير، قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، إمام علامة عارف بالفقه والتفسير نظار زاهد شافعي، صاحب التصانيف المشهورة في الفقه وأصوله وفي التفسير وهي متداولة بين أهل العلم توفي عام ٦٩١هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: محمد الحلو، (١٥٧/٨)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة السادسة. وانظر: طبقات المفسرين، الداودي، (٢٤/٢).

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٦، ص ٣٣٠.

٩. روح المعاني للأوسى^(١) :

أحال الإمام أبو زهرة إلى هذا التفسير في مواضع قليلة جداً، وقد يذكر رأيه إذا وافقه الرأي^(٢).

١٠. مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي^(٣) :

استفاد الإمام أبو زهرة من هذا التفسير إلا أنه لم يحل إليه إلا في مواضع قليلة^(٤).

١١. معاني القرآن وإعرايه للزجاج^(٥) :

اعتمد الإمام أبو زهرة على كتاب الزجاج في بيان معاني القرآن ونقل عنه في مواضع متعددة، ولكنها ليست كثيرة، ولم يشر المفسر إلى اسم الكتاب، بل كان يقول: قال الزجاج فقط، وبما أنه يذكر أقواله في تفسير كلمات القرآن، تم الرجوع إلى كتاب معاني القرآن، ووجدته الباحثة بالفعل من كتاب معاني القرآن^(٦).

١٢. الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهرى^(٧) :

بعد دراسة لتفسير الإمام أبي زهرة لم تجد الباحثة المفسر أشار إلى هذا الكتاب إلا

(١) الأوسى: شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود، العلامة أبو الثناء البغدادي، مفسر، محدث، أديب، من المجددين ولد عام ١٢١٧هـ، من أهل بغداد، ولد ومات فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً تقلد الإفتاء ومات عام ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام، (١٧٦٩/٧). وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاجي خليفة، (٣٢٥/٦)، دار الفكر-بيروت، طبعة ١٩٩٤م.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٥، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) الرازي: أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الحسين الطبرستاني الأصل، المعروف ابن الخطيب الفقيه الشافعي، ولد عام ٥٤٤هـ، له تصانيف مفيدة في فنون عديدة منها: كتاب (التفسير الكبير) وهو نفسه (مفاتيح الغيب)، وهو كبير جداً ولم يكمله بسبب وفاته، وفي الفقه والأصول، والكلام، والطب وغير ذلك. انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٨/٤). وانظر: شذرات الذهب، (٢١/٥).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ١١، ص ٦٤٣، ٦٤٤.

(٥) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، كان يعمل في الزجاج، ثم مال إلى النحو، وكان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب، له من التصانيف: (معاني القرآن)، و(الاشنقاق)، مات عام ٣١١هـ عن سبعين عاماً. انظر: بغية الوعاة، (٤١١/١، ٤١٢). انظر: طبقات المفسرين، الداودي، (٩/١).

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٢، العدد ١٢، ص ٦٣٤-٦٣٧.

(٧) طنطاوي جوهرى: ولد عام ١٢٨٧هـ، مصري من الكتاب والشعراء المجيدين في هذا العصر =

في موضع واحد (١).

ثانياً: كتب الحديث :

١. صحيح البخاري :

يعد صحيح البخاري من أكثر كتب الحديث التي نقل عنها الإمام أبو زهرة في روايته للحديث (٢).

٢. صحيح مسلم :

نقل الإمام أبو زهرة قليلاً من الروايات عن الإمام مسلم (٣).

٣. سنن الترمذي، وسنن الدارقطني (٤):

نقل الإمام في تفسيره روايات عن الترمذي والدارقطني، ولكنها روايات قليلة جداً (٥).

٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل :

نقل الإمام عن مسند الإمام أحمد بن حنبل روايات قليلة جداً (٦).

=بالتفسير والعلوم الحديثة، تعلم بالأزهر ودرس الإنجليزية، من أشهر مصنفاته (الجواهر في تفسير القرآن) نعى فيه منحاُ خاصاً أبتعد في أكثره عن التفسير، وأكثر من سرد أقاصيص وفنون عصرية. انظر: الأعلام، (٢٣٠/٣). وانظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، (١٢٤٣/٢).

(١) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد (١)، ص ٦٦٩.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٢، ص ٨٠.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ١، ص ١١. وانظر، السنة ١٠، العدد ١، ص ٦.

(٤) الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدارقطني البغدادي، الحافظ المشهور الشافعي، ولد عام ٣٠٦هـ، وسمى بالدارقطني نسبة إلى دار قطن وهي محلة كبيرة ببغداد، كان إمام عصره في الحديث له كتاب (السنن)، و(المختلف والمؤتلف). انظر: تاريخ بغداد، (٣٤/١٢). وانظر: وفيات الأعيان، (٢٩٧/٣).

(٥) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٥، ص ٢٧٩.

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٨، ص ٤٦٤.

٥. المعجم الكبير للطبراني^(١)

ذكر الإمام في تفسيره روايات قليلة جداً عن الطبراني^(٢).

ثالثاً: الفقه وأصوله:

١. سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني^(٣) :

هذا الكتاب نقل عنه الإمام أحاديث فقهية وأشار إليه في الحاشية في مواضع قليلة جداً وذكر رقم الجزء والصفحة^(٤).

٢. السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني^(٥) :

لم يشر الإمام أبو زهرة إلى هذا الكتاب إلا في موضع واحد^(٦).

٣. الرسالة الأصولية للإمام الشافعي :

هذا الكتاب لم ينقل عنه الإمام أبو زهرة إلا في موضع واحد فقط^(٧).

٤. المستصفى في أصول الفقه للإمام الغزالي^(٨) :

استدل الإمام أبو زهرة، بقول الإمام الغزالي من هذا الكتاب ولكنه لم يذكر هذا الكتاب

(١) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، الحافظ الثبت أبو القاسم، واسع العلم كثير التصانيف، وإليه المنتهى في كثرة الحديث وعلوه، قيل ذهنت عيناه في آخر عمره، توفي عام ٣٦٠هـ. انظر: لسان الميزان، (٨٨/٣). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الذهبي، تحقيق: علي الجاوي، (١٩٥/٢)، دار الفكر.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، ص ٣٣٤.

(٣) الصنعاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني، أبو إبراهيم المعروف بالأمير اليمني، ولد عام ١٠٩٩هـ، كان مجتهداً، لقب المؤيد بالله، له نحو مائة مؤلف، توفي عام ١١٨٢هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، شيخ الإسلام محمد الشوكاني، (١٣٣/٢)، دار المعرفة-بيروت. وانظر: الأعلام، (٣٨/٦).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ١٢، ص ٧١٤.

(٥) الشيباني: محمد بن الحسن بن فرقد العلامة، فقيه العراق أبو عبد الله، الكوفي، صاحب أبو حنيفة، نشأ بالكوفة وله كتب كثيرة في الفقه والأصول، ولد ١٣١هـ، وتوفي عام ١١٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٦٣٤/٩)، مؤسسة الرسالة. وانظر: الأعلام، (٨٠ / ٦).

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٣، ص ١٥٠.

(٧) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ١١، ص ٦٤٥.

(٨) الغزالي: انظر: الترجمة ص ٤٠ من البحث.

في تفسيره إلا مرة واحدة^(١).

رابعاً: كتب اللغة والبلاغة :

١. القاموس المحيط للفيروزآبادي^(٢):

لم يحل الإمام أبو زهرة إلى هذا الكتاب إلا في مواضع قليلة جداً^(٣).

٢. لسان العرب لابن منظور^(٤) :

لم يحل الإمام إلى هذا الكتاب إلا في مواضع قليلة جداً^(٥).

٣. أساس البلاغة للزمخشري^(٦) :

استفاد الإمام أبو زهرة من هذا الكتاب ولكنه لم يشر إليه إلا في مواضع قليلة^(٧).

٤. الكتاب لسبويه^(٨) :

أشار الإمام إلى هذا الكتاب في موضع واحد فقط^(٩).

(١) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ١٢، ص ٧١٤.

(٢) الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، العلامة مجد الدين أبو الطاهر، صاحب القاموس المحيط، ولد سنة ٧٢٩ هـ، بكارزين وتفقّه في اللغة فمهر فيها إلى أن بهر وفاق، حفظ القرآن وهو ابن سبع، وجود الخط، أخذ اللغة والأدب عن والده مات سنة ٨١٦ هـ. انظر: بغية الوعاة، (١/ ٢٧٣)، وانظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، (١٠/ ٧٩)، دار مكتبة الحياة.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ١، ص ٩.

(٤) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، المصري، الأنصاري، ولد عام ٦٣٠ هـ، كان كثير الحفظ واختصر كتباً كثيرة، وله نظم ونثر. انظر: بغية الوعاة، (١/ ٢٤٨). وانظر:

فوات الوفيات، محمد الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، (٤/ ٣٩)، دار الثقافة.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٥، ص ٢٦٩.

(٦) انظر: الترجمة ص ٥٤ من البحث.

(٧) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٣، ص ٢٠٥.

(٨) سبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين أبو البشر، ولد بالبيضاء في أرض فارس ونشأ بالبصرة، وهو من علماء اللغة، سبويه كلمة فارسية معناها رائحة التفاح وقيل أنه لقب بذلك لأنه اعتاد على شم التفاح، وقيل سمي بذلك لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان فقد كان في غابة الجمال، توفي عام ٦٠ هـ وقيل عام ٨٢ هـ. انظر: بغية الوعاة، (٢/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٩) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٩، ص ٥٣٥.

خامساً: الكتب الثقافية الإسلامية العامة :

١. مدارج السالكين لابن القيم^(١):

نقل الإمام أبو زهرة عن هذا الكتاب في الروحانيات ولكنه لم يشر إليه إلا في مواضع قليلة جداً^(٢).

٢. أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي^(٣) :

الإمام أبو زهرة لم يشر إلى هذا الكتاب إلا في موضع واحد^(٤).

٣. رسالة التوحيد للإمام محمد عبده^(٥) :

وهذا الكتاب أيضاً لم ينقل عنه الإمام أبو زهرة إلا في موضع واحد^(٦).

٤. منازل السائرين للهروي^(٧):

نقل الإمام أبو زهرة عن هذا الكتاب في الروحانيات أيضاً، ولكنه لم يشر إليه إلا في

(١) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، من أركان الإصلاح الديني، وأحد كبار العلماء، تلميذ ابن تيمية، كان ينتصر له في جميع ما صدر عنه، من كتبه (إعلام الموقعين) و (مدارج السالكين)، توفي عام ٧٥٠هـ. انظر: الدرر الكامنة، (٣/٤٠٠). وانظر: الأعلام، (٦/٥٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٦، ص ٣٤٣.

(٣) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي، البصري، الشافعي، كان إماماً في الفقه، والأصول، والتفسير، بصيراً في العربية من مؤلفاته: (الإقناع)، و (تفسير القرآن الكريم)، توفي عام ٤٥٠هـ. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله الياقعي، (٣/٧٢)، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٣م. وانظر: طبقات المفسرين، للداودي، (١/٤٢٧ - ٤٢٩).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٧، العدد ١، ص ٩.

(٥) انظر: الترجمة ص ٥٦ من البحث.

(٦) انظر: زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٦، ص ٣٢٨.

(٧) الهروي: عبد الله محمد بن علي الأنصاري، الحنبلي الصوفي، أبو إسماعيل، ولد عام ٣٩٦هـ، شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة من ذرية أبي أيوب الأنصاري، كان بارعاً في اللغة، حافظاً للحديث، عارفاً بالتاريخ والأنساب، مظهراً للسنّة داعياً لهل، من مؤلفاته: (منازل السائرين)، و (سيرة الإمام أحمد بن حنبل)، توفي عام ٤٨١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، ابن حجر العسقلاني، (٤/١١٨٣)، دار الفكر العربي.

وانظر: الأعلام، (٤/١٢٢).

موضع واحد^(١) .

يتضح مما سبق أن الإمام أبا زهرة اعتمد على أمهات الكتب في تفسيره، ولكنه في الوقت ذاته كان قليل النقل عنها وفي المبحث التالي بيان لبعض الكتب التي نقل عنها ولم يحل إليها.

(١) انظر: زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٦، ص ٣٤٣.

المبحث الثاني

المصادر التي نقل عنها المفسر ولم يحل إليها

اعتمد الإمام أبو زهرة على أمهات الكتب كما أشرت في البحث السابق، ولكنه في المقابل قليل الإحالة إلى المصادر وخصوصاً مصادر التفسير والحديث، حتى المصادر التي أحال إليها ربما يأخذ من الكتاب مرة واحدة أو مرات قليلة، وما أكثر ما تكلم عن التفسير، وما أكثر الأحاديث النبوية التي وردت في تفسيره غالباً غير مخرجة، وكان أحياناً يذكر الراوي وأحياناً كثيرة لا يذكره، ولا يذكر مصدره، ولا رقم الحديث ولا يحكم على الحديث إلا نادراً .

وقد تتبعت الباحثة بعض المواضع في تفسير الإمام أبي زهرة والتي لم يحل فيها إلى المصادر، ووجدت بالفعل أنها مأخوذة من المصادر ولم يحل إليها، وفيما يلي بعض هذه المواضع:

١. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران : ٥٥] "ومن التأويلات أنهم فسروا الوفاة بمعنى النوم باعتبار أن النوم هو الموتة الأولى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام : ٦٠] والمعنى على هذا منومك يوماً عميقاً ثم رافعك في أثناء هذا النوم إلى" (١) .
- وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدت الباحثة هذا المعنى في تفسير أبي السعود (٢)، وفي تفسير ابن كثير (٣) .

٢. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا بِئِكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] "وبعض المفسرين قطع الآية عما قبلها واعتبرها إنذاراً مبدئياً وقالوا إن قوله ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ متعلق بمحذوف مقدر

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ١، ص ٧ .

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، (١/٣٦٩)، دار الفكر العربي.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٣٦٧)، دار الحديث.

هو اذكر لأهل الكتاب يوم يجمع الله الرسل" (١). وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدت الباحثة هذا المعنى موجوداً في تفسير الرازي (٢).

٣. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] الإهلال رفع الصوت، وأصله رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم أطلق على رفع الصوت لأمر يدعو إلى رفعه، ومنه أهل فلان بالحج إذا رفع صوته بالتلبية والدعاء في كل مكان يناسب ذلك، وعند البيت الحرام، والإهلال لغير الله عند الذبح أن يذبحوا باسم الصنم... (٣). وهذا التفسير موجود بالمعنى في تفسير الطبري (٤)، وكتاب معاني القرآن وإعرابه (٥)، وتفسير الزمخشري (٦).

٤. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥] "وقد قال بعض الشيعة إن المراد من الطعام هنا هو البر، وغيره من الحبوب والأطعمة غير الذبائح" (٧). وبهذا المعنى فسر الطبرسي (٨) حيث قال: "إن الطعام مختص بالحبوب" (٩).

٥. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] "أصل كلمة خمر تستعمل بمعنى الستر

-
- (١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٢، العدد ١١، ص ٥٨٠.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، (١٢٢/١٢)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية
(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٣، ص ١٤١.
(٤) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، الإمام ابن جرير الطبري، (٤٤/٦)، دار الحديث.
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٢٤٣/١)، عالم الكتب.
(٦) انظر: الكشاف، الزمخشري، (٥٩٢/١)، دار المعرفة- لبنان.
(٧) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٣، ص ١٤١.
(٨) الطبرسي: الفضل بن الحسن بن الفضل، أمين الدين أبو علي المشهدي، من أجلاء الشيعة، نسبته إلى طبرستان، له مصنفات منها: (جوامع الجامع)، و(مجمع البيان في تفسير القرآن)، توفي عام ٥٤٨هـ.
انظر: أنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبي الحسن القفطي، تحقيق: محمد إبراهيم، (٦/٣)، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
(٩) انظر: مجمع البيان، للطبرسي، (٣٢/٢)، دار مكتبة الحياة.

وبمعنى الترك وبمعنى الاختلاط فيقال خمر بمعنى ستر ومنه خمار المرأة؛ لأنه يستر وجهها ومنه خمروا أنيتكم أي غطوها، ويقال للشجر الملتف خمرًا لأنه يستر بعضه بعضاً...^(١).

هذا المعنى اللغوي لكلمة الخمر موجود في القاموس المحيط^(٢) وفي لسان العرب^(٣).

٦. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] "الجرم في أصل معناه اللغوي القطع، فيقال جرم الثمار أي قطعها، ثم أطلق على الكسب الأثم ومنه أجرم بمعنى ارتكب إثمًا لأنه كسبه... والشنان البغض الشديد مصدر شناه بمعنى أبغضه، والمعنى لا يحملنكم البغض الشديد على ألا تعدلوا معهم"^(٤).

وبالرجوع إلى كتب اللغة وجد معنى الجرم والشنان في لسان العرب^(٥).

ولعل السبب في عدم إحالته أحياناً إلى بعض المصادر أن الإمام كان كثير الحفظ يذكر أقوالاً دون إحالتها أو الإشارة إليها، ربما لأنه كان يضع آراء العلماء في المسألة محل البحث، ثم يسوغها بأسلوب من إنشائه ثم يبدي رأيه فيها، ويعتمد بذلك على ذاكرته القوية، كما يعتمد عليها في الاستشهاد بالأحاديث النبوية، وإلا فلو كان ينقلها من مصادرها فمن السهل إثبات مصادرها.

وأقول: مهما أوجدنا من تبريرات للإمام أبي زهرة في عدم إحالته إلى المصادر فالأصح أن يلتزم المفسر بذكر المصادر التي أخذ عنها في تفسيره، لأن هذا يوثق الصلة بين القديم والحديث، ويعم بالنفع والفائدة على الجميع وقديماً قال الإمام القرطبي^(٦): "من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجئ الحديث في كتاب الفقه والتفسير مبهماً، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً، لا

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، ص ٣٣٤.

(٢) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (٢/٢٣، ٢٤)، دار الجيل-بيروت.

(٣) انظر: لسان العرب، (٢/١٢٥٩-١٢٦١).

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، ص ٣٣٤.

(٥) انظر: لسان العرب، مادة (جرم)، (١/٦٠٤)، ومادة (شنان)، (٣/٢٣٣٥).

(٦) انظر: الترجمة ص ٥٤ من البحث.

يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، لا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرج من الأئمة الأعلام، والنقات المشاهير من علماء الإسلام^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (١/٣)، دار الكاتب العربي للطباعة،

الفصل الثاني

منهج الإمام أبي زهرة في التفسير

المبحث الأول: التفسير بالمأثور.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الثاني: منهجه في علوم القرآن.

المطلب الأول: القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: أسباب النزول.

المطلب الثالث: النسخ والمنسوخ.

المطلب الرابع: المحكم والمتشابه.

المطلب الخامس: الإسرائيليات.

المطلب السادس: علم المناسبة.

المطلب السابع: الحروف المقطعة.

المطلب الثامن: المبهمات.

الفصل الثاني منهج الإمام أبي زهرة في التفسير

العالم الإمام أبو زهرة -طيب الله ذكراه- أقم على تفسير كتاب الله -ﷻ- بعد أن نضح فكره واتسع علمه نتيجة تزوده بالعلوم المختلفة، فوجد في نفسه القدرة على تفسير كتاب الله -ﷻ- بعد أن التزم بأداب المفسر من حسن خلق، وإخلاص، وجهر بالحق، واحترام علم من سبقه من العلماء.

هذا إلى جانب أنه تزود بعلم وأدوات التفسير والتي يجب أن يتزود بها كل مفسر قبل أن يفسر كتاب الله -ﷻ- ومن هذه العلوم:

الفقه وأصوله، وعلم الديانات، وعلوم اللغة العربية، وعلوم القرآن الكريم، والعلم بسيرة رسولنا -ﷺ- وعلوم الحديث، والإمام بعلم العصر وأحوال البشر .

وبعد أن تمكن من هذه العلوم بدأ في تفسير كتاب الله وقد بلغ من العمر الثالثة والخمسين، وسار فيه حسب ترتيب المصحف الشريف، وظهر في تفسيره غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وعلو مرتبته واجتهاده، وباعه الطويل في هذا العلم واهتمامه الواضح بالتفسير المأثور . وسوف توضح الباحثة في هذا الفصل إن شاء الله، منهج الإمام أبي زهرة في التفسير وذلك ضمن المباحث التالية:

المبحث الأول منهجه في التفسير بالمأثور

تعريف التفسير بالمأثور:

- الأثر لغة: الخبر والجمع آثار وقوله -ﷻ- ﴿وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢] أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم، وسنن النبي -ﷺ- آثاره، وحديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً، أي ينقله خلف عن سلف، وأثرت الحديث فهو مأثور، وأنا أثر وأثرة العلم وأثرته وآثارته بقية منه تؤثر أي تروى وتذكر^(١).

-إصطلاحاً: هو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن من

(١) انظر: لسان العرب، (٢٥/١)، مادة (أثر). وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعالم ابن

محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧/١)، دار الفكر العربي.

البيان والتفصيل لبعض آياته، أو بالسنة لأنها جاءت بينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة -رضي الله عنهم؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قال كبار التابعين؛ لأنهم تلقوا ذلك غالبًا عن الصحابة^(١).

والتفسير بالمأثور لا غنى عنه للمفسر أبدًا؛ لأن على كل مفسر أن يتعرض للتفسير بالمأثور قبل أن يطرق باب التفسير بالرأي، وقد أكد علماء الأمة وأئمتها على ذلك ومنهم الإمام ابن كثير -رحمه الله- الذي عد التفسير بالمأثور من أحسن طرق التفسير وأصحها وذلك بأن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وإن لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختلفوا بها، فإن لم تجد في ذلك كله، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين^(٢).

وعلى ذلك فإن التفسير بالمأثور هو أحسن طرق التفسير بأنواعه الثلاثة التي سوف تعرضها الباحثة فيما يلي:

(١) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (١/١٦٣)، (بتصرف) مكتبة وهبة، الطبعة السادسة ١٩٩٥م. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٥٨، (بتصرف) مكتبة وهبة، الطبعة السابعة ١٩٩٠م. وانظر: أصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك، ص ١١١، (بتصرف)، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٤٠٥).

المطلب الأول تفسير القرآن بالقرآن

اهتم الإمام أبو زهرة بتفسير القرآن للقرآن في تفسيره اهتماماً واضحاً وعده المصدر الأول من مصادر التفسير حيث قال: "القرآن يفسر بعضه بعضاً، فهو يبين أحياناً في موضع ما أجمل في موضع آخر ويوضح أحياناً في موضع ما يبدو بادئ الرأي أنه مبهم في موضع آخر، ويجمع آيات القرآن التي تصدت لموضوع واحد يستطيع القارئ المتفهم أن يفهم بعض القرآن ببعضه"^(١).

وسار الإمام -رحمه الله- في منهجه في تفسير القرآن بالقرآن كما يلي:

١. بيان معنى كلمة قرآنية بما ورد في آية أخرى:

فسر الإمام أبو زهرة الكلمات القرآنية التي تحتاج إلى بيان من خلال الآيات الأخرى، مثل

ذلك :

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] قال رحمه الله: "إنهم إذا ساروا في طريق الغواية، وتركوا منهاج الهداية تفسد مداركهم فيطمس على قلوبهم، وتجمد قلوبهم فلا تلبس لحق، ولا يدخل إليها نور، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي جعلنا قلوبهم غليظة صلبة كالحجارة، منزوعة منها الرأفة والرحمة، وذلك لأنهم لما مردوا على العصيان والمخالفة صلبت قلوبهم، فأصبحت لا تتفتح لإدراك حق، وقد قال في شأن هؤلاء اليهود عندما أخذوا في طريق العصيان ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾" (٢) [البقرة: ٧٤].

وبهذا المثال اتضح معنى ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ بما بينته الآية الثانية بأن القسوة في القلوب مثل قسوة الحجارة أو أشد من قسوة الحجارة لغلظتها منزوعة الرحمة صلبة لا تترك الحق.

٢. الاستدلال بالقرآن على تعدد المعاني للكلمة القرآنية الواحدة:

ذكر الإمام أبو زهرة معنى الكلمة القرآنية التي تتضمن عدة معانٍ من خلال آيات قرآنية،

مثل ذلك:

(١) المعجزة الكبرى، ص ٤٠٥.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٩، ص ٥٤٠.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١].
 قال: "الأولياء جمع ولي، والولي يطلق بمعنى الودود المحب، أو الصديق، ومن ذلك قوله
 تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] ويطلق
 بمعنى النصير الحافظ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهو في هذا النص الكريم يجمع بين النصرة والمحبة، والتوفيق والهداية،
 ويطلق الولي بمعنى من يتولى الأمر ومن يكون صاحب الولاية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] وما المراد من اتخاذ الأولياء المنهي عنه في هذه الآية؟ يفسره
 الزمخشري بأنه الاستتصار والمودة والمحبة^(١)، ونفسره بأن يجعلوا ولايتهم لغيرهم في الانتماء،
 والنصرة، ويقبلوا أن يكونوا هم أهل ولايتهم التي ينتمون إليها، وينضون تحت لوائها فهي مثل
 قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
 إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثِقَةً وَيَحذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) [آل عمران: ٢٨].

يتضح من المثال السابق استدلال الإمام لمعنى الكلمة القرآنية بعدة معانٍ نكرها القرآن
 الكريم وقد وردت كلمة (أولياء) بمعنى المودة والمحبة، أو الصديق، وبمعنى النصير الحافظ،
 وبمعنى صاحب الولاية ثم قام -رحمه الله- بتحديد المعنى المقصود في الآية بأن معناه أن جعلوا
 ولايتهم لغيرهم في الانتماء والنصرة.

٣. تفسير آية بما يناظرها في آيات أخرى:

كان من منهج الإمام أبي زهرة في تفسير القرآن بالقرآن تفسير الآية القرآنية بما يناظرها من آيات
 أخرى، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦] قال: "أي
 أنها في منظرها وإحكامها زينة في ذاتها، وجعلها الله تعالى بهجة للأعين، كما قال في آية أخرى
 ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [المالك: ٥] وكما قال تعالى ﴿أَلَمْ
 يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]...^(٣)
 يتضح من المثال السابق تفسير الإمام للآية بما يناظرها في آيات أخرى حيث إن هذه الآيات

(١) انظر: الكشاف، (١/٦١٩).

(٢) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٦، ص ٣٣٢.

(٣) زهرة التفسير، [الحجر: ١٦].

توضح معناها بالشكل المطلوب.

٤. بيان ما أجمل في آية وفصل في آية أخرى:

وضح الإمام أبو زهرة الآيات المجملة وبين معناها والمراد منها من خلال الآيات الأخرى التي فصلتها، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النحل: ٦٥] قال رحمه الله: "﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المراد ما علا، وأنزل الله من السماء من أعلى حيث تتكون السحاب الثقيل حاملة الماء عذباً فراتاً في بخار يتكاثف وبصير ماءً ينزل مطراً مدراراً، ويكون غيثاً، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]...^(١).

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام أبا زهرة فسر آية مجملة ذكرت نزول الماء من السماء ثم فسرها بآية أخرى تبين فيها المراحل التي يمر بها المطر حتى ينزل إلى الأرض.

٥. تفسير آية بما يناظرها في آيات أخرى في مسألة فقهية:

فسر الإمام أبو زهرة الآية التي تتضمن حكماً فقهياً بآيات مناظرة لها تشابهها من حيث الحكم الفقهي، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣] قال رحمه الله: "في لا تقربوا الصلاة تأويلان: إحداهما: أن المعنى لا تقوموا بها، أو لا تغشوها، واجتنبوها وأنتم سكارى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَاتِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]...^(٢).

وكما هو واضح في المثال فإن الإمام أبا زهرة ذكر آيات قرآنية مناظرة للآية في المسألة الفقهية مشابهة لها في الحكم والنص عن نكر القرب وأراد النهي عن الفعل وهو أبلغ في التحريم، حيث إن القرب من الصلاة أثناء السكر كالقرب من مال اليتيم، وكالقرب من الزنا.

(١) زهرة التفسير، [النحل: ٦٥].

(٢) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٤، العدد ١١، ص ٦٦١.

المطلب الثاني تفسير القرآن بالسنة

السنة: هي ما أثر عن النبي - ﷺ - من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية^(١). وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن فهي مبينة للقرآن، موضحة له كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ويعد الإمام أبو زهرة السنة المصدر الثاني من مصادر التفسير؛ لأنها شارحة لكتاب الله، ويرى أن أحكام الحلال والحرام لا تفصيل لها إلا في السنة، ومن خالف تفسير السنة للحلال والحرام في القرآن فهو من المفترين على القرآن الكريم، ويكون داخلاً في نهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وعد تفسير القرآن من غير اعتماد على السنة من باب الخروج على الشريعة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمَئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ومن يترك السنة زاعماً أنه يأخذ بالقرآن فإنه يهجر القرآن والسنة معاً، ويحارب تبليغ النبي - ﷺ - لرسالة ربه^(٢). وقد سار منهجه في تفسير القرآن بالسنة على جانبين:

أولاً: منهجه في قبول الحديث في التفسير بالمأثور، ويتمثل فيما يلي: (١) اهتمامه بما ورد من الأحاديث في كتب الصحاح والسنن:

اعتمد الإمام أبو زهرة في تفسيره على الأحاديث الصحيحة في الغالب، وقد نقل أحاديث من كتب الصحاح والسنن - كما أشارت الباحثة سابقاً^(٣)، وهذا يدل على اهتمامه بالرجوع إلى الأحاديث الصحيحة، مثال ذلك:

أ . عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] قال رحمه الله في تفسير هذه الآية: "واللند في الجدل في ذاته صفة ملازمة للمراء والمهاترة؛ لأن من يكون همه الجدل يندفع إلى تأييد مذهبه بالحق وبالباطل، إذ لا يهمه الحق بمقدار ما يهمه انتصار فكره وغلبه في ميدان النزال البياني، ولذلك كان مبغضاً إلى الله، وإلى الذين يدعون إلى الحق المجرد، ولقد

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. أحمد هاشم، ص ٧، طبعة أولى ١٩٨٢ م.

(٢) انظر: المعجزة الكبرى، ص ٣٩٨.

(٣) انظر: ص ٥٨ من البحث.

قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم: (إن أبيض الرجال إلى الله الألد الخصم^(١))^(٢)^(٣).

ب . وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١]. قال: "وقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً: (أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة، فقال عليه السلام: وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن؟ فقال عليه السلام: وكيف لا تؤمنون وأنبياءنا أظهركم؟ قالوا: فأبي الناس أعجب إيماناً؟ قال: قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها)^(٤)^(٥).

يتضح من المثالين السابقين اهتمام الإمام أبي زهرة بالأخذ بالأحاديث من كتب الصحاح والسنن إلا أنه لم يلتزم الدقة بنقل الحديث، ففي المثال الثاني روى الإمام الحديث عن البخاري وبالبحث عن تخريج الحديث وجنته الباحثة في سنن الدارمي.

(٢) الاستدلال بالحديث نون بيان سنده، وأدرجته ومصدره غالباً:

كان الإمام كثيراً ما يستدل بالأحاديث النبوية في تفسيره، وكان يستدل بها نون نكر السند البتة ودون نكر درجة الحديث، وقد ينكر مصدر الحديث في بعض الأحيان، مثل ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبِأَلْوَالِيَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] قال: "شكا رجل إلى رسول الله ﷺ - أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به، فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني فكننت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل عليّ بماله، فبكى رسول الله ﷺ - وقال: (ما من حجر ولا مدر^(٦)) يسمع هذا

(١) الألد الخصم: شديد الخصومة. انظر: لسان العرب مادة (لد)، (١١٧٧/١٢).

(٢) فتح الباري كتاب المظالم باب قوله تعالى: (وهو ألد الخصام)، (١٠٦/٥)، (ح ٢٤٥٧) (بلفظه). صحيح مسلم، كتاب العلم، باب في الألد الخصم، (٢٠٥٤/٤)، (ح ٢٦٦٨)، (بلفظه) من رواية عائشة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٦، ص ٣٣٧.

(٤) سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب فضل آخر هذه الأمة، (٣٠٨/٢) (بمعناه)، دار إحياء السنة النبوية.

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١١، العدد ٢، ص ٩١.

(٦) مدر: الطين اللزج الذي لا رمل فيه. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد القيومي، (٢٣١/٢)، دار الفكر. وانظر: المعجم الوسيط، إخراج الطبعة نكتور إبراهيم أنيس وآخرون، (٨٥٨/٢)، طبعة ثانية. وانظر: لسان العرب. مادة (مدر) (٤١٥٩/٥).

إلا بكى، ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك، أنت ومالك لأبيك^(١).

وشكا آخر سوء خلق أمه فقال ﷺ: (لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال الرسول الكريم: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال ﷺ: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها، وأظمأت نهارها؟ قال: لقد جازيتها قال: ما فعلت؟ قال: حجبت بها على عاتقي، قال ﷺ: ما جزيتها)^(٢)...^(٣)

وكما هو واضح في المثال فإن الإمام -رحمه الله- عندما استدل بالأحاديث النبوية نكرها بدون سند وبدون إحالتها إلى المصدر، وبدون الحكم على الرواية، وهذا أمر يُعيق على القارئ الرجوع إلى مصدر الرواية ومعرفة درجتها.

(٣) الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أحياناً:

استدل الإمام طيب الله نكره - إلى جانب استدلاله بالأحاديث من كتب الصحاح والسنن بأحاديث استشهد بها ورواها دون نكر مصدرها أو درجتها ورواها بصيغة التمريض مما يوحي بضعفها، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال رحمه الله: "إذا كان ذلك بعض ما يشير إليه التعبير عن الأزواج بأنهن حرث، فإنه بلا شك يحث الرجل على أن يتخير موضع زرع، فإنه لا يطلب لبنة إلا الخصبة القوية من الأرض... ولذا جاء في المأثور: (تخيروا لنطفكم فإن العرق نساؤكم)^(٤) وروى عن النبي ﷺ أنه قال: (ياكم وخضراء

(١) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، (٧٦٩/٢)، (ح ٢٢٩١)، (بمعناه) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر. قال المحقق: في الزوائد إسناده صحيح، ورجاله ثقاة على شرط البخاري. وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، للإمام ابن حجر، (٩٨/٤)، الحديث موجود بنصه قال عنه المحقق لم أجده، دار المعرفة.

(٢) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، (٩٨/٤)، قال عنه المحقق لم أجده.

(٣) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٢٣].

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، (٦٣٣/١)، (ح ١٩٦٨) دار الفكر حديث عائشة مختصراً (تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم) دون قول فإن العرق نساؤكم، وفي المقاصد الحسنة، للشيخ محمد السخاوي، ص ٢٥٣، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، ذكر السخاوي من حديث أنس (تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق نساؤكم) وحديث (انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق نساؤكم) قال السخاوي: وكلاهما ضعيف، ونكر العراقي نفس الكلام في تخريجه لأحاديث الإحياء لعلوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، (٤٢/٢)، دار إحياء الكتب العربية.

الذَّمَن) (١) وهي المرأة الجميلة التي تنبت في منبت سوء... (٢).
والواضح في المثال السابق أن الإمام أبا زهرة استدل بالأحاديث الضعيفة، وربما تكون ضعيف جداً، ولكن هذا قليل في تفسيره.

ثانياً: منهج الإمام أبي زهرة في تفسير القرآن بالسنة:

اعتنى الإمام أبو زهرة بالسنة في تفسير القرآن بدرجة كبيرة، واستدل بها في التفسير بأشكال متعددة، ومنها:

(١) بيان معنى كلمة قرآنية من خلال الحديث:

فسر الإمام الكلمات القرآنية التي تحتاج إلى بيان من خلال أحاديث رسول الله - ﷺ، فتبين المقصود منها، مثل ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: "الكلمة الخبيثة هي الكلمة التي تنبعث من خبث النفس، وضلال الفكر، وتكون في باعها أئمة، وفي غايتها أئمة فهي على نقيض الكلمة الطيبة؛ لأنها لا تنبعث من إخالص لله ولرسوله، ولا تكون طيبة في واقعها، ولا في نتائجها، وما يترتب عليها، وأوضحها الكذب، وقد قال النبي ﷺ: (عليكم بالصنق فإنه يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (٣) (٤).

والكلمة القرآنية في المثال السابق التي تحتاج إلى بيان ووضوح هي الكلمة الخبيثة، وقد بين الإمام رحمه الله - معاًها من خلال الحديث الشريف، كما بين عواقبها ونتائجها السيئة على الشخص نفسه وعلى الناس جميعاً.

(٢) تفسير الآية بحديث:

الآيات القرآنية يحتاج بعضها إلى تفسير ووضوح وقد شرح - ﷺ - القرآن بالسنة وبينت السنة الأحكام الخاصة بهذه الآية والمقصود منها، مثل ذلك:

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للإمام الألباني، (١/٦٩، ح ١٤)، قال عنه الألباني (ضعيف جداً)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١، ص ١٢.

(٣) فتح الباري، كتاب الأئمة، باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) (١٠/٥٠٧)، (ح ٦٠٩٤)، (بنحوه).

(٤) زهرة للتفاسير، [إبراهيم: ٢٦].

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] قال طيب الله ثراه: "غض البصر هو النقص من النظر بحيث لا يمعن النظر، ولا يحاول أن يتقصى أطراف من ينظر إليه... أما نظر الفجأة فعضوا عنه، ولذا قال النبي ﷺ: (لا تتبع النظرة النظرة، فإنما الأولى لك والثانية عليك)^(١)، ولقد قال ﷺ في معنى هذا: (ياكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال؟ فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، فقالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)^(٢)"^(٣).

يتضح من المثال السابق معنى غض البصر، وحكم نظر الفجأة، وإعطاء الطريق حقه من غض البصر وقد اتضح ذلك من خلال الأحاديث التي استدل بها الإمام أبو زهرة في بيان معنى غض البصر في الآية .

(٣) تفسير القرآن بالسنة لبيان حكم فقهي:

فسر الإمام أبو زهرة القرآن بأحاديث عن رسول الله ﷺ - وبين الحكم الفقهي فيها، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤] قال - رحمه الله - مفسراً معنى العُرْضَةُ: "إن العُرْضَةُ بمعنى الحاجز المعارض دون فعل الخير، وهو الراجح كما نوهنا، والأيمان حينئذ تُفسر بأنها أفعال الخير المحلوف على الامتناع منها ووجه الترجيح:

أولاهما: أن هذا التفسير هو المناسب لما يجيء بعد ذلك، وهو المقصد من السياق وهو قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦] فإن مقتضاها أنه لا يصح أن تكون اليمين محاذرة دون فيء الرجل إلى أهله، ومنع الأذى والضرر عنها. وثانيتها: أن الأحاديث كثيرة متضاربة تحت الحالف على الحنث في يمينه إذا كان الحلف مؤداه الامتناع عن البر؛ فقد روى في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير، وتحللتها)^(٤).

(١) سنن الترمذي، كتاب الألب عن رسول الله، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، (١٠١/٥) (ح ٢٧٧٧) (بنحوه) قال

عنه الترمذي (حسن غريب)، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

(٢) فتح الباري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، (١١٣/٥) (ح ٢٤٦٥) (بنحوه). صحيح

مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، (١٦٧٥/٣)، (ح ١١٤) (بنحوه).

(٣) زهرة التفاسير، [النور: ٣٠].

(٤) فتح الباري، كتاب الأيمان، باب الكفارة قبل الحنث وبعده، (٦٠٨/١١)، (ح ٦٧٢١)، (بنحوه). صحيح مسلم =

وروى أيضًا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن سمرة: (يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنتَ عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلتُ إليها، وإذا حلفت عن يمين فرأيت غيرها خيرا منها، فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك)^(١)، وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: (والله لسنن يلج^(٢) أحدكم بيمينه في أهله أتمُّ عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه)^(٣) (٤).

ويتضح من هذا المثال أن الإمام أبا زهرة فسر الآية بأحاديث نبوية وبين من خلاها حكم فقهي وهو جواز الحنث في اليمين إذا نتج عن هذا اليمين أذى أو ضرر، وإن وجد أمراً أفضل من الذي حلف عليه فليتبع الإنسان ما فيه الخير وليكفر عن يمينه.

(٤) الاستدلال بحديث لبيان حكم بياني:

استدل الإمام بالأحاديث النبوية عند بيانه للمعنى البياني ليؤكد على صحة ما ذهب إليه، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [المائدة: ٨]. قال رحمة الله عليه: "كونوا" فهو أمر بالكينونة بأن يجعلوا القيام لله تعالى، والاعتبار به والأخذ بهديه جزءاً من كيانهم، وذلك بأن يستمروا على الطاعة ويدعوا عليها فإن الدوام على الفعل والاستمرار عليه يجعل النفس تتطبع به، ويكون جزءاً منها فالأمر (كونوا) يتضمن الاستمرار والدوام وأحب الأعمال إلى الله تعالى ما أمكن الاستمرار عليه ليكون عادة للنفس بمنزلة الطبيعة، فالعادة طبع ثان، ولقد قال النبي ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أنومها وإن قل)^(٥) (١). وكما هو واضح في هذا المثال فإن الإمام رحمه الله - استدل بالحديث لبيان أهمية الدوام

= كتاب الإيمان باب من نذب من حلف يمين فرأى غيرها خيراً منها، (٣/١٢٦٨)، (ح ١٦٤٩)، (بنحوه).

(١) فتح الباري، كتاب الأيمان والنور، باب قول الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَاتِكُمْ﴾ (٥١٦/١١)، (ح ٦٦٢٢) (بنحوه). وكتاب كفارات الأيمان باب الكفارة قبل الحنث وبعده، (١١/٦٠٨)، (ح ٦٧٢٢) (بلفظه) بيون يا عبد الرحمن بن سمرة والراوي عبد الرحمن.

(٢) يلج: من لج أي أبى أن ينصرف عنه وأصر عليه. انظر: لسان العرب، مادة (لجج)، (٤/٣٩٩٨).

(٣) فتح الباري، كتاب الأيمان والنور، باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (٥١٧/١١)، (ح ٦٦٢٥) (بلفظه). صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الأخذ فيما يتأذى به أصل الخالق بزيادة أتم به عند الله (٣/١٢٧٦)، (ح ١٦٥٥). (بنحوه).

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ٢، ص ٧١.

(٥) فتح الباري، كتاب الرفاق، باب القصد والمداومة على العمل، (١١/٢٩٤)، (ح ٦٤٦٤)، من حديث عائشة ونص الحديث (سدوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وإن أحب الأعمال أنومها إلى الله وإن قل).

(٦) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، ص ٣٣٣.

على فعل الطاعة فإن (كونوا) من النواحي البيانية تتضمن الاستمرار والنوام على الطاعة مما يجعل النفس تتطبع به فيكون جزءاً منها وأحب الأعمال إلى الله تعالى ما أمكن الاستمرار والنوام عليها. ومما سبق يتبين اهتمام الإمام أبي زهرة بتفسير القرآن بالسنة وعدها ركيزة من ركائز التفسير المأثور؛ لأن السنة هي الشارحة والموضحة للقرآن وبهذا يتضح أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - متعاضدان أبداً، ولا يمكن انفرد أحدهما عن الآخر، فرحم الله شيخنا وجزاه على جهوده واهتمامه بسنة رسولنا ﷺ خير الجزاء.

المطلب الثالث

تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

وكما اهتم الإمام أبو زهرة بتفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، اهتم كذلك بتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وذلك لأنهم تلقوا التفسير عن النبي ﷺ وكانوا يسألون فيما يشكل عليهم، وشاهدوا أسباب النزول وهم أعلم للناس بمعاني الألفاظ القرآنية في لغة العرب. وفي حكم الأخذ بتفسير الصحابي يرى الإمام أبو زهرة أن اجتماع فقهاء الصحابة على رأي فقهي يكون حجة، وكذلك إذا لم يرد عنهم في تفسير الآية ما يتعلق بالحلال والحرام إلا رأي واحد، وإذا اختلفوا أجاز الفقهاء المجتهدين أن يختاروا من آرائهم ولا يخرجون عنها^(١) وإلى هذا الرأي مال الدكتور محمد حسين الذهبي^(٢).

ويقول الإمام أبو زهرة رحمه الله: "ومن الموضوعات التي أثر عن الصحابة - رضوان الله تبارك وتعالى عليهم - كلام في الكونيات التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وعده الرواة الذين نسبوه إليهم تفسيراً للآيات الكونية، نقول فيه أنه لا يؤخذ به على أنه حجة إلا إذا كان صريح كلام الله تعالى، أو قد ثبت عن النبي ﷺ - بسند قطعي، أما ما يقال فيما عدا ذلك مما يتصل بالكون، وخلق الله تعالى، فإن خالف علماً قطعياً لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالكذب، فإنه يرد إلى صاحبه"^(٣).

والباحثة توافق الإمام أبا زهرة في رأيه؛ لأنه ليس فيه ما يمس بالصحابة رضوان الله عليهم لأنهم يفسرون بقدر ما يكشف لهم من العلم ويجتهدون في ذلك فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجرٌ واحد، فإن كان في تفسيرهم كلام الله تعالى يؤخذ به وإن كان عكس ذلك وفيه ما يناقض علماً قطعياً حتى ولو كان المفسر صحابياً.

والتابعون هم تلاميذ الصحابة الذين نقلوا إلى الأخلاف أقوالهم في التفسير، وإن ما نكر على أنه أقوال للتابعين عن الصحابة فيما يتعلق بالأحكام الفقهية مقبول النقل، ويعدر نقلهم عن الصحابة حجة عند أكثر الفقهاء، ويرى رحمه الله أن التفسير قد كثر فيه الإسرائليات وجاوزت الحد، وقد رد بعض التابعين كثيراً من هذه الإسرائليات^(٤).

(١) المعجزة الكبرى، ص ٣٩٩-٤٠٢.

(٢) نظر: التفسير والمفسرون، (١/١٠٣).

(٣) المعجزة الكبرى، ص ٤٠٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٠٢، ٤٠٣ (بتصرف).

وقد تمثل اعتماده على تفسير الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - بعدة أشكال وتمثل فيما يلي:

(١) بيانهم لمعاني الكلمات القرآنية:

فسر الإمام - رحمه الله - الكلمات القرآنية بأقوال الصحابة والتابعين، وبيّن معناها للغوي مرجحاً ما يميل إليه مطلقاً سبب اختيار، مثال ذلك:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّمِ اللَّهُ إِلَهُكُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنَّ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥] قال في معنى (سراً): "... روي أن ابن عباس، وابن جبير^(١)، والشعبي^(٢)، ومجاهداً^(٣)، وعكرمة^(٤)، والسدي^(٥)، فسروا (سراً) بألا يأخذ عليها ميثاقاً بألا تتزوج غيره في استسرار وخفيه^(٦).

وان الذي نميل إليه أن (سراً) وصف لمخوف أي لا تواعدهن وعداً سرياً بأي شكل من الأشكال وفي أي موضوع من الموضوعات؛ لأن الإسرار يدفع إلى الخلو...^(٧)

ب. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال: "... والحرمات جمع حرمة، وهو ما لا يحل انتهاكه مما حرمه الله تعالى في الحجمن بعد الإحرام، وهو فرض الحج عليه، وقد روى عن زيد بن أسلم^(٨) أنه قال: (حرمات الحج خمس: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، وما حرمه الله تعالى

(١) ابن جبير: سعيد بن جبيرة الأسدي، الكوفي، ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة روايته عن عائشة وأبي موسى مرسله قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٣٤/١)، (بتصرف)، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م. وانظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب التسعة، للإمام الذهبي، (٢٨٢/١) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

(٢) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد الحميري، أبو عمرو الكوفي، ولد زمن عمر، ثقة، مات سنة ١٠٩ هـ. انظر تذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صححت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، (٢٦٧/١)، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٥ م. انظر: الكاشف، (٤٩/٢).

(٣) مجاهد بن جبير، أبو الحجاج، المخزومي المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، من الطبقة الثالثة، توفي ١٤٣ هـ. تقريب التهذيب، (٢٢٩/٢). وانظر: الكاشف، (١٠٦/٣).

(٤) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، توفي ١٠٧ هـ. تقريب التهذيب، (٣٠/٢) (بتصرف). انظر: الكاشف، (٢٤١/٢).

(٥) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، مات ١٤٧ هـ. انظر تقريب التهذيب، (٧١/١). انظر: الكاشف، (٧٥/١).

(٦) انظر: جامع البيان، (٣٢٤/٢).

(٧) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ٧، ص ٤٨١.

(٨) زيد بن أسلم: أبو أسامة العنوي، مولى عمر، أبو عبد الله، المنني، ثقة عالم، كان يرسل مات سنة ٣٦ هـ. تقريب التهذيب، (٢٧٢/١)، (بتصرف). انظر: الكاشف، (٢٦٣/١).

0090411

على المحرم بعد تواطئه الحج على نفسه^(١) (٢).

يتضح من المثالين السابقين اهتمام الإمام بتفسير الصحابة والتابعين لكتاب الله - ﷻ - فهم أعلم الناس باللغة، وبمعاني الكلمات القرآنية ومقصودها، لأنهم تلقوا تفسير كتاب الله عن رسول الله ﷺ، والإمام وافقهم في تفسيرهم في المثال الأول، وأضاف أن سرّاً لا يقصد بها الوعد عند الزواج فقط، بل أشمل من ذلك فهو أي وعد في أي موضوع لأنه يؤدي إلى الخلوة. وفي المثال الثاني: بيّن الإمام معنى الحرمان واستدل بقول زيد بن أسلم الحرمان خمس، فتيين بكل وضوح المقصود من الحرمان في الآية.

(٢) الاستدلال بأقوالهم في تفسير الآيات القرآنية:

نكر الإمام أبو زهرة تفسير الصحابة والتابعين للآيات القرآنية ومثال ذلك:

أ. عند بيانه لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] قال رحمه الله: "والحسد يذنب النفس ويذهب بفضائلها ولقد قال للحسن البصري: "ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد"^(٣).

وإن من يحسد يعادي نعمه، لأنه كلما أتى الله أحداً نعمة نقمها على صاحبها، فكأنما يعادي الله الذي أعطاه، ويعاديها، ولقد قال عبد الله بن مسعود: "لا تعادوا نعم الله! قيل له: ومن يعادي نعم الله! قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"^(٤) (٥).

ب. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] قال: وقد فسر بعض العلماء أن المراد من الزوال المنفي أنهم لا يزولون ثم يبعثون، وهذا تفسير مجاهد تلميذ ابن عباس ترجمان القرآن، كما أسماه عبد الله بن مسعود، ويكون المعنى على هذا التفسير ما لكم من زوال من هذه الدنيا تنتقلون من بعده إلى الآخرة^(٦) (٧).

وفي المثالين السابقين يلاحظ تفسير الصحابة والتابعين للآيات القرآنية ففي المثال الأول:

بيّن قول الإمام الحسن البصري والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود خطر الحسد وعده من معادة

(١) انظر: جامع البيان (١١٢/١٧)، الكشاف (١٢/٣).

(٢) زهرة التفاسير، [الحج: ٣٠].

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٥١/٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٢٥١/١).

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٣، ص ١٣٠.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/٩).

(٧) زهرة التفاسير، [إبراهيم: ٤٤].

نعم الله تعالى، وفي المثال الثاني فسر مجاهد معنى الزوال بأنهم لا يبعثون ولا يحشرون.

(٣) الاستدلال بتفسيرهم للأحكام الفقهية ومناقشتهم والترجيح بينهم:

كثيراً ما يستدل الإمام أبو زهرة بأقوال السلف الصالح في التفسير الفقهي لآيات الأحكام فهو ينقل أقوالهم ثم يناقش هذه الأقوال مرجحاً ما يراه صواباً مع ذكره للدليل ومثال ذلك: عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قال رحمه الله: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي اعتزلوهن في وقت الحيض، والمراد بالاعتزال الامتناع عن المباشرة، وقد روي عن ابن عباس أن المراد بالاعتزال هو اعتزال الفراش وهو في ذلك أقرب إلى مسالك اليهود، ولكن تلك الرواية شاذة لا يلتفت إليها، ولا تنقض إجماع العلماء على أن المراد بالاعتزال هو الامتناع عن المباشرة، لا ترك الفراش وتجنب النوم معها على فراش واحد، فقد أجمع العلماء، وتضافرت الروايات على أن المنهي عنه فقط هو المباشرة نفسها.

ولعل تلك الرواية المروية عن ابن عباس -رضي الله عنه- تتجه إلى أن اعتزال الفراش بأن ينام في مكان وهي في مكان إنما هو للاحتياط حتى لا يكون اتحاد الفراش مؤدياً إلى ذلك الأمر الممنوع ولئن أخذنا بهذه الرواية لكان تحريم المباشرة لذاته، وتحريم الاجتماع في المبيت على فراش واحد لغيره؛ لأنه يؤدي إلى الممنوع لذاته^(١).

وفي المثال السابق رد الإمام أبو زهرة رواية ابن عباس واعتبرها رواية شاذة لا يلتفت إليها لأنها تخالف إجماع العلماء وتخالف الروايات الكثيرة التي تنكر أن المنهي عنه هو المباشرة نفسها، ثم علل بأن المقصود من الرواية ربما وجه آخر غير الذي فهم به، وهو أن المقصود باعتزال الفراش إنما هو للاحتياط حتى لا يؤدي اتحاده إلى الأمر الممنوع.

وبالبحث عن مصدر هذه الرواية لم تجد الباحثة لها أصلاً لا في كتب المأثور ولا في كتب الصحاح والسنتن مما يدل فعلاً على أن هذه الرواية موضوعة .

(٤) استئناسه بعمل الصحابة في تفسير القرآن:

استأنس الإمام أبو زهرة -عليه رحمة الله- في تفسير القرآن بمل الصحابة رضي الله عنهم، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تُلُوا الصَّلَاتِ فَعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. حيث قال: "أثار العلماء بحثاً في أيهما أفضل صدقة السر أم صدقة الجهر؟ وقبل أن

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١، ص ٧، ٨.

نخوض في أقوال الفقهاء في ذلك نقرر أن الصحابة أثرت عنهم صدقات الجهر كما كان معلوماً عنهم أنهم يتصدقون ويخفون حتى لا تعلم شمالهم ما تنفق يمينهم.

ومما يروى في صدقاتهم التي كانت معروفة أن عمر -رضي الله عنه- جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بنصف ماله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما خلفت وراعت لأهلك يا عمر؟ قال: خلفت لهم نصف مالي، وفي هذا الوقت جاء أبو بكر بكل ماله، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما خلفت وراعت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: عدة الله وعدة رسوله. فبكى عمر وقال: بأبي أنت وأمي يا أبا بكر، والله ما استبقنا إلى خير قط إلا كنت سابقاً)^(١) وتبرعات عثمان كثيرة مشهورة معلمة بيّنة، دونتها كتب التاريخ، والسيرة المحمدية الشريفة^(٢).

يتضح من هذا المثال أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- استأنس بأفعال الصحابة -رضي الله عنهم- في الصدقات وذكر راويه عن الصدقة يدل بها بأفعال الصحابة -رضي الله عنهم-.

ب . وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] قال رحمه الله: "...إن السلف الصالح كانوا ينكرون أسماءهم عند الاستئذان والاستئناس، فعمر -رضي الله عنه- استأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال عمر: وكذلك أبو موسى الأشعري..."^(٣)

وخلاصة القول مما سبق أن الإمام أبا زهرة يعتبر التفسير بالمأثور بأنواعه الثلاثة وهي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين من أهم مصادر التفسير وأحسنها حيث ظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال تفسيره.

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، (٢/١٢٩٠)، (ح ١٦٧٨)، دار الفكر (بنحوه). سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، (٥/٦١٤)، (ح ٣٦٧٥) (بنحوه) قال عنه الترمذي (حسن صحيح). ومستدرک الإمام الحاكم على الصحيحين، (١/٤١٤)، (بنحوه) دار الكتاب العربي، حكم عليه بأنه حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ١، ص ٨، ٩.

(٣) زهرة التفاسير، [النور: ٢٧].

المبحث الثاني منهجه في علوم القرآن

علوم القرآن هي علوم تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه أو نحو ذلك (١).

وعلوم القرآن تشمل علوم شتى فيها خدمة كتاب الله -عز وجل-، وقد اهتم الإمام أبو زهرة بهذه العلوم اهتماماً واضحاً من خلال تفسيره، حيث تعرض للقراءات ولأسباب النزول، وللناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وغير ذلك وفيما يلي بيان لمنهجه في علوم القرآن.

المطلب الأول القراءات القرآنية

أولاً: تعريف القراءات:

أ. لغة: من قرأه، يقرؤه، قراءة وقرآنًا، وهي مشتقة من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه لأن السور والآيات تقرن فيه وقيل مشتقة من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضاً. ومعنى القرآن الجمع، وسمي القرآن قرآنًا، لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي جمعه وقراءته ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي قراءته.

ورجل قارئ من قوم قراء وقراءة وقارئين، وأقرأ غيره يقرئه إقرأً ومنه قيل فلان المقرئ (٢).

ب. اصطلاحاً:

هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله (٣).

ويتضح من التعريف السابق للقراءات أن القراءات هي تلك الاختلافات الحاصلة في تلاوة كلمات القرآن بالأوجه المختلفة التي نزلت على رسولنا -ﷺ- تيسيراً على الأمة معزواً إلى من رواها بسند إلى الرسول ﷺ.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (٢٨/١)، دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٩٦م.

(٢) انظر: لسان العرب (٣٥٦٣/٤)، مادة (قرأ).

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام شمس الدين ابن الجزري، ص ٣، طبعة ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية.

ثانياً: قبول القراءة عند الإمام أبي زهرة:

يرى الإمام أبو زهرة أنه لا عبرة إلا بالقراءات المتواترة، لأنها هي التي تتناسب مع تواتر القرآن، وحفظه في الأجيال إلى يوم القيامة، ولأن الله قد وعد بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] (١).

وعلى ذلك فالإمام أبو زهرة لا يقبل من القراءات إلا المتواترة كما صرح سابقاً، ولا يقبل أن تتحكم قواعد النحاة في القرآن، لأن القرآن هو الأصل الذي يبنى عليه قواعد النحو، إلا أن الباحثة لاحظت أنه يذكر قراءات شاذة في تفسيره ولكن هذا قليل جداً وسوف يتضح ذلك من خلال منهجه في القراءات.

ثالثاً: منهجه في عرض القراءات القرآنية:

سار الإمام أبو زهرة في عرض القراءات القرآنية على عدة صور مختلفة، إلا أنه يشكر على كثرة توجيهه للقراءات وخصوصاً إذا بُنيَ على هذه القراءة اختلاف فقهي، هذا إلى جانب التوجيه الجميل والمفيد للقراءات، وفيما يلي عرض لمنهجه في القراءات القرآنية.

(١) عرض القراءة ونسبتها إلى راويها وتوجيهه لها أحياناً:

كان الإمام -رحمه الله- يذكر القراءة لكلمة قرآنية وينسبها إلى قارئها وقد يوجهها أحياناً،

مثل ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] حيث قال: "قرأ الجمهور في هذا النص بولوين (وإن تلووا) وقرأ حمزة وبعض الكوفيين بواو واحدة، (وإن تلووا أو تعرضوا) (٢) ومعنى النص على القراءة الأولى وإن تلووا في الحكم أو في الشهادة بأن تحكموا بغير الحق، أو شهدوا بغير الحق، أو تحرفوه، أو توجهوا الكلام إلى غير وجهته في الشهادة بأن تظهروا في الكلام معنى، وتعرضوا بغيره قاصدين له لكيلا تكون الشهادة على وجهها، فإن كل هذا لي للكلام، إذ لي الكلام تحريفه وتوجيهه إلى غير وجهته السليمة، وذلك يشمل قول الباطل والحكم به، وتلوية مقاصد القوم وإيهامه والإعراض معناه الامتناع المطلق عن الشهادة أو الحكم وجواب للشرط هو التهديد الشديد بالعذاب الأليم تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٣).

(١) المعجزة الكبرى، ص ٤٠، (بتصرف).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢/٢٥٢)، قرأ (بواو واحدة) حمزة وابن عامر، دار الكتب العلمية.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٧، العدد ٨، ص ٤٨٨.

وفي المثال السابق عرض المفسر القراءتين المتواترتين ونسب كل قراءة إلى قارئها وقام بتوجيه القراءة الأولى على أن (تلوا) من لي الكلام وتحريفه وتوجيهه على غير وجهته وعلى غير الحق، ولم يوجه القراءة الثانية وكأنه يميل إلى قراءة الجمهور.

(٢) عرض القراءة دون نسبتها إلى قارئها، والحكم عليها أحياناً مع التوجيه:

كان الإمام رحمه الله - في بعض الأحيان لا ينسب القراءة إلى قارئها، وينكر الحكم على القراءة أحياناً ويوجهها، ومثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذُّبُ عَذَابًا لَا أَعَذُّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. قال في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا﴾: "وفي هذا النص قراءتان متواترتان، أو لاها تشديد الزاي، والثانية تخفيفها،^(١) وعلى القراءة الأولى يكون المراد من تشديد النزول تكراره، كما نقول نقبل المراد كثرة القتل والتكرار.

والثانية: تحمل على معنى الكثرة التي نلت عليها القراءة الأولى، والتكثير في الحالين يفيد أنها نزلت عليهم من وقت لآخر، وفي تكرار نزولها تكرار لأسباب لطمئنتهم وشدة تصديقهم، وإخلال السرور عليهم وتأكيد معنى العيد لهم، وارتزقهم رزقاً حسناً لم يرزقه أحد من العالمين قبلهم"^(٢). وفي هذا المثال عرض القراءتين لكلمة (منزلها) مبيناً لدرجتها بدون نسبتها إلى القراء، مع توجيهه للقراءتين على أنهما مقبولتان.

(٣) عرضه للقراءة دون توجيهها أحياناً:

ومن منهجه رحمه الله - في القراءات أنه ينكر في بعض الأحيان القراءة مجرد نكر دون توجيهها، مثال ذلك:

قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَتْمْ أَوْ يُحَاجُّوَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]. "فيها قراءتان أحدهما بهمزة واحدة، والأخرى بهمزتين، إحداهما مسهلة والثانية قراءة ابن كثير^(١)، وإحدى الهمزتين على هذه القراءة تكون الإستفهام

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، (٤٢٣/١)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م. قرأ بالتشديد نافع، وعاصم، وابن عامر، وقرأ الباقون بالتخفيف. وانظر: حجة القراءات، لأبي زرعة ابن زنجلة. ص ٢٤٢، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٢، العدد ١٢، ص ٦٤٠.

الإنكاري" (٢).

والإمام أبو زهرة في هذا المثال عرض القراءة في قوله (أن يُوتَى) مع نسبة إحدى القراءتين إلى قارئها فقط، دون بيان نوعها، ودون توجيه القارئتين، هذا إلى جانب أنه لم يحدد ما هي الكلمة التي فيها قراءتان.

(٤) عرض القراءة التي فيها زيادة أو نقص بعض حروفها مع توجيهها:

عرض الإمام أبو زهرة القراءة التي تقرأ بالوصل ومن غير وصل مع توجيهها، مثل ذلك: عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. قال "في هذه الآيات بيان معنى هذه الطاعة المطلوبة التي تؤدي إلى التراحم والتواصل والتواد ولذلك كانت هناك رواية بالقراءة من غير وصل بالواو، فقد قرئ (سارعوا) بدل (وسارعوا) (٣) وإن رواية القراءة من غير وصل واضحة من حيث النسق في أنها تفصيل لمعنى الطاعة المطلوبة، والقراءة المشهورة التي عليها القراء السبعة فيها ما يدل على أنها لبيان معنى الطاعة بالمعاني لا بالنسق" (٤).

وفي المثال السابق نكر الإمام أبو زهرة قراءتين لكلمة (وسارعوا) أحدهما (بالواو) والثانية بدون (واو) وقام بتوجيه القارئتين وعد القراءة من غير وصل بالواو أنها من حيث النسق تفصيل لمعنى الطاعة المطلوبة والقراءة الثانية بالواو أنها بيان معنى الطاعة بالمعاني لا بالنسق وعدها قراءة للقراء السبعة والصحيح أن القراء السبعة ليسوا كلهم قالوا بهذه القراءة.

(٥) استشهاده بأقوال المفسرين في القراءات:

استشهد الإمام محمد أبو زهرة بأقوال المفسرين في عرضه للقراءات أثناء تفسيره ومن ذلك استشهاده بقول الإمام الطبري أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. قال رحمه الله: "وفي للنص قراءتان: أحدهما ضم للتاء (فتنتهم) والمراد من الفتنة الاختبار الشديد بهول ما رأوا، والمعنى على هذه القراءة وهي قراءة حفص وكان من أثر

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٣٤٧/١)، وانظر: حجة القراءات ص ١٦٥، قرأ ابن كثير بهمزتين

مع تسهيل الهمزة الثانية، (أن يُوتَى)، وقرأ الباقون بهمزة واحدة.

(٢) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٥، ص ٢٧٢.

(٣) قرأ المديان وابن عمر (سارعوا): وكذلك في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو. انظر: النشر في

القراءات العشر (٢٤٢/٢). وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٥٦/١).

(٤) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٢، العدد ١، ص ٥.

الاختبار والهول الشديد الذي رأوه يوم الحشر والحساب أن نسوا ما كانوا عليه من شرك وقالوا مقسمين بالله ﷻ **وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** أي أنهم أقسموا بالله غير صادقين بالحقيقة. والقراءة الثانية: بفتح التاء، والياء في (يكن) ^(١)، ويعتبر اسم يكن هو (أن قالوا)، وقد رجح هذه القراءة ابن جرير الطبري، وقال في معناها: (ثم لم يكن فيلهم عند فتننا إياهم اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله إلا أن قالوا ﷻ **وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام، وإنما الفتنة الاختبار والابتلاء، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقح هنالك إلا عند الاختبار وضعت الفتنة التي هي الاختبار مع الخبر عند جوابهم واعتذارهم) ^(٢) ^(٣).

ومن الملاحظ أن الإمام أبا زهرة نكر في تفسير هذه الآية قراءتين متواترتين، دون نسبتها إلى قارئها إلا أنه نكر قراءة لحفص فقط، ولم يبنه على درجة هاتين القراءتين، وهناك قراءة ثالثة لم ينكرها وهي قراءة النصب (فتنهم)، ثم استشهد بقول الإمام الطبري بترجيحه للقراءة الثانية (يكن)، ولم يعلق الإمام على هذا الكلام وكان من المفروض على الإمام أن يعلق بأن القراءتين متواترتان ولا يجوز ترجيح قراءة على أخرى لأن كلتا القراءتين قرآن.

(٦) تأكيده على أن قراءات القرآن لا تخضع لقواعد النحاة:

أكد الإمام أبو زهرة في أكثر من موضع على أن قراءات القرآن لا تتحكم فيها قواعد النحاة، بل قواعد النحو هي التي تخضع للقرآن لأنه هو الأصل الذي يبني عليه قواعد النحو. بين الإمام أبو زهرة ذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: ١] حيث قال " (والأرحام) قرئت بفتح الميم، ويكون المعنى اتقوا الله واتقوا الأرحام، ومعنى اتقاء الأرحام ألا يقطعوها، بأن يجعلوا لها وقاية من المودة والواصله، والأرحام هنا هي كل الصلات الإنسانية التي وصل بها بين الخلق بخلقهم من نفس واحدة، وبالأولى تنخل الأرحام الخاصة والقربات القريبة. ويصح أن يكون المعنى اتقوا الله الذي يتساءلون به والأرحام، وتكون اللولو ولو للمعية وتتلاقى هذه مع قراءة الكسر ^(٤)، وقراءة الكسر قد تتعارض مع

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر وخلف (لم تكن فتنتهم)، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص (لم تكن فتنتهم)، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب (لم يكن فتنتهم). الكشف عن وجوه القراءات السبع (٤٢٦/٢)، (بتصرف).

(٢) جامع البيان (١٠٦/٧).

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٣، العدد ٨، ص ٤٠٩.

(٤) قرأ (الأرحام) بالكسر حمزة وبالنصب (الأرحام) قراءة الباقيين. النشر في القراءات العشر (٢٤٧/٢)، (بتصرف).

. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٣٧٥/٢).

قواعد النحاة الذين قد يقولون إن العطف لا يكون على ضمير موصول مجرور، ولكن قراءات القرآن المتواترة فوق قواعد النحاة، وهي أصدق في الفصحى^(١). وفي هذا المثال نكر الإمام أبو زهرة قراءتين بالفتح والكسر وأكد على أن قراءة الكسر التي تتعارض مع قواعد النحاة هي قراءة متواترة وفوق قواعدهم وأنها أصدق في الفصحى.

(٧) توجيهه للقراءات التي يترتب على اختلافها اختلاف فقهي:

اهتم الإمام أبو زهرة بتوجيهه للقراءات التي يبنى عليها اختلاف فقهي ومن الأمثلة على

ذلك:

أ. عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قال والقراءة المشهورة بضم الهاء في (يطهرن) من غير تشديد الطاء. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية المفضل: (يطهرن) بفتح الهاء، وتشديد الطاء^(٢)... وقوله تعالى في القراءة المشهورة (يطهرن) يكون معناها انقطاع الدم، لأنه إذا كان سبب الأذى هو الدم، فانقطاعه طهور منه، فهو وصف وحال قائمة بالمرأة تثبت عند انقطاع الدم لزوال سبب النجاسة.

وأما قراءة (يطهرن) فمعناها يغتسلن؛ لأن التطهر غير الطهور، إذ هو فعل من المرأة نفسها منسوب حدوثه إليها، فهي التي تنشئه لأنه حال طهر يعود بعد زوال سبب النجاسة المؤقتة. هذا تفسير بعض العلماء، وبه أخذ الحنفية وقال آخرون وعلى رأسهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري^(٣): إن القراءتين في معناهما واحد، وهو التطهر، فلا تعد طاهرة إلا بالاعتسال، وهذا ما سلكه جمهور الفقهاء غير الحنفية.

وقد انبنى على ذلك الخلاف في التفسير خلاف فقهي فالحنفية قالوا إنه بمجرد انقطاع الدم إذا كان الانقطاع لأقصى مدة الحيض وهو عشرة أيام تحل المباشرة ولو قبل الاعتسال أخذاً بالقراءة المشهورة وهي قراءة (يطهرن) لتأكد زوال الدم، وبه الطهارة، وإن كان الانقطاع لأقل من عشرة أيام فلا بد من تأكد زوال الدم بعمل آخر من جانبها وهو الاعتسال الفعلي، وبذلك تنطبق قراءة (حتى يطهرن) فالحنفية قد أعملوا القراءتين في نظرهم.

وغيرهم لم يفرق بين القراءتين في المعنى وفسرهما بمعنى الاعتسال فلا تحل قبله مطلقاً، فالطهر حقيقة فيه وغيره مجاز، ولا قرينة تكل على إرادة المعنى المجازي، فلا يعدل عن الحقيقة

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٣، العدد ٩، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) القراءة المشهورة الأولى هي قراءة الجمهور. انظر: حجة القراءات، ص ١٣٥

(٣) انظر: جامع البيان، (٢/٢٢٧-٢٢٨).

وفوق ذلك فإن إباحة المباشرة صرح فيها بأن ذلك متصل بالتنظير^(١).

ومما سبق يتضح أن اختلاف القراءة بيني عليها اختلاف فقهي كما ذكر سابقاً في (يطهرون) (يطهرون) وهناك من المفسرين الذين لم يفرقوا بالمعنى بينهم، وقد بين الفرق الإمام أبو زهرة من حيث المعنى وبين الحكم الفقهي الذي اختلف باختلاف القراءة مجمعاً أن القراءتين متواترتين ويمكن العمل بهما.

ب. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]. قال: "وقوله تعالى: (أو لامستم) في قراءة (أو لامستم)^(٢) كناية عن الدخول بهن، فهو لا يعبر عن هذا المعنى إلا بهذه الكناية الظاهرة، ومثله المس يعبر به عن الدخول فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ تَمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وقال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦] ففي هذه العبارات السامية وأمثالها، يكون المس المراد به الدخول، وقد جوز الشافعي الجمع بين الحقيقة والمجاز، فلم يمنع أن يراد باللمس معناه الحقيقي وهو مس بشرة الجسم، ومعناه المجازي أو الكنائي، وهو الدخول بالمرأة، ولذا نقض الوضوء عنده بمطلق لمس لمرأة ليست ذلت رحم محرم ما دامت قد بلغت البلوغ الطبيعي^(٣). وفي هذا المثال أيضاً أنبنى على اختلاف القراءة اختلاف فقهي في (أو لامستم) فمن العلماء من قال أن للمس الجماع ومنهم من قال أنه اللمس أي لمس البشرة وهناك من العلماء كالشافعي جمع بين القراءتين بالجماع واللمس أيضاً.

(٨) استشهاده بالقراءات الشاذة أحياناً:

استشهد الإمام أبو زهرة في معظم تفسيره بالقراءات المتواترة التي يؤكد على ضرورة الأخذ بها، إلا أنه نكر في تفسيره قراءات شاذة، لكنها قليلة جداً، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال رحمه الله: "ولقد قرأ أبي والأعمش (إلا

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١، ص ٨، ٩.

(٢) قرأ للجمهور (أو لامستم) وقرأ حمزة والكسائي (أو لامستم) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، (١/٣٩١، ٣٩٢) وانظر: حجة القراءات، ص ٢٠٥.

(٣) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٤، العدد ١١، ص ٦٦٤.

قليل) (١) ومن المعروف أن المستثنى بعد الكلام التام الموجب يكون المستثنى منه منصوبًا، فما وجه الرفع هنا؟ قالوا: إن معنى (فشربوا) أنهم ليسوا (منه، لأنه تبين الارتباط اللازم بين الشرب، وكونهم ليسوا منه، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فالمعنى إن (فليسوا منه إلا قليل منهم) فقراءة الرفع إيماء ببلغ بمقتضى المنهاج العربي إلى تضمن فشربوا معنى فليسوا منه المصرح به سابقاً... (٢).

وهذه القراءة التي نكرها الإمام أبو زهرة قراءة شاذة لا يؤخذ بها.

يتضح مما سبق مدى اهتمام الإمام أبي زهرة بعلم القراءات القرآنية واهتمامه بالقراءات المتواترة ورفضه لأن يكون القرآن خاضعاً لقواعد النحاة وهذا يدل على تبحره في هذا العلم.

(١) انظر إعراب القراءات الشواد، لأبي البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، (٢٦٣/١) عالم الكتب الطبعة

الأولى ١٩٩٦م. وانظر: فتح القدير، (٣٣٦/١).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٣، ص ١٣٩، ١٤٠.

المطلب الثاني أسباب النزول

تعريف أسباب النزول:

سبب النزول هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال^(١). وهو علم هام من علوم القرآن يجب على كل مفسر معرفته؛ لأن معرفته تجعل الإنسان يعيش في عهد النزول ويحيط بالظروف والملابسات التي نزلت الآيات بشأنها، وهو كذلك يعين على فهم الآية ويدفع الإشكال عنها^(٢).

والإمام أبو زهرة - رحمه الله - اهتم بعلم أسباب النزول في تفسيره واهتماماً واضحاً.

وفيما يلي بيان لمنهجه في أسباب النزول:

(١) استعراضه لسبب النزول بعد شرح الآية وبيان مفرداتها أحياناً:

الإمام أبو زهرة لا يبدأ مباشرة بذكر أسباب النزول بعد نص الآية أحياناً، بل يذكر معنى المفردات ثم يتبعها بتمهيد ثم يذكر أسباب النزول ومثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩] قال رحمه الله: "هذا أمر موجه للنبي - ﷺ -، وهو موجه إلى الأمة الإسلامية،... والفتنة هنا معناها وقوع البلاء والشدة بعدم الحكم بما أنزل الله، ولقد قال في معنى هذا النص وما يشبهه الأصفهاني في مفرداته: (وقال تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] أي يوقعونك في بلية وشدة في صرفهم إياك عما أوحى إليك)^(٣).

فالفتنة المراد بها هنا النتيجة المترتبة عن ترك الحكم بما أنزل الله تعالى، وإنه ليسبق تلك النتيجة إغراء من جانب الذين يتبعون أهواءهم، ويحاولون أن يكون الحق تبعاً لما يهون، لا أن يكون هواهم تبعاً للحق، وكان إغراؤهم من الفتنة لأنه يؤدي إلى وقوع الشدائد، ولأن الإغراء كيفما كانت صورته فيه اختبار للنفوس، فالهداية البالغة أقصى الحكمة ترد الإغراء كيفما كانت صورته، وضعفاء النفوس أو العقول يفترون، فيقعون في البلية والشدة، وفي التفسير المأثور أن بعض أخبار

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، (١٠٦/١)، دار الكتب العلمية ١٩٩٦م. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٧٨.

(٢) انظر: مناهل العرفان، (١٠٦/١ - ١٠٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧٤ دار المعرفة، لبنان، طبعة أولى ١٩٩٨م.

اليهود قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعنا نفتته عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسانتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود، ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله - ﷺ -، فأنزل ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (١) (٢).

وفي المثال السابق، تلاحظ الباحثة أن الإمام أبا زهرة - رحمه الله - لم يبدأ مباشرة بنكر أسباب نزول الآية بل بدأ بالحديث عن توجيه الخطاب إلى النبي - ﷺ - وإلى أمة الإسلام ثم بين المفردات في الآية مستشهداً بقول الأصفهاني ثم دخل بتمهيد تحدث فيه عن تفسير الآية ذاكراً بعد ذلك رواية في أسباب نزول الآية.

(٢) عدم ذكره لسند الرواية في سبب النزول غالباً:

عند نكره لأسباب النزول لا ينكر السند غالباً، ولا ينسب الرواية إلى أئمة الحديث أحياناً،

ولا يحكم عليها، مثال ذلك:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قال رحمه الله: لقد روى ابن عباس عن النبي - ﷺ - أنه كان يأمر بالأيتصدق إلا على أهل الإسلام فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ وقال ابن عباس أيضاً: كانوا أي أصحاب رسول الله يكرهون أن يرضخوا لأسبابهم من المشركين فسألوا رسول الله فرخص لهم، فنزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) ويهذين الخبرين يبين أن هذه الآية نزلت لبيان أن الصدقة تسوغ على غير المسلم إذا كان في حاجة لها (٤).

ب. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] قال: "وفي هذه الآية يدعو إلى الطاعة لا خوف العقاب ولا رجاء الثواب، ولكن لأن الطاعة تؤدي إلى أعلى منازل السائرين، وهي المحبة، محبة الله لعبده ومحبة العبد لربه قال

(١) انظر: أسباب النزول، لأبي الحسن بن أحمد الواحدي، ص ١٣٢، بنحو الروايات، مؤسسة الحلبي طبعة ١٩٦٨م.
لسباب النقول في أسباب النزول، للإمام جلال الدين السيوطي، ص ٩٢، دار إحياء العلوم، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.
وانظر: جامع البيان، (١٧٧/٦).

(٢) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٥ ص ٢٦٩.

(٣) السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق د. عبد الغفار البذاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (٦/٦)

(٣٠٥) (ح ١١٠٥٢) دار الكتب العلمية، طبعة أولى ١٩٩١م. لباب النقول ص ٤٩. تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٨).

(٤) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١، ص ١٠.

بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله تعالى آية المحبة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (١) (٢).

وفى المثالين السابقين ذكر الإمام أبو زهرة روايات أسباب النزول بدون تخريجها، ومن الملاحظ أن منهجه هنا اختلف حيث بدأ بعد نص الآية بذكر أسباب النزول مباشرة.

(٣) نقل أسباب النزول عن كتب التفسير:

كان رحمه الله -يحيل رواية أسباب النزول إلى كتب التفسير أحياناً، كما أنه ينسب الرواية إلى من خرجها من أئمة الحديث أحياناً أخرى، ويرجح بين الروايات في بعض الأحيان ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] قال رحمه الله: "ولكن المفسرين ينكرون لهذه الآية سبباً للنزول، فيروي النسائي عن ابن عباس أنه قال: (كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم، فأرسل إلى قومه يطلب إليهم أن يسألوا الرسول -ﷺ- هل من توبة؟ فنزلت الآية) (٣).

وروي عن مجاهد أنه جاء الحارث بن سويد فأسلم عند النبي -ﷺ- ثم كفر فرجع إلى قومه نادماً، فأنزل الله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ فحملها إليه رجل من قومه فقال الحارث: (إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة ثم رجع وأسلم) (٤).

وروي عن الحسن البصري أنه قال: (إنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين رأوا نعت النبي -ﷺ- في كتابهم وشهدوا أنه حق، فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك وأنكروه وكفروا بعد إقرارهم) (٥).

(١) انظر: أسباب النزول، للواحدى، ص ٦٦، والرواية في هذا الكتاب بمعنى هذه الرواية وهي للحسن البصري وابن جريج. وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/٣٣٩).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٦، ص ٣٣٩.

(٣) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد (١٠٧/٧)، (ح ٤٠٦٨) (بنحوه) ذكر المفسر الشاهد فقط.

(٤) السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، كتاب المرتد، باب ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقاً كان أو غيره، (٣٤٢/٨)، (ح ١٦٨٣) (بنحوه) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م. أسباب النزول، للواحدى، ص ٧٥، (بنحوه). لسباب النقول ص ٥٥، والرواية بنصها في لباب النقول. وانظر: جامع البيان، (٤/٢٤١). وانظر:

تفسير القرآن العظيم، (١/٣٥٨، ٣٥٩).

(٥) جامع البيان (٤/٢٤١).

وإن هذا هو الذي أميل إليه، فقد قال تعالى في شأن اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] وإن قصص القرآن فيه بيان قصص لليهود، ومعاملتهم للمسلمين، وتلقيهم لهداية القرآن، وتواصيهم بالنفاق والكفر، ومهما يكن سبب النزول فإن الآية تقرر حقيقة ثابتة وهي أن النفس التي تشهد بالحق وتؤمن به ثم تكفر للهوى والعصبية لا يرجى لها هداية إلا أن تزيل ذرّن الغرض وتتخلع عن العصبية الجامحة بالتوبة النصوح^(١).

وفي هذا المثال تلاحظ الباحثة أن الإمام أبا زهرة نقل عن كتب التفسير أسباب النزول، وروى بعض الروايات عن أئمة الحديث. ثم قام بالترجيح بين هذا الروايات معللاً سبب ترجيحه، معتبراً أنه مهما يكن سبب النزول، فالآية الكريمة تقرر حقيقة ثابتة بأن النفس المؤمنة التي تكفر بعد إيمانها لا سبيل لها إلى الهداية إلا التوبة النصوح، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٤) تعدد الروايات والسبب واحد:

عند وجود روايات مختلفة اللفظ، متحدة المعنى: فإن الإمام -رحمه الله- لا ينكرها؛ لأنها تتلاقى عند معنى واحد ويكتفي بذكر رواية واحدة ومثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ...﴾ [النساء: ٩٤] قال: "روى في سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة كلها تتلاقى عند معنى واحد وهو أن المجاهدين الأطهار قتلوا رجلاً نطق بالشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله بعد أن لستمك للمسلمون من رقبته، أو قال للمجاهدين: السلام عليكم فقتلوه.

وقد جاء في (أحكام القرآن) للقرطبي: (في سنن ابن ماجه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله -ﷺ- من المسلمين إلى المشركين بعثاً، فقاتلوهم قتالاً شديداً، فمناحوهم أكتافهم فحمل رجل على رجل من المشركين: فلما غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، إني مسلم فطعنه فقتله، فأتى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: (وما الذي صنعت، مرة أو مرتين)؟ فأخبره بالذي صنع، فقال رسول الله ﷺ: (فهلا شققت عن بطنه، فعلمت ما في قلبه... فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه)^(٢).

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ١٠، ص ٥٧٨.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، كتاب العنق، باب الكف عن قال لا إله إلا الله، (٣٤٧/٢، ٣٤٨) (ح ٣١٧٥)

نكر الشاهد فقط (بنحوه)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦ م.

وروي في مثل ذلك بالنسبة لأسامة بن زيد ، فقد قتل رجلاً نطق بالشهادتين، فلامه النبي ﷺ - فقال أسامة: لقد قالها تحت حر السيف؛ فقال النبي ﷺ : (هلا شققت عن قلبه) (١) (٢) .
ولعل وقائع قد وقعت من هذا الصنف، والقتال شديد، وقد حمى الوطيس، فجاء الأمر الكريم بالتنبيه (٣)

والمثال السابق يوضح أن الإمام -رحمه الله- كان يهتم بذكر رواية أو اثنتين إذا كانت الروايات متعددة اللفظ، متفقة المعنى؛ لأنه لا داعي لذكرهم ما دام المعنى واحد، وفي هذا المثال أراد الإمام أن يقول لنا وإن تعددت الروايات، فإنها تقرر معنى واحد وهو أنه لا يجوز قتل من قال لا إله إلا الله.

ويلحظ مما سبق أن الإمام أبا زهرة اهتم بأسباب النزول اهتماماً واضحاً لكنه لم يلتزم الدقة في عرض روايات أسباب النزول، حيث إنه لم يذكر السند غالباً، ولم يرجح بين الروايات إلا قليلاً. ومما يؤخذ عليه أنه لم ينبه أنه اختصر الرواية، أو ذكرها بمعناها أو بنحوها، وهذا كثيرٌ حدث أثناء عرضه لروايات أسباب النزول دون التنبيه لذلك.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافرين لمن قال لا إله إلا الله ، (٩٦/١) (ح ١٥٨) هذا الحديث

نكره الإمام مختصر من حديث طويل. أسباب النزول ، ص ١١٦ ، (بمعناه).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٥/٣٣٦، ٣٣٧).

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٦، العدد ٥، ص ٢٧٨.

المطلب الثالث الناسخ والمنسوخ

أولاً: تعريف النسخ:

لغة: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه^(١)، وهو إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه قال تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] (١).
إصطلاحاً: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي (٢).

وبذلك يتبين التقارب الواضح بين معنى النسخ في اللغة والاصطلاح، وهو أن النسخ إزالة أو تبديل حكم شرعي بحكم شرعي آخر يتعقبه أفضل منه أو مثله، والنسخ بين حكمة الله في سير التشريع الإسلامي بالتدرج في الأحكام من أجل تربية البشر، دون المفاجأة حتى لا يشق عليهم التكليف؛ مما يدل على أن القرآن تنزيل من رب العالمين.

ثانياً: أدلة وقوع النسخ:

اختلف العلماء حول وقوع النسخ في القرآن الكريم ما بين مؤيد ومعارض، والجمهور على وقوع النسخ سمعاً وعقلاً^(٤) وإليك أدلة الجمهور على ذلك مع توجيه الشيخ الزرقاني لهذه الأدلة .

١. قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] .
٢. قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] إن دلالة هاتين الآيتين على وقوع النسخ ملحوظ فيها أنهما نزلتا رداً على طعن الطاعنين على الإسلام وبني الإسلام بوقوع النسخ في الشريعة المطهرة.
٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ

(١) انظر: لسان العرب، مادة (نسخ)، (٤٤٠٧/٥).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٤٩٢.

(٣) مناهل العرفان، (١٩١/٢). مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٣٨.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، (٣٦/٢). انظر: الاتقان في علوم القرآن (٦/٣). وانظر: مناهل

العرفان، (٢٠٣/٢). وانظر: ناسخ القرآن ومنسوخه، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: حسين الداراني،

(١٠٨/٢)، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

- أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [النحل: ١٠١] ووجه للدلالة في هذه الآية أن للتبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات البديل وذلك هو النسخ سواء أكان المرفوع تلاوة أو حكماً.
٤. قوله تعالى: ﴿فَبَطَّلْنَا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] ووجه الدلالة فيها تفيد تحريم ما أحل من قبل، وما ذلك إلا نسخ، وحكمه (أحلت لهم) يفهم منه أن الحكم الأول كان حكماً شرعياً لا براءة أصلية^(١).
٥. أن سلف الأمة أجمعوا على أن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية.
٦. إن في القرآن آيات كثيرة نسخت أحكامها ويقول الشيخ الزرقاني: "وهذا دليل من طيِّه أدلة متعددة؛ لأن كل آية من هذه الآيات المنسوخة تعتبر مع ناسخها دليلاً كاملاً على وقوع النسخ، إذا الوقوع يكفي في إثباته وجود فرد واحد"^(٢).
- ومما سبق يتضح أدلة الجمهور على جواز وقوع النسخ مع توجيه هذه الأدلة من قبل الشيخ الزرقاني.

ثالثاً: موقف الإمام أبي زهرة من النسخ:

- الإمام أبو زهرة له رأي في النسخ يختلف فيه بعض الشيء مع رأي جمهور العلماء ويتفق مع بعضه الآخر، ونكر أدلته على ما ذهب إليه من أقوال متبنيًا أدلة أبي مسلم الأصفهاني^(٣) وفيما يلي عرض لأقواله في النسخ:
- قال رحمه الله: "وقد كتبت الكتب في الناسخ والمنسوخ في القرآن مما جعلها قضية مشهورة قد تلقاها العلماء غير معترضين عليها وغير فاحصين لأدلتها، وموضع النسخ المدعاة فحصاً دقيقاً عميقاً، ولكن جاء أبو مسلم الأصفهاني في النصف الثاني من القرن الثالث^(٤)، وأخذ يفحص أدلة النسخ فحصاً دقيقاً وعرض فخر الدين الرازي في (تفسيره الكبير) كلام أبي مسلم الأصفهاني في كل آية لدعى نسخها، وكان يحاول توضيح رأي أبي مسلم فيها وبين وجه التوفيق كما ينظر أبو مسلم وقد قام رأي أبي مسلم على عناصر ثلاثة:
١. إن النسخ إلغاء للأحكام في الآيات المنسوخة والإلغاء لا يكون إلا إذا تعذر التوفيق، فحيث

(١) البراءة الأصلية : المقصود بها حكم العقل.

(٢) انظر: مناهل العرفان، (٢/٢٠٩-٢١٠).

(٣) أبو مسلم الأصفهاني: محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، معتزلي من كبار المفسرين، ولد ٢٥٤ هـ، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير يقع في أربعة عشر مجلداً، و(الناسخ والمنسوخ) توفي ٣٢٢ هـ. الأعلام، (٦/٥٠)، (بتصرف).

(٤) ذكر الإمام أبو زهرة أن الأصفهاني جاء في منتصف القرن الخامس والصحيح ما أثبت .

أمكن التوفيق لا يلجأ إلى النسخ، ولا توجد آية ادعى التعارض بينها وبين أخرى ناسخة لها إلا يمكن التوفيق.

٢. إن النسخ الذي كان يجبي في عبارات السلف من الصحابة والتابعين، لم يكن هو النسخ الأصولي فقد كانوا يسمون التخصيص نسخاً، كما جاء على لسان عبد الله بن مسعود في آية سورة الطلاق ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] وآية عدة المتوفي عنها زوجها، فليس هذا إلا تخصيصاً ولا يسمى نسخاً إلا عند بعض الحنفية على ما هو موضح في كتب الأصول^(١) وقد كان بعضهم يسمي الاستثناء نسخاً.

٣. إن القرآن سجل الشريعة الخالدة، فادعاء النسخ في أحكامه توهين لها. "ثم أكمل حديثه قائلاً: "ولم يكتف أبو مسلم بسررد أئنته بل نقض كل ما استئل به الجمهور وتولى نقضه فخر الدين الرازي في تفسيره.

فآية ﴿مَا تَنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ لا تدل على وقوع النسخ في القرآن بل تدل على إمكان الوقوع والنزاع ليس في إمكان الوقوع، إنما النزاع في الوقوع، هذا إذا فسرنا الآية بمعنى الآية المتلوة، ولكن الآية قد يراد بها هنا المعجزة، بدليل قوله تعالى بعد عبارة النسخ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٦، ١٠٧]، وقوم موسى سألوه أن يأتي بمعجزات غير ما أتاهم به، وقالوا أرنا الله جهرة، وبذلك يكون الأنسب لنسق النص الكريم أن تكون الآية التي تنسخ هي الآية الكونية، ومعنى نسخها تركها بأن يأتي النبي بآية لم يأت بها نبي قبله.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] فإن الآية هنا يتعين أن تكون معجزة، ويكون معنى النص السامي، "وإذا جعلنا معجزة لنبي مكان معجزة أخرى والله هو العليم بمكان كل معجزة وما يناسبها كذبوا الرسول لأنهم يطلبون معجزة غيرها في ظاهر أمرهم ليبرروا جحودهم ولا يمكن أن تفسر الآية هنا بالآية القرآنية أو آية من آيات الأحكام، لأنه لا يترتب على النسخ أو التبديل أن يقول (إنما أنت مفتر) بل الافتراء يكون في زعمهم عند انكارهم الحجة التي يسوقها والمعجزة التي يقدمها رسولهم.... وإن الآيات التي ادعى نسخها بين الفخر

(١) انظر: الموافقات في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشاطبي، (١٠٨/٣-١١٧)، دار المعرفة بيروت.

اعتمد الإمام أبو زهرة في كلامه هنا بالدرجة الأولى على كلام الإمام الشاطبي.

الرازي امكان التوفيق بين الآيات التي ادعى أنها ناسخة والتي ادعى أنها منسوخة،
وليرجع إليه في كل نص ادعى فيه النسخ.

وقد تصدى شيخنا المرحوم الأستاذ محمد الخضري (١) (٢) في كتاب (أصول الفقه)
لعشرين آية ادعى النسخ فيها، وقد استطاع التوفيق بينها، وحيث أمكن التوفيق لا يصح اعتبار
النسخ، لأن النسخ إلغاء ضمني لعمل النص وتقرير حكمه، وإن ذلك النوع من الإلغاء الضمني لا
يلتفت إليه في القوانين إذا أمكن التوفيق.

وإذا كان ذلك مقررًا في ألفاظ العباد وأحكامهم فكيف تكون ألفاظ القرآن وأحكامه دون ذلك؟
وإننا من القائلين أن القرآن ليس فيه نسخ، وذلك لرجحان الأئمة التي سبقت في الاستدلال
لذلك، ولأن الواقع يؤيد منع نسخ القرآن؛ لأننا لم نجد آية ادعى نسخها لم يمكن التوفيق بينها وبين
ناسختها، وإن ادعاء النسخ لا يجوز مع امكان التوفيق.

ولسنا نخالف فقهاءنا في تفصيل الأحكام، ولكننا نخالفهم في ادعاء النسخ، وإننا نرى أن
الاختلاف المذهبي كان له أثر في ادعاء النسخ في مواضع مختلفة... ولسنا ننكر وجود النسخ في
الأحكام الثابتة بالأحاديث فذلك ثابت لا ريب، وتعبير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة هو
من قبيل نسخ القرآن للحديث، لا من قبيل نسخ القرآن للقرآن، لأن الصلاة إلى بيت المقدس كانت
بسنة عملية والله سبحانه وتعالى أعلم^(٣).

ويقول في موضع آخر: "يقع النسخ في الأحكام التي تقرها السنة بلا نزاع بين العلماء في
ذلك إلا من لا يؤبه لخلافهم"^(٤).

قال في موضع ثالث: "وفي الحق أننا قد استعرضنا كل الآيات التي ادعى أن النسخ قد
جرى فيها فوجدنا أن التوفيق بينها سهل بضرب من ضروب التخصيص، بل أحيانًا لا يحتاج
الأمر إلى تأويل ولا تخصيص"^(٥).

(١) انظر: ترجمته ص ٣٤ من البحث.

(٢) انظر: أصول الفقه، ص ٢٥١، ٢٥٥، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

(٣) مقالة للإمام أبي زهرة بعنوان (المنهاج المستقيم)، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ١٠، ص
٥٩٣، (بتصرف) هذه المقالة خاصة بموضوع النسخ عند الإمام أبي زهرة، وقد تناول موضوع النسخ في
كتب أخرى له يمكن مراجعتها. انظر: مجلة لواء الإسلام السنة ٧، العدد ٤، ص ٢٣٨، ندوة بعنوان
(النسخ في القرآن)، وانظر: الشافعي عصره، وفقهه وآراؤه، للإمام محمد أبي زهرة، ص ٢٤٨، طبعة
١٩٧٨م، دار الفكر العربي، وانظر: أصول الفقه، محمد أبو زهرة، ص ١٧٩، دار الفكر العربي.

(٤) الشافعي عصره وفقهه، ص ٢٦٠

(٥) أصول الفقه، محمد أبو زهرة، ص ١٨٢

وخلاصة القول من آراء الإمام أبي زهرة في النسخ أنه لم ينكر وجود النسخ، حتى لا يظن أحد أنه ينكره بتمامه؛ وإنما عارض وجود النسخ في بعض أقسامه وأقر بوجوده في أقسامه الأخرى.

وأقسام النسخ أربعة وهي:

١. نسخ القرآن للقرآن، وقد اتفق الجمهور على جواز وقوعه.
٢. نسخ القرآن بالسنة، وهو نوعان: نسخ القرآن بالسنة المتواترة وقد أجازها مالك، وأبو حنيفة وأحمد في رواية لأن الكل وحي قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].
- وَأما النوع الثاني: نسخ القرآن بالسنة الأحادية وهذا النوع لم يجزه الجمهور لأن للقرآن قطعي الثبوت، والأحاد ظني الثبوت.
٣. نسخ السنة بالقرآن: ويجيزه الجمهور ومثاله: التوجه إلى بيت المقدس نسخ بالقرآن إلى التوجه إلى البيت الحرام.

٤. نسخ السنة بالسنة: أجازها للجمهور ولكنه لم يجز منه نسخ السنة المتواترة بالسنة الأحادية (١). وبعد هذا العرض لأقسام النسخ وحكم جمهور العلماء على كل قسم نستطيع أن ندرك مدى اتفاق واختلاف الإمام أبي زهرة مع رأي الجمهور.

ومن خلال عرض أقوال الإمام أبي زهرة في النسخ يتضح للباحثة أن الإمام أبا زهرة ينكر أن يكون في القرآن منسوخ وعلى ذلك فهو ينكر:

(١) نسخ القرآن للقرآن.

(٢) نسخ السنة للقرآن.

ويقر بوجود النسخ في:

(١) نسخ القرآن للسنة.

(٢) ونسخ السنة للسنة.

وقوله: **إن للقرآن ليس فيه منسوخ** يعني رفضه أن ينسخ القرآن بعضه، وأن تتسخه السنة، وهو بذلك يوافق الإمام أبا مسلم الأصفهاني ويتبنى رأيه ويستدل بأدلته ويضيف إليها:

أ. أن قوله تعالى: ﴿وَمَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ أن الآية المنسوخة هي الآية الكونية أي

المعجزة، وذلك لأن نسخ القرآن ونسخها تركها بأن يأتي النبي بآيات لم يأت بها نبي

قبله.

ب. أن جميع الآيات التي ادعى أن فيها نسخ أمكن التوفيق بينها، وما أمكن التوفيق بينها فلا نسخ.

وعند قوله "ولسنا ننكر وجود النسخ في الأحكام الثابتة بالأحاديث فذلك ثابت لا ريب". وتغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة هي من قبيل نسخ القرآن للحديث، وقوله أيضاً: "يقع النسخ في الأحكام التي تقررها السنة".

ومن خلال هذا العرض لآراء الإمام أبي زهرة في النسخ تعرض الباحثة الأمثلة على ذلك ثم تناقش الإمام أبا زهرة فيما ذهب إليه، مثال ذلك:

(١) قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠] "إن موضوع هذه الآية الكريمة لا صلة لها بمدة العدة بالنسبة للمتوفى عنها زوجها؛ لأن هذه الآية الكريمة بألفاظها ومعانيها لا تلزم المرأة بالتربص والامتناع عن الأزواج مدة معينة كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] إنما تدل هذه الآية على ما للمتوفى عنها زوجها من حق البقاء في بيت الزوجية سنة بعد موت زوجها وأن لها أن تبقى فيه. وأن تخرج منه على ما تراه مصلحتها ويكون فيه اطمئنانها وقرارها وعلى ذلك لا تكون ثمة معارضة بأي نوع من أنواع المعارضة بين هذه الآية وقوله تعالى في عدة المتوفى عنها زوجها: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ لأن هذه في بيان العدة أما الآية التي نتكلم في معناها ففي بيان حق المرأة لا بيان الواجب عليها ولكن فرض الكثيرين من المفسرين تعارضاً بين الآيتين واعتبروا الآية الأولى ناسخة للآية الثانية وادعوا أن جمهور السلف على ذلك الرأي واعتمدوا في ذلك على روايات رويت عن عثمان بن عفان^(١) وعبد الله بن عباس وغيرهما^(٢).

(١) فتح الباري، كتاب تفسير القرآن، باب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، (١٩٣/٨)، (ح ٤٥٣).
والحديث قال ابن الزبير قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

(٢) سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث، (٦/٢٠٦) (ح ٣٥٤٣)، والحديث عن ابن عباس في قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية=

وقد خالف ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري فروى عن مجاهد أن هذه الآية وهي التي نتكلم في معناها آية محكمة لا نسخ فيها، فقد قال مجاهد: (العدة تثبت أربعة أشهر وعشراً، ثم جعل الله لهن وصية سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة، فإن شاعت المرأة سكنت في وصيتها، وإن شاعت خرجت وهو قوله تعالى: ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾).

ولقد روى البخاري مثل ذلك عن مجاهد أيضاً، فقد أخرج البخاري عن ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قال: (كانت هذه العدة تعتدها عند أهل زوجها واجباً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ قال جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شاعت سكنت في وصيتها، وإن شاعت خرجت (١) (٢).

وبهذا التخریج وذلك السند الصحيح يثبت أن لا تعارض قط بين الآيتين وشرط النسخ للتعارض ولم يوجد فلا نسخ، ولكن الجمهور من الفقهاء يعتمدون في النسخ على قوله ﷺ: (إنما هي أربعة أشهر وعشراً وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي البعرة عند رأس الحول) (٣) ففي هذا

= لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج) نسخ ذلك بأية الميراث مما فرض لها من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول أن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦ م.
(١) فتح الباري، كتاب تفسير القرآن، باب (والذين يتوفون ويذرون أزواجاً)، (١٩٣/٨)، (٤٥٣١)، وكتاب الطلاق باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً)، (٤٩٣/٩)، (ح ٥٣٤٤)، وباقي الحديث، (وهو قوله تعالى (غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم) فالعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن مجاهد، وقال عطاء قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، فتعدت حيث شاعت، وقول الله (غير إخراج) قال عطاء إن شاعت اعتدت عند أهلها، وسكنت في وصيتها، وإن شاعت خرجت لقوله تعالى: (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكن فتعدت حيث شاعت ولا سكنى لها).

(٢) جامع البيان، (٣٦٢/٢).

(٣) فتح الباري، كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً، (٤٨٤/٩)، (ح ٥٣٣٦). ذكر المفسر الشاهد فقط، وفي (ح ٥٣٣٧) في نفس الباب بيان معنى الحديث وهو لحמיד قال: فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفاً ولبست شر ثيابها ولا تمس طيباً حتى تمر بها سنة، ثم توتى بدابة حمار أو شاه أو طائر فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها، ثم تراجع بعدما شاعت من طيب أو غيره" سئل مالك ما تفتض به؟ قال تمسح به جلدها. صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، (٢/١١٢٤)، (ح ١٤٨٨). وسنن النسائي، كتاب الطلاق باب ترك الزينة للحادة المسلمة، (٢٠١/٦)، (ح ٣٥٣٣) =

الحديث تصريح بأن أربعة أشهر وعشر ليال نسخت وجوب البقاء حولاً، وهذا كلام حق، وهو لا يخالف الآية التي نتكلم فيها، لأن الجاهلية كانت تجعل للعدة سنة فجعلها الإسلام أربعة أشهر وعشراً وهذه الآية لا توجب عدة الجاهلية فهي لا تلزم المرأة بالامتناع عن الأزواج سنة كاملة، ولكنها تعطيها حق البقاء سنة كاملة، فهي تبين ما لها من حق ولا تنكر ما عليها من واجب اكتفاء بما ذكر في آيات العدة التي تعدها.

وعلى هذا نقرر أن حكم هذه الآية باق لم ينسخ، وثابت مقرر بنص القرآن الكريم^(١).

ويتضح من المثال السابق أن الإمام أبا زهرة يرى أنه لا نسخ في الآية ما دام يمكن التوفيق بين الآيتين، لأن شرط النسخ التعارض ولا تعارض بينهما، وقد وفق بينهما بأن آية التريص بأربعة أشهر وعشر تبين ما يجب على الزوجة من عدة الوفاة والآية الثانية (متاعاً إلى الحول غير إخراج) تبين ما يجب على أسرة الزوج المتوفى من تمكين الزوجة من بيت الزوجية حولاً إن رغبت في ذلك وإن شاعت الخروج خرجت ولكن لا تطرد منه قبل الحول، واستدل على ما ذهب إليه بحديث من صحيح البخاري، ثم ذكر بعد ذلك أن جمهور الفقهاء لهم دليل على النسخ وهو حديث صحيح ذكره البخاري ومسلم، والنسائي وابن ماجه ويقر بأن الحديث يصرح بأن أربعة أشهر وعشر ليال نسخت وجوب البقاء حولاً ويقول وهذا كلام حق ويعتبر أن هذا الكلام لا يخالف الآية في الاعتداد بالحول فهو على ذلك يقر بأن آية التريص بأربعة أشهر وعشر نسخت الحديث الذي يوجب بقاء المرأة معتدة سنة كاملة ويرفض أن تكون الآية ناسخة للأخرى ويفيد أن ذلك لا يخالف الآية التي يتكلم عنها لأن حكم الاعتداد حولاً كان في الجاهلية ونسخه الإسلام وهذه الآية لا توجب عدة الجاهلية ووفق بين الآيتين بأن آية التريص بأربعة أشهر وعشر تقر بواجب على المرأة، أما آية الاعتداد بالحول ففيها بيان لما لها من حق إن أرادت بقيت وإن شاعت خرجت وعلى ذلك فإن حكم الآية باق ولم ينسخ.

وقد وجه الإمام الرازي في كتابه (التفسير الكبير)^(٢) هذه الآية على الوجه الذي

ذكره الإمام أبو زهرة.

ويؤكد الإمام السيوطي على أن الآية منسوخة حيث قال: "قوله تعالى: (والذين

يتوفون منكم)... إلى قوله (متاعاً إلى الحول) منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرا، والوصية

= وسنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب كراهية الزينة للمتوفى عنها زوجها (٣٥٦/١)، (ح ١٦٩٤) (بنحوه).

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١١، ص ٦٦٨.

(٢) انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (١٥٨/٦)، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث (ولا سكنى) (١) .
ويقول صاحب كتاب مناهل العرفان: "والحق هو القول بالنسخ وعليه جمهور
العلماء" (٢) .

(٢) وعند حديثه عن النسخ واعتراضه لأن يكون في القرآن منسوخ نجده يقول: "وإن من
أعظم ما حجتوا به للتعارض الذي أوجب النسخ في نظرهم لبعض آي القرآن، آية
المواريث مع آية الوصية، فإنهم قالوا إن آيات المواريث وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] قد نسخت آية الوصية وهي قوله
تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وقد تبين نسخ آية المواريث لآية الوصية في
نظرهم بقول النبي ﷺ - : (إن الله أعطى كل ذي فرض فرضه فلا وصية لوارث) (٣) .
وقد وفق أبو مسلم بين الآيتين بعدة توفيقات ذكرها الإمام الرازي في تفسيره الكبير (٤) .
ويحضرني منها أن الوصية للوالدين والأقربين ما زالت قائمة وواجبة غير منسوخة إذا كانوا لا
يرثون لمانع من موانع الإرث، ولأن غيرهم أولى منهم بحكم آية المواريث فتكون الوصية واجبة
إذا كان من لا يرثون فقراء محتاجين، فأية الوصية محكمة غير منسوخة، وأن ما فيها من توكيد
للوصية في التعبير (بكتب) وحقاً على المتقين يبعد نسخها (٥) .

ذكر الإمام فيما سبق مثلاً يعد من أكثر ما يحتج به القائلون بالنسخ، وهي آية المواريث مع
آية الوصية ويذكر دليل من يذهب إلى ذلك وهو حديث الرسول (لا وصية لوارث) وأن هذا الحديث
به تم نسخ آية المواريث لآية الوصية واعتراض الإمام أبو زهرة على ذلك بأن التوفيق ما بين
الآيتين يمكن وما دام أمكن التوفيق فلا نسخ وعد آية الوصية محكمة غير منسوخة وأن حكمها

(١) الإتيان في علوم القرآن، (٦٠/٣) .

(٢) مناهل العرفان، (٢٨٠/٢) .

(٣) سنن النسائي، كتاب الوصايا، باب الوصية للوارث، (٢٤٧/٦)، (ح ٣٦٤١) . وسنن الترمذي، كتاب
الوصايا باب ما جاء لا وصية لوارث، (٤٣٣/٤)، (ح ٢١٢٠، ٢١٢١)، وقال عنه الترمذي (حسن
صحيح) . وصحيح ابن ماجه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، (١١٢/٢)، (ح ٢١٩٣، ٢١٩٤)،
وكتب السنة السابقة ذكرت الحديث ولكن كلها اتفقت في لفظ غير الذي ذكره الإمام أبو زهرة ونصه (إن
الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) .

(٤) انظر: التفسير الكبير، (٢٠٤/٩) .

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٤، ص ٢٤٠

ما زال قائماً، رافضاً أن يكون الحديث قد نسخ الوصية للوالدين والأقربين وحاول التوفيق ما بين الآيتين دون التنبية هل الحديث متواتر أو خبر آحاد؟ فهو رفض الحديث سواء كان متواتراً أو خبر آحاد معتبراً أن الحديث لا ينسخ القرآن، مع أنه ثبت أن الحديث مروى بخبر آحاد وبإتفاق جمهور العلماء فالآحاد لا ينسخ متواتراً كما نكر أنفاً وقد نبه على ذلك صاحب كتاب مناهل العرفان (١).

(٣) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١] قال طيب الله ثراه: "تكرنا في كلامنا أن معنى الآية المعجزة الدالة على رسالة الرسول، وأن الله تعالى يرفع معجزات كانت قد جاءت مؤيدة رسالات الأنبياء السابقين قد بدلها الله تعالى، وأتى بمعجزة صالحة للبقاء تتناسب مع رسالة خاتم النبيين الذي تكون رسالته حجة على العالمين إلى يوم القيامة فتكون قائمة ثابتة تتادي بحجية ما يدعو إليه يوم القيامة.

ولكن أكثر المفسرين يفسرون الآية بالآية المثلوة حتى الزمخشري (٢)، ويقولون إن معنى الآية وإذ بدل الله آية فنسخها ورفعها وجاء بآية أخرى لمصلحة في الأولى في حكمها وفي زمانها، والإتيان بآية أخرى لمصلحة حكمها في هذا الزمان الذي جاءت وإن ذلك جرى على أقلام أولئك المفسرين لرواج فكرة النسخ تلاوة وحكماً، لا تلاوة، وتلاوة لا حكماً، كما ادعي في الرجم، وإن أداهم ذلك إلى التساهل في دعوى الرجم ولو كان الجمع بين الآيتين ممكناً لا تخالف بينهما.

وإن الذي ذكرناه أولاً هو المقبول عندنا، فلا نسخ في هذا الموضع على الأقل في آية من القرآن للوجوه التالية:

أولها: أن الكلام في موضع القرآن ذاته وكونه مفترى أو قام الدليل على صدقه لظاهر قوله عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ فحصره في الافتراء فنفوا الرسالة كلها ويناسب ذلك أن يكون التبديل في المعجزات السابقة، ووضع القرآن في موضعها.

ثانيها: أنه تعالى قال بعد ذلك رداً على الافتراء على الاعتراض بقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ فتبين أن موضوع القرآن كله، لا نسخ آية، واستبدال آية أخرى بها.

ثالثها: قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ

(١) انظر: مناهل العرفان، (٢/٢٨٦)، وفيه رجح الشيخ الزرقاني رأي الجمهور أن الآية منسوخة بآية المواريث، رافضاً أن يكون الحديث ناسخاً للآية حيث قال: أما القول بأن الناسخ السنة فيدفعه أن هذا الحديث آحادي والآحادي لا يقوى على نسخ القطعي".

(٢) انظر: الكشاف، (٢/٤٢٨)

إِلَيْهِ أَعِجْمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿النحل: ١٠٣﴾ .

رابعهما: أن هذه السورة مكية، والآيات المكية تتجه نحو التوحيد وإثبات الخالق وأحكامها قليلة، والتجربة فيها قليلة.

لهذا كله سمحنا لأنفسنا بأن نخالف كثرة المفسرين، وإن كان لهم أجر فيما اجتهدوا، وهو أجر واحد^(١)

والموضح من كلام الإمام أبي زهرة رفضه للنسخ، وتفسيره لمعنى ﴿إِذَا بَدَأْنَا آيَةً﴾ بالمعجزة وينكر ذلك على المفسرين رافضاً أقسام النسخ في القرآن من نسخ التلاوة والحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم، واستدل بأدلة حاول من خلالها رفض النسخ في القرآن.

(٤) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦] قال رحمه الله: "...ومن الناس من شغف بإثبات النسخ في القرآن، فيعرضون للنسخ لأوهى معارضة لفظية، كما فرضوا النسخ في آيات الصيام، ولا معارضة بين آياته، وكما فرضوا النسخ بين الآيتين... كذلك ادعوا النسخ هنا، فافتروضوه لمجرد التخالف التقديري بين الآيتين، وادعوا أن الثانية ناسخة للأولى^(٢) مع أنه لا تعارض بين الآيتين، إذ الأولى ذكرت ذلك العدد في حال القوة والتألف بين المؤمنين، والثانية خفف فيها العدد الأول لحال الضعف... وهكذا بين أبو مسلم الأصفهاني ونفى أن يكون نسخ بينهما سيراً على مبنئه الذي انتهى إليه أنه لا نسخ في القرآن قط، وأن القرآن ينسخ غيره، ولا ينسخ حكمه أبداً.

ولقد ادعى الإجماع بأن الثانية نسخت الأولى، ولكنه ليس إجماعاً، ولكنه قول قيل وقيلته كثيرون من علماء الأصول وساروا في دراسة الموضوع في الآيتين على أن ثمة نسخاً. والحق أن الآيتين حكمهما خالد دائم إلى يوم القيامة، وهو أنه في حال القوة يكون العشرون كفاء للمائتين، وفي حكم الضعف بالأسباب التي ذكرناها أو ببعضها يكون المائة في مقابل مائتين^(٣).
الموضح في كلام الإمام أبي زهرة السابق رفضه للنسخ في القرآن، واعتبر الآيتين معناهما يكمل إحداهما الآخر ولا تعارض بينهما إذ الأولى في حال القوة والثانية في حال الضعف، ورد الإجماع بنسخ الآية مدعياً أنه ليس إجماعاً، بل قول قيل وقيلته علماء الأصول ثم قاموا دراساتهم

(١) زهرة التفاسير، [النحل: ١٠١]

(٢) الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. والآية الثانية [الأنفال: ٦٦].

(٣) زهرة التفاسير، [الأنفال: ٦٦]

على أنه نسخ، وإن ولفقا للإمام على رايه فما هو رايه في سبب نزول الآية الذي بيثت نسخ إحداهما للأخرى، روى البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ قال: (فرض عليهم ألا يفر رجل من عشرة ولا قوم من عشرة أمثالهم، قال: فجهد الناس ذلك، وشق عليهم فنزلت الآية الأخرى ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة﴾ فرض عليهم ألا يفر رجل من رجلين، ولا قوم من مثلهم، ونقص من الصبر بقدر ما خفف من العدد) (١).

(٥) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] قال رحمه الله: "...ومن أجل أن نبين مقام هذه الآيات من الآيات الواردة في عقوبة الزنى، نذكر أن قبلها ثلاث آيات في ترتيب المصحف ونبيه أننا لا نرى في القرآن منسوخاً قط، لأنها سجل الشريعة الذي سجلت الأحكام الدائمة الباقية في تكليفها إلى يوم الدين.

الآيتان الأوليان ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّهَا الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥، ١٦] دلت هاتان الآيتان على ثلاثة أمور باقية:

أولها: أن الشهادة على الزنى تكون بأربعة، ولذا قرر قبل هذا المنع الحاجز للصائت الاستشهاد بأربعة، والإمساك في البيوت لحماية الضعفاء من العبث حتى الموت أو الزواج وهو السبيل الذي جعل الله تعالى لصيانتهن، وليس الحد سبيلاً.

ثانيها: العقوبة للزاني والزانية؛ ولكنه سبحانه وتعالى نكر العقوبة مجملة بينها آية سورة النور التي نتكلم في معانيها، فالإيذاء في سورة النساء مجمل بينته سورة النور.

ثالثها: أن التوبة إذا كانت وجب الإعراض عن العقوبة، ولذا قال ﷺ ﴿إِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ وتكون العقوبة شرعاً محكماً إذا لم يتوبا، وتكون العقوبة في سورة النساء شرطها عدم التوبة في وقتها، وبذلك قال الحنابلة والظاهرية ورواية عن الشافعي ﷺ .

ومن أخطاء بعض المفسرين الواضحة تفسيرهم ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّهَا الْفَاحِشَةُ﴾ بأنها السحاق،

(١) فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ (٣١٢/٨)، (ح ٤٦٥٣) (بلفظه) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب التولي يوم الزحف (٤٦/٣)، (ح ٢٦٤٦)، (بنحوه).

فإن البقاء في البيوت تمكين لها، والفاحشة في الآية الثانية بالواط، فإن ذلك ينفر منه النوق السليم، والفاحشة تكون محصورة في الزنى، وقد قيل إن ثمة آية تقول: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) نسخت تلاوة، ولم تنسخ حكماً، وهذه رواية بطريق الأحاد، وإن ادعت شهرة الخبر. وقد يقول قائل إن الرجم أقسى عقوبة في الأرض فكيف يثبت ما دونها بالقرآن القطعي بدلالته وسنده، ولا تثبت تلك العقوبة الغليظة إلا بحديث آحاد، وإن ادعت شهرته، والاعتراض وارد، ولا سبيل لدفع إيراده.

ولقد سأل بعض التابعين الصحابة: (أكان رجم النبي ﷺ - لما عز والغامدية قبل نزول آية النور أم بعدها؟ فقال: لا أرى لعله قبلها)^(١)، ونحن لا نتهم بالنسخ، ولو كان نسخ السنة، فلسنا ندعي بالآية الكريمة، ولم يبين أنها نسخته، ولا نسمح بنسخ السنة بمجرد الاختال، ولا بمجرد التعارض، ولكن يبقى بين أيدينا أن العقوبات كلها مذكور في القرآن إلا هذه مع أنها أقسى عقوبة، وإذا كان ثمة احتمال النسخ، فهو احتمال ناشئ من دليل وليس احتمالاً مجرداً أقسى من أشد عقوبات إلا الآية التي فيها محاربة الله ورسوله، وهو القتل والصلب، فإن الرجم الرمي بالحجارة حتى يموت، فهو عذاب حتى الموت والصلب أهون لأنه بعد الموت حيث لا يكون إحساس...^(٢).

ابتدأ الإمام أبو زهرة في المثال السابق حديثه بأنه لا منسوخ في القرآن وأن أحكامها باقية خالدة إلى يوم القيامة، ويقول: قيل إن ثمة آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) نسخت تلاوة ولم تنسخ حكماً وأنها خبر آحاد، وقد وفق الإمام بين الآيات الثلاثة رافضاً أن تكون إحداها ناسخة للأخرى، كما أنه رفض القول بأن تكون السنة نسخت الآية.

وسوف تكتفي الباحثة بالرد على رأي الإمام أبي زهرة من خلال كلام الدكتور: مصطفى زيد الذي يرى أن آيتي سورة النساء في عقوبة الزواني والزناة منسوختان بآية الحد في سورة النور، والهدف من العقوبة هو حماية المجتمع من الزواني ولا يحميه من هذا الخطر إلا إعادته عنه وأن آية سورة النور لا تشرع من حد الزنا إلا الجلد، أما الرجم فقد شرعته السنة بما صح وثبت من قول الرسول ﷺ - وفعله، لكن هذا ليس معناه أن السنة هنا قد نسخت آيتي النساء، أو شاركت في نسخها، ذلك أن آية النور هي الناسخة لكنتنا الآيتين، وما في هذه الآية من عموم يشمل كل زانية وكل زان قد خصصته السنة بقوله ﷺ: (خنوا عني، خنوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)^(٣).

(١) فتح الباري، كتاب الحدود، باب رجم المحصن، (١١٧/١٢)، (ح ٦٨١٣)، (بلفظه).

(٢) زهرة التفاسير، [النور: ٢]

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنى، (١٣١٦/٣)، (ح ١٢)، (بنحوه)

وإن كان القرآن سكت عن الثيب إذا زنى فإن السنة تولت تشريع الحد له، وكان هو الجلد والرجم بمقتضى الحديث السابق ثم نسخ فعل الرسول الجلد فيبقى الرجم وحده. ومن أجل أن الرجم إنما شرع بالسنة، وقد يتهاون بعض المسلمين في اتباع السنة مع أن الله ﷻ قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ومن أجل ذلك قال عمر رضي الله عنه فيما روي عن ابن عباس: (لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف، قال سفيان بن عيينة: كذا حفظت ألا وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده) (١) (٢).

إذن آية سورة النور نسخت آيتي سورة النساء، والرجم ثبت بالسنة النبوية .

وخلاصة القول: فإن علماء الأفاضل من القدماء والمعاصرين منهم من أثبت النسخ واختلفوا في الآيات التي وقع فيها، ومنهم من أنكر وقوعه.

* النتائج التي توصلت إليها الباحثة في موضوع النسخ:

بعد هذا العرض في أدلة المجوزين للنسخ والمانعين له يتضح أن الخلاف الأساس في وقوع النسخ في القرآن، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو الرأي الذي تميل إليه الباحثة من هذه الآراء وما هي أدلتها على ذلك؟ تميل الباحثة إلى رأي جمهور العلماء، ولا تميل إليه لكونه قول الجمهور وإنما لقوة أدلته المقنعة، وإلى جانب أدلة الجمهور تضيف الباحثة أدلة لإثبات النسخ في القرآن من خلال عدة أمور وهي:

(١) **اللغة:** بالرجوع إلى كتب اللغة نجد جميعهم متفقين على أن النسخ بمعنى الإبطال والإزالة، أو النقل، والتبديل فهذا صاحب أقدم كتاب في اللغة يقول: "النسخ أمر كان يعمل به من قبل ثم نسخ بحذف غيره كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى" (٣). ويقول الفيومي: "النسخ إزالة ما كان ثابتاً بنص شرعي ويكون في اللفظ والحكم وفي إحداهما سواء فعل كما في أكثر الأحكام أو لم يفعل" (٤).

(١) فتح الباري، كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا (١٣٧/١٢)، (ح ٦٨٢٩)، (بلفظه).

(٢) انظر: النسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، (٨٢٨/٢)، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون (٢٢٤/٥)، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، (٢٧١/٢)، دار الفكر.

ويقول ابن منظور: "النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه"^(١).

وبذلك فجميعهم متفقون على أن النسخ يكون في حكم شرعي فيأتي حكم آخر يحل مكانه

وذلك يتضح معنى النسخ.

(٢) القراءات: ما هو رد المنكرين للنسخ في القرآن على القراءات التي وردت في قوله تعالى: ﴿مَا

نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] فقد وردت قراءتان متواترتان في

قوله (نسخ) قرأ ابن عامر بضم النون الأولى وكسر السين (نسخ) بمعنى (ما ننسخك يا محمد من

آية) وإنساخه إياها إنزالها عليه، فيصير المعنى ما نزل عليك من آية أو ننسخها نأت

بخير منها.

وقرأ الباقون بفتح النون (نسخ) وهو المعنى الظاهر المستعمل على معنى ما نرفع من حكم

آية ونبقي تلاوتها نأت بخير منها أو مثلها أي نأت بأصلح منها لكم وأصلح في التعبد أو نأت بمثلها

في التعبد.

أما كلمة (ننسخها) قرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح النون الأولى وفتح السين والهمز (ننسخها)

من التأخير على معنى أو نؤخر نسخ لفظها نأت بخير منها فهو من نسا الله في أجلك أي أخر فيه،

وتأخير النسخ على وجهين:

أ. أن يؤخر التنزيل للآية فلا ينزل من اللوح المحفوظ.

ب. أن ينزل القرآن فينلى ويعمل به ثم يؤخر فينسخ العمل به دون اللفظ أو ينسخ العمل به

واللفظ أو ينسخ اللفظ ويبقى العمل.

وقرأ الباقون بضم النون الأولى وكسر السين من غير همز (ننسخها) وقراءتها تدل على

النسيان على معنى أو (ننسخها يا محمد) فلا تذكرها على معنى إذا رفعنا آية (بنسخ) أو (بنسيان)

نقدره عليك يا محمد وأتينا بخير منها في الصلاح لكم أو بمثلها في التعبد ويدل على أنه من النسيان

قول (سُقِّرُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعلى: ٤، ٣]^(٢).

(٣) أسباب النزول: أسباب نزول آية النسخ تدل على أن هناك آيات منسوخة في القرآن

(أ) ومما روي في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا

أَوْ مِثْلَهَا...﴾ أن المشركين قالوا أتزون أن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه

ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ما هذا في القرآن إلا كلام محمد

(١) لسان العرب ، (٤٤٠٧/٥).

(٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات ، (٢٥٧/١). وانظر: حجة القراءات ، ص ١١٩

يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فأُنزل الله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ وَأُنزل أيضاً ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (١)
 (ب) وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: (كان ربما ينزل على النبي - ﷺ - الوحي بالليل وينسيه بالنهار فأُنزل الله هذه الآية) (٢).

وروايات أسباب النزول السابقة تدل أيضاً على وقوع النسخ في القرآن. وإذا رتبنا الآيات التي نزلت بالنسخ حسب تاريخ نزولها نجدتها تؤكد على وقوع النسخ. يقول الدكتور: مصطفى زيد: "إذا تابعنا الآيات حسب تاريخ نزولها وذلك أعون لنا على ما نحن بسبيله في بيان دلالتها على النسخ، لأن أولى هذه الآيات نزولاً هي أصرحها دلالة على وقوع النسخ فضلاً عن جوازها فالآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]، والثانية على ما نرجحه هي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] والثالثة وهي أولى الآيات الثلاثة وروداً في المصحف [البقرة: ١٠٦] وهي مدنية بالنص الصحيح وإجماع الروايات وبدلالة الموضوعات وهي ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (٣).

والنسخ في معنى (ما تنسخ) التبديل، والتبديل أن يمحو الله حكماً ويثبت حكماً آخر، وعلى ذلك فإن هذه الآيات الثلاثة دليل على جواز النسخ شرعاً وعقلاً.

(٤) مناقشة أدلة المانع للنسخ:

إن الأدلة التي استدلوا بها على عدم وقوع النسخ هي أدلة واهية ضعيفة وذلك للأسباب

التالية:

- أ. إن ادعاءهم بإمكانية التوفيق ما بين جميع الآيات التي ادعى نسخها، فيمكن توفيق بعض الآيات المختلف فيها وليس كل الآيات، ويجب عدم تحميل النص ما لا يحتمل.
- ب. أما قولهم بأن عبارات السلف من الصحابة والتابعين في النسخ لم تكن في النسخ الأصولي، وأنهم كانوا يسمون التخصيص (٤) نسخاً.

(١) أسباب النزول، ص ٢٣. والكشاف (٣٠٢/١). والتفسير الكبير، (٢٢٦/٣). وروح المعاني، لشهاب الدين محمود الأوسى (٣٥١/١)، طبعة ١٩٧٨م، دار الفكر.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٠.

(٣) النسخ في القرآن، (٢٢٣/١).

(٤) معنى التخصيص: قصر العام على بعض أفراده بدليل ويكون بأدلة العقل والقرائن كما يكون بأدلة السمع بخلاف النسخ الذي لا يكون إلا في قول أو خطاب. انظر: النسخ في القرآن، (١/١١٣).

والرد على ذلك هل كل ما قال عنه السلف من النسخ يعتبر تخصيص؟ ثم إن هناك فرقاً واضحاً بين النسخ والتخصيص ثم ماذا يقولون في الروايات الصحيحة التي وردت عن الصحابة والتي تفيد صراحة بأن آية كذا... نسخت بآية كذا كما ذكر سابقاً في هذا المطلب.

ج. القول بأن ادعاء النسخ في أحكام القرآن توهين للشريعة، فهذا كلام غير صحيح، وذلك لأن ادعاء النسخ يؤكد على حكمة التشريع الإسلامي، ومسايرته لمصلحة العباد، وتذكيرهم بعناية الله وقدرته ورحمته، وإن أفضل القول في ذلك قول الإمام الزرقاني فيمن قال أن نسخ الحكم نون التلاوة يستلزم تعطيل الكلام الإلهي وتجريده من الفائدة قال: "الآية بعد نسخ حكمها نون تلاوتها تبقى مفيدة للإعجاز، وتبقى عبادة للناس، وتبقى تذكيراً بعناية الله ورحمته بعباده حيث سن لهم في كل وقت ما يساير الحكمة والمصلحة من الأحكام، يضاف إلى ذلك أن الآية بعد نسخ حكمها لا تخلو غالباً من دعوة إلى عقيدة، أو إرشاد إلى فضيلة، أو ترغيب في خير، ومثل ذلك لا ينسخ بنسخ الحكم، بل تبقى الآية مفيدة له" (١).

ويكفي قول الشيخ الزرقاني رداً على ادعائهم.

د. وأما قولهم أن المقصود بقوله ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ وقوله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ أن الآية ليس المقصود بها الآية المتلوة بل يقصد بها المعجزة، أو الآيات الكونية وقالوا يدل على ذلك باقي الآية في (ما ننسخ) و﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولو كان المقصود منها الآية المتلوة لقال ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. ولم يذهب إلى ذلك الإمام أبو زهرة وحده بل هناك مجموعة من المعاصرين ذهبوا إلى ما ذهب إليه، منهم:

الشيخ محمد الغزالي في كتابه (كيف نتعامل مع القرآن) الذي يرى أن جميع العلماء المحدثين الذين التفتت بهم أو استمعت إليهم أو قرأت لهم كانوا ضد المعنى الذي شاع بين المتأخرين من المفسرين من أن النسخ بمعنى إبطال آيات من القرآن ثم عرض قول الإمام محمد رشيد رضا وأنه ذهب إلى أن معنى آية ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ هي الآيات الكونية وليست الآيات التكليفية^(٢) ثم قال في نهاية كلامه: "فإذا الكلام باطل، ولا يوجد أحكام بطل معناها وكل ما هنالك أن هناك عدة آيات نظر فيها وكان النظر قاصراً"^(٣).

(١) مناهل العرفان، (٢٣٥/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم، (٤١٧/١).

(٣) كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، ص ٩٦، ٩٧، (بتصرف)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي طبعة ١٩٩١م.

وذهب إلى ذلك أيضاً من المعاصرين الشيخ عبد الوهاب خلاف^(١) حيث قال: "أنا أختار رأي أبي مسلم الأصفهاني وأختار أن المراد من الآية ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ المعجزات والدلائل الكونية ويؤيد هذا أن الله عقب بقوله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولو كان الموضوع موضوع نسخ أحكام لقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، فالتعقيب بالقدرة دون العلم والحكمة دليل على أن الموضوع آيات اعجاز ودلائل تصديق"^(٢).

والأفضل لنا نحن المسلمين أن نأخذ نص الآية على ظاهره وألا نؤول في الآية ما لا تحتمل ومن مفسرينا القدماء قال إن معنى ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ معجزة؟ وقد رجعت الباحثة إلى مجموعة من كتب التفسير القديمة^(٣) فلم تجد منهم من قال أن معنى آية معجزة ولم يفسروها بشكل مباشر بل كان جل اهتمامهم أن النسخ بمعنى تبديل آية أو نص مكان نص أما معناها معجزة فقد قال به المعاصرون والدكتور مصطفى زيد تناول هذه المسألة ويرى أن المفسرين أجمعوا على التزام نهج السلف في تفسير (آية) في الآيتين بالآية القرآنية التي تشرع حكماً، والتبديل المراد به النسخ. وأن الآية المراد بها الآية القرآنية كما هو المتبادر منها في القرآن الكريم ومن ثم لم يحاول المفسرون من التابعين وتابعيهم أن يشرحوها وهم يفسرون آيتي النحل والبقرة، فعبروا بها وهم يبينون المراد بالآيتين، وإن هذا ليوضح فيما أخرجه ابن جرير^(٤) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ قال مجاهد: (رفعناها فأنزلنا غيرها. وفي رواية أخرى نسخناها: بدلناها وأثبتنا غيرها). وفي حديث نكره السيوطي^(٥) في الدر المنثور عن مجاهد قوله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ هو كقوله ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾^(٦).

(١) عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاف، فقيه مصري من العلماء، كان أستاذاً للشرعية الإسلامية بكلية الحقوق، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية، ومفتشاً في المحاكم الشرعية توفي في القاهرة سنة ١٩٦٥م له تصانيف مطبوعة منها (نور القرآن الكريم) في التفسير. انظر: الأعلام، (١٨٤/٤).

(٢) مجلة لواء الإسلام، ندوة بعنوان (النسخ في القرآن) السنة ٧، العدد ٤، ص ٢٤٩.

(٣) انظر: الطبري (٣٧٨/١). انظر: تفسير القرآن العظيم، (١٤٣/١، ١٤٢). وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، (٢٥٤/١)، دار الفكر. وانظر: الكشف، (٣٤٤/٢). انظر: التفسير الكبير، (٢٢٥/٣). وانظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (١٦١/١)، طبعة الأولى ١٩٩٥م، المكتبة العصرية.

(٤) انظر: جامع البيان، (١١٨/١٤).

(٥) انظر: الدر المنثور، (١٦٧/٥).

(٦) انظر: النسخ في القرآن (٢٢٨، ٢٢٤/١).

وعلى ذلك يتضح أن معنى الآية: هي الآية المثلوة لا الآية الكونية، ويجب علينا أخذ معناها بالظاهر دون تأويل معناها أما قولهم إن الدليل قوله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فنقول إن الله -عز وجل- يحل ويحرم ويبطل أحكاماً ويشرع أخرى لعباده حسب مصلحتهم وإن الله -عز وجل- قادر على فعل كل شيء في مخلوقاته.

والإمام أبو زهرة عند رفض نسخ السنة للقرآن لم يوضح ماذا يقصد بالسنة أهي الأحادية أم المتواترة وكان الإمام رفض نسخ السنة بكاملها فإن كان يقصد نسخ السنة الأحادية للقرآن فإن الباحثة معه في ذلك لأن الظني لا ينسخ القطعي. وإن كان يقصد منه السنة المتواترة فالباحثة تختلف معه في ذلك؛ وذلك لأن السنة وحي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٣]

هكذا ينتهي عرض الباحثة للأدلة التي ساقتها على وقوع النسخ، ومناقشتها لأدلة المانعين للنسخ محولة هذه الأدلة لإثبات وقوع النسخ في القرآن.

المطلب الرابع المحكم والمتشابه

أولاً: تعريف المحكم والمتشابه: ١. تعريف المحكم:

"هو اللفظ الذي دل على معناه دلالة قطعية لا تحتمل تأويلاً، ولا تخصيصاً ولا نسخاً، وذلك إذا انقضى عهد النبوة ولم يتطرق إليه النسخ"^(١).
وعرفه الإمام أبو زهرة بأنه: "اللفظ الدال على المقصود الذي سيق له وهو واضح في معناه لا يقبل تأويلاً ولا تخصيصاً وقد اقترن به ما يدل على أنه غير قابل للنسخ"^(٢).
وعرفه في موضع آخر: "هو الواضح البين للعامة والخاصة الذي لا تتفاوت إدراكه الأنظار وما يمكن معرفة حقيقته على الوجه الأكمل وهو أم الكتاب؛ لأنه الأصل الذي يجب على كل مؤمن ومؤمنة الجزم بمعناه والتصديق بمغزاه"^(٣).

٢. تعريف المتشابه:

"المتشابه ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور..."^(٤)

وعرفه الإمام أبو زهرة: "أطلق على ما لا يمكن فهمه مطلقاً، أو ما لا يمكن معرفة حقيقته على الوجه الأكمل، أو ما يدق ويختفي على العامة، ولا يستغل على الخاصة"^(٥)

يلحظ من التعريفات السابقة أن المحكم هو اللفظ الواضح البين للعامة والخاصة ولا يحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولا نسخاً.

والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه ولا يمكن معرفة حقيقته على الوجه الأكمل كما يرى الإمام أن من المتشابه ما يمكن معرفته ولكن يخفى على العامة ولا يخفى على أهل العلم.

(١) أصول التفسير وقواعده، ص ٣٣٥.

(٢) أصول الفقه، ص ١١٤.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٩، ص ٥٣٩.

(٤) الإتيان في علوم القرآن (٥/٣).

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، ليعدد ٩، ص ٥٣٩.

ثانياً: موقف الإمام أبي زهرة من المحكم والمتشابه:

اتبع الإمام أبو زهرة منهج السلف في أن القرآن به محكم ومتشابه يلحظ ذلك من

خلال ما يلي:

١. تبنيه لمنهج السلف في المحكم والمتشابه:

وبيان ذلك في المثال التالي:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. حيث قال عند تفسيره للآية: "أي إن القرآن من حيث بيانه وإدراك الناس له محكم ومتشابه"^(١).

ثم فسر معنى المتشابه بمعنيين قائلًا: "إما أن تقول إنه الغيب الذي لا نستطيع معرفته كحقيقة الروح وحقيقة الجن والملائكة، وما يكون يوم القيامة، وكيف يكون نعيم الجنة الحسي... وهكذا مما غيبه الله تعالى علينا، لأن عقولنا مأسورة بالحس الذي تحسه، وبالمادة التي تدركها، وعلم الغيب قد أخفاه الله سبحانه عنا، لأنه يعلو عن مداركنا في هذه الدنيا، وعلينا أن نؤمن بما أخبرنا به القرآن الكريم، وما جاءت به السنة الصحيحة، فإن من صفات أهل الإيمان بالإيمان بالغيب... أما الوجه الثاني فمعنى المتشابه: أنه الذي يدق معناه إلا على طائفة خاصة من أهل العلم، كبعض العبارات القرآنية الخاصة بالكون وتكوين السماء والأرض وبعض ما ذكر في القرآن من أوصاف الله سبحانه وتعالى، ونحو ذلك من الحقائق التي لا يخوض فيها إلا أهل الذكر وهي دقيقة في معناها.

هذان هما الوجهان اللذان تحتلها الآية الكريمة، ويدخل في عمومهما كل الأقوال التي قيلت في هذا المقام ونرى أن كلا الوجهين تحتلها الآية من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، بل يصح لنا أن نقول إن الوجهين معًا مرادان"^(٢).

ومن الواضح أن الإمام أبا زهرة يعتبر أن المتشابه منه ما استأثر الله بعلمه ولا يمكن للعقول البشرية فهمه ومعرفة المراد منه، ومنه ما يعلمه الله ويخفى على العامة ولكنه لا يخفى تفسيره على طائفة من أهل العلم، كبعض أوصاف الله تعالى وعبارات قرآنية خاصة بالكون ولا يخوض فيه إلا العلماء لأنها عبارات دقيقة في معناها.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٩، ص ٥٣٨.

(٢) زهرة التفاسير، العدد السابق، ص ٥٤٠.

ثم قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ "التأويل الذي يبتغيه الزائغون المأل في الدنيا كأن يطلبوا إنزال العذاب الذي يهددون به، وكان يطلبوا إحياء بعض الموتى، وقد يفسرون تفسيرات المقصود منها تشويه الحقائق وتضليل العقول، وقد قصدوا في الأمرين الضلال.

وإن الله سبحانه قد بين بعد ذلك أن معرفة المأل عند الله وحده، ومعرفة المعنى قد يدركها الراسخون فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]... وفي النص الكريم قراءتان: إحداهما: بالوقف عند لفظ الجلالة والابتداء بقوله تعالى في استئناف للقول ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وهذه القراءة يستفاد منها أن معرفة التأويل والعلم به هي لله وحده، وعلى هذا يكون التأويل بمعنى معرفة مأل ما اشتمل عليه القرآن من أخبار اليوم الآخر وغيره من مغيبات عن الحس.

والقراءة الثانية: بالوصل من غير وقف بعطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة^(١) ومعنى هذا، أن العلم بالتأويل عند الله، ويعرفه الراسخون في العلم من غير زيغ مع استقامة المنهاج، ووضوح الغاية، والتأويل هنا بمعنى التفسير وتعرف المراد علماً.

وإذ كانت قراءات القرآن سنة متبعة وكل قراءة هي بذاتها قرآن مثلو مبين، فمجموع القراءتين يشير إلى أن التأويل أحدهما: علم بالمأل والغاية ولا يعلمه إلا الله كما أشارت القراءة الأولى، والقسم الثاني: من التأويل علم بالتفسير والمراد من الألفاظ، وهذا يعلمه الله وقد يعرفه الراسخون في العلم، وهم في الحالين يقولون آمنا أي صدقنا وأدعنا كل من عند ربنا، فهم مفوضون مؤمنون مدعنون في حال علمهم وجهلهم، مصدقون بأن المحكم والمتشابه من عند الله^(٢).

ذكر الإمام أبو زهرة في الوقف والوصل على أنهما قراءتين والصحيح أنهما ليست من القراءات ولعله قال ذلك تجاوزاً ويقصد بها الوجه الذي يقرأ به، وذكر معناهما على الوجه الذي ذكر فيه معنى المتشابه سابقاً.

(١) انظر: المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ، لأبي عمر الداني، تحقيق د. يوسف عبد

الرحمن المرعشلي، ص ١٩٤، ١٩٧، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٩، ص ٥٤٢، ٥٤٣.

٢. المتشابه يقع في آيات الصفات لا في الأحكام التكليفية:

والإمام أبو زهرة يرفض أن يكون موضوع الآيات المتشابهة حكماً تكليفاً من الأحكام التي كلف بها عامة المسلمين حيث يقول: "تقرر أن الذي يستخلص من مصادر الشريعة ومواردها أن الآيات المتشابهة لا يمكن أن يكون موضوعها حكماً تكليفاً من الأحكام التي كلف عامة المسلمين أن يقوموا بها، وإنه لا يمكن أن تكون آية من آيات الأحكام التكليفية قد انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى من غير أن يبينها، ولا تشابه فيها بعد أن بينتها السنة النبوية، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ولا شك أن أول بيان ما نزل إليهم بيان الأحكام التكليفية ولو تصور أحد أن من آيات القرآن التي تشتمل على أحكام تكليفية لم يبينه النبي - ﷺ - لكان معنى ذلك أن الرسول الكريم لم يبلغ رسالة ربه، وهذا مستحيل، لذلك نقول جازمين: إنه ليس في آيات الأحكام آية متشابهة وإن اشتبها فهمها على بعض العقول لأنه لم يطلع على موضوعه فليس ذلك لأنها متشابهة في ذاتها بل لاشتباه عند من لا يعلم واشتباه من لا يعلم لا يجعل آية في القرآن متشابهة.. وأكثر العلماء يقولون إن آيات الصفات التي توهم التشبيه هي من المتشابهة كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقالوا إن السلف يفوضون فيقولون آما به كل من عند ربنا، والخلف يؤلون، فيقولون إن اليد هي القدرة، والاستواء الاستيلاء، والوجه هو الذات، وهكذا يعتبرون تلك الآيات من المتشابهة.

وقد وجد من العلماء من لم يعدوا آيات الصفات من المتشابهة، إنما عند أكثرهم هو ما يكون خاصاً بالغيب الذي لا نعلمه ولم يُعلمه لنا، كحقيقة الروح وما يكون من نعيم اليوم الآخر، والعقاب والثواب فيه، من حيث إنه لا يعرف مآله إلا الله تعالى، وما أخبره الله تعالى إن هو إلا تقريب، ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهؤلاء الذين نفوا آيات الصفات من المتشابهة لهم ثلاثة مناهج: المنهاج الأول: منهاج ابن حزم فهو يقول: (إن آيات الصفات لا تشابه فيها فهي كلها أسماء للذات العلية، فاليد كناية عن الذات، والوجه كذلك، والاستواء فعل للذات العلية... وهكذا وقصر المتشابهة على الحروف التي تبدأ بها السور والأقسام التي يقسم بها الله تعالى).

الثاني: منهاج الغزالي ذكره في بعض كتبه وهو (إلجام العوام عن علم الكلام)^(١). وقد

(١) مجموع رسائل الإمام الغزالي، الرسالة الرابعة لإلجام العوام عن علم الكلام، ص ٥٤، بدون دار نشر.

ذكر فيه أن بعض هذه الألفاظ التي توهم التشبيه هي استعمال مجازي مشهور، وليس تأويلاً فإنه يقال: وضع الأمير يده على المدينة، فيفهم كل عربي أن معنى ذلك استولى عليها وسيطر، ويكون من هذا القبيل ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فعبارات الغزالي في هذا الكتاب تفيد أن هذه العبارات مجاز عربي مشهور لا يحتاج إلى تأويل، ولكن يجب بعد هذا الفهم الظاهر التفويض وأن يقول ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ .

المنهاج الثالث: منهاج ابن تيمية وهو يرى أن هذه الآيات ظاهرة في معانيها، فهو يقول: (إن لله يدًا ولكن ليست كأيدينا، ووجهًا ولكن ليس كوجوهنا وإن هذه معان حقيقية) ويقول إن ذلك هو مذهب السلف وهو في هذا تابع لطائفة من الحنابلة ادعوا أن ذلك منهاج الإمام أحمد، ولكن رد عليهم ابن الجوزي (١) وأنكر أن يكون ذلك مذهب أحمد فقال: (رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فأثبتوا له سبحانه صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، ولا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارمة من الظواهر إلى المعاني) ثم يقول: (يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل ثم قلت في الأحاديث تحمل على ظاهرها، فظاهر اليد الجارحة، ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه مجرى الحسيات، وينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل، وهو العقل، فإننا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم) ثم قال: (لا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح ما ليس فيه) (٢) .

ومن خلال ما سبق يتضح للباحثة أن الإمام أبا زهرة يرى في قوله (الراسخون في العلم) يعلمون تأويله أم لا ؟ أنه لا منافاة بين المعنيين لمعنى تأويل المتشابه لأن الاختلاف فيهم هو اختلاف في معنى التأويل والتأويل عنده علم بالمأل والغاية ولا يعلمها إلا الله والمعنى الثاني علم بالتفسير والمراد من الألفاظ وهذا يعلمه الراسخون في العلم وفي الحالتين يقولون آمنا بالله (٣) .

(١) دفع شبه التشبيه، بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والمشبهة، للإمام الحافظ المفسر أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، صدر له الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٢٦-٢٩، المكتبة التوفيقية، قال الإمام أبو زهرة في تفسيره إن اسمه جمال الدين بن الجوزي والصحيح أنه عبد الله بن الجوزي.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٩، ص ٥٤٤-٥٤٥.

(٣) ذهب إلى هذا الرأي الشيخ: مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٣، ٢٢٤.

والباحثة توافق الإمام أبا زهرة على أن الآيات المتشابهة لا تكون في الأحكام التكليفية وإن اشتبته فهمها فليس معنى ذلك أنها متشابهة، بل اشتبته فهمها عند من لا يعلم؛ لأنه لم يطلع على موضوعها.

آيات الصفات من المتشابهة هكذا يرى الإمام أبو زهرة، وقام بعرض مذاهب العلماء الذين ينفون أن تكون الصفات من المتشابهة، وعلق الإمام على رأي ابن تيمية دون الآراء الأخرى منكرًا عليه أن يكون ذلك هو مذهب السلف رادًا عليه بأقوال الإمام ابن الجوزي بعدم أخذ الآيات بظواهرها دون المعاني، والإمام أبو زهرة يرى أن أخذ آيات الصفات بظواهرها تثبت أن لله يدًا ووجهًا على الحقيقة، وهذا تشبيه بالمخلوقات. والإمام -رحمه الله- عند تفسيره للمتشابهة قال: "علينا أن نؤمن بما أخبرنا به القرآن الكريم، وما جاءت به السنة النبوية الصحيحة"، والقرآن والسنة لم يفصلوا في صفات الله، والسلف أخذوها كما أخبرهم بها الله في كتابه العزيز، وفي سنة رسوله -ﷺ- فوصفوا الله بما وصف به نفسه ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه دون تأويل ولا تعطيل.

- وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿الْمُرْتَلِكُ ءآيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: ١-٢] قال رحمه الله: "(المر)، حروف مفردة قد تكلمنا عن هذه الحروف وقلنا إنها من المتشابهة الذي استأثر علم الله تعالى به، ولسنا من الذين زاغت قلوبهم، يبتغون ما تشابه ابتغاء تأويله وقلنا نلتمس الحكم في ابتداء السورة بهذا وقد حاولنا تلمس هذه الحكم" (١).

يلحظ من المثال السابق أن الإمام أبا زهرة يعتبر الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابهة الذي استأثر الله بعلمه، والذي لا يمكن للإنسان معرفته ويعجز العقل عن إدراكه ويرى أنه يمكن تلمس الحكمة منها.

والإمام عند تعريفه للمتشابهة ذكر معنيين له: المعنى الأول لا يمكن للبشر إدراك معناه فهو من علم الله، والمعنى الثاني يمكن معرفة المتشابهة لأهل العلم خاصة، واعتبر المعنيين صحيحين من غير ترجيح وعلى ذلك فهو يرى أن الحروف المقطعة من المتشابهة الذي استأثر الله بعلمه.

جملة لقول: الإمام أبو زهرة يؤمن بأن في القرآن محكم ومتشابه، والمتشابه لا يقع في الأحكام التكليفية، ولكن في آيات الصفات.

(١) زهرة التفسير، [الرعد: ١]

المطلب الخامس الإسرائيليات

الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب -عليه السلام- وبنو إسرائيل أبناء يعقوب وقد تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى -عليه السلام- وحتى عهد نبينا محمد -ﷺ- وقد عرفوا باليهود من قديم الزمان وأما من آمنوا بعيسى فقد أصبحوا يطلق عليهم النصارى وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح في عداد المسلمين ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب (١).

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أن العلماء يريدون ما هو أوسع من ذلك وأشمل فيريدون به ما يعم اللون اليهودي، واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية (٢). وقد اشتمل القرآن على كثير مما جاء في التوراة والإنجيل وخصوصاً ما يتعلق بقصص الأنبياء وأخبار الأمم ولكن قصص القرآن يجمل فيها القول لأن الهدف هو موطن العبرة والعظة دون ذكر للتفاصيل الجزئية، أما التوراة والإنجيل فإنهما قد تعرضا لشرح التفاصيل والجزئيات.

وعندما دخل أهل الكتاب في الإسلام حملوا معهم ثقافتهم الدينية من الأخبار والقصص الديني، وهؤلاء حين يقرأون قصص القرآن قد يتعرضون لذكر التفاصيل الواردة في كتبهم، وهذه الأخبار هي التي يطلق عليها الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على النصراني، حيث كان النقل عن اليهود أكثر لشدة اختلاطهم بالمسلمين منذ بدأ ظهور الإسلام ولم يأخذ الصحابة -رضي الله عنهم- عن أهل الكتاب في تفسير القرآن من الأخبار الجزئية إلا القليل النادر ولكن في عهد التابعين كثر الدخول في الإسلام من أهل الكتاب، فكثر أخذ التابعين عنهم، ثم عظم شغف من جاء بعدهم من المفسرين بالإسرائيليات (٣).

وللإمام أبي زهرة موقف من هذه الإسرائيليات، فقد كان يعرض عنها، ولا يذكرها في تفسيره، معتبراً أنه لو كان منها فائدة لذكرها القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومهما كانت درجة صحتها ففي القرآن والسنة ما يكفي للاستدلال والتفسير ومن الأمثلة على ذلك:

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبه، ص ١٢، (بتصرف) مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٩٠٨هـ.

(٢) التفسير والمفسرون، (١/١٧٦) (بتصرف).

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٦٥، (بتصرف).

(١) قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] "من هم هؤلاء الذين فروا من الموت فلقبهم من حيث لا يقدر، ثم أحياهم من ذلك رب العالمين؟ وهل هذه الحياة كانت في الدنيا؟

وقد وردت في ذلك أخبار وروايات لم تثبت بسند صحيح عن النبي -ﷺ- الذي بين الكتاب للناس، ولا عن أحد من أصحابه الذين تلقوا ذلك البيان.

ومن تلك الروايات أنهم قوم من بني إسرائيل خرجوا هاربين من الوباء فزلوا وادبوا، فأماتهم الله ثم أحياهم اعتباراً وإجابة لدعاء نبي من أنبيائهم. وفي رواية أخرى أنهم قوم من بني إسرائيل فروا من الجهاد مع نبيهم، فأماتهم الله ليعلمهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم ليجاهدوا.

ورواية ثالثة تقول: إن أولئك القوم كانوا من بني إسرائيل، حرصهم ملك من ملوكهم على الجهاد فخرجوا حذر الموت، فأماتهم الله سبحانه ثم أحياهم.

وفي كل رواية من تلك الروايات تفصيلات لا حاجة إلى ذكرها، ولقد نقل القرطبي في (أحكام القرآن) بعد ذكر هذه الروايات ما نصه: (قال ابن عطية: وهذا القصة كله لئلا الأسانيد وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً -ﷺ- إخباراً في عبارة التنبية والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا هم وكل من خلف من بعدهم أن الإمامة إنما هي بيد الله تعالى لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا غترار مغتر؛ وجعل الله تعالى هذه الآية مقامة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد -ﷺ- بالجهاد، وهذا قول الطبري، وهو ظاهر وصف الآية) (١) (٢).

هذه كلمة نقلها القرطبي، وقد اختار من قبله شيخ مفسري الأثر ابن جرير (٣) ذلك، وقد ارتضى ألا يتعرض لأولئك الأقوم من هم؟ إذ لو كان في نكرهم فائدة لنكرهم القرآن أو لنكرتهم السنة النبوية (٤).

وفي هذا المثال بين الإمام أبو زهرة أنه لا يُعني من هم هؤلاء القوم لأنه لا فائدة من

(١) المحرر الوجيز، للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام الشافعي، (٣٢٨/١) دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٩٩٣م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٣/٢٣١)،

(٣) انظر: جامع البيان (٢/٣٦٥).

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١٢، ص ٧٣٢

نكرهم ولو كان فيهم فائدة لنكرهم للقرآن والسنة وأن ما يُعْنينا هو العبرة من هؤلاء القوم لا قصصهم.

(٢) وقال عند بيانه لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣]. "هذه مقالة الرجلين اللذين أنعم الله تعالى عليهما فيما حكى الله تعالى عنهما، أراد ذالك الرجلان أن يزيلا خوف بني إسرائيل، من أهل هذه الأرض إذ إنهم أجسام ليس فيها قلوب قوية، وقد ذكر ابن جرير الطبري ما يصور أنه مقالتهما، فقال: (قالوا لجماعة من بني إسرائيل أن الأرض مررنا بها وجسناها صالحة رضيها ربنا فوهبها لنا، وإنها لم تكن تفيض لبناً وعسلاً، ولكن افعلوا واحدة، لا تعصوا الله ولا تخشوا الشعب الذين بها، فإنهم جبناء مدفوعون في أيدينا، إن حاربناهم ذهب منهم، وأن الله معنا فلا تخشوهم)^(١) ويظهر أن هذه العبارات مصدرها إسرائيلي؛ لأنها تتقارب مع نصوص التوراة التي بأيديهم ومهما تكن صحة النسبة في هذه الأقوال، فإن الآية الكريمة لها مدلولها بعباراتها التي حكاها سبحانه وتعالى عنهم^(٢). وفي هذا المثال ترى الباحثة أن الإمام رد الرواية الإسرائيلية، ولم يأخذ بها واكتفى بمدلول الآية القرآنية مهما كانت صحة هذه الروايات.

وختلاصة القول: أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- ابتعد عن الإسرائيليات في تفسيره وكان أحياناً ينكرها ليرد ويستشهد بأقوال العلماء في ردها وقد سار على هذا المنهج في تفسيره ولم يحد عنه.

(١) انظر: جامع البيان، (١١٥/٥)

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٢، ص ٧٦، ٧٧.

المطلب السادس المناسبات

أولاً: تعريف علم المناسبات:

المناسبة هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعنى ارتباط السورة بما قبلها وبما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها^(١). قال الإمام برهان الدين البقاعي^(٢) عن علم المناسبات: "علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كحكمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"^(٣).

وهذان التعريفان يتضح من خلالهما معنى علم المناسبة الذي هو ارتباط ما بين السورة وما قبلها وما بعدها، وما بين الآية وما قبلها وما بعدها وفيه بيان لعلاقة كل آية بما سبقها وبما يليها وكذلك الحال في السورة حتى لا يظن بعض الناس أن الآية في السورة لا صلة لها بالآية التي قبلها أو بعدها، وأن موضوع كل منهما يختلف عن الآخر وهنا يظهر سر البلاغة في أن جميع آيات السورة وجميع السور يوجد بينهما ارتباط، فاسم السورة لها علاقة بموضوع السورة، وفواتح السورة لها علاقة بخواتيم السورة، والآيات داخل السورة مرتبطة بعضها ببعض، وكذلك الحال في السورة، فإن للسورة مناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها، وكذلك مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها.

وقد اعتبر الإمام البقاعي نسبة علم المناسبة من علم التفسير كنسبة علم البيان من علم النحو

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ص ٥٨، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م.

(٢) البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر مؤرخ أديب أصله من البقاع في لبنان وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. انظر: الأعلام (٧٦/١). وانظر: الضوء اللامع، (١٠١/١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (٥/١)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.

لأهميته.

ثانياً: منهج الإمام أبي زهرة من علم المناسبة:

اعتنى الإمام أبو زهرة بعلم المناسبة عناية واضحة، فقد كان كثيراً ما يربط بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور، وفيما يلي منهجه في علم المناسبة:

(١) علاقة اسم السورة بالسورة:

اسم السورة القرآنية لا بد أن يكون له علاقة ومناسبة مع السورة نفسها؛ لأن اسم السورة غالباً ما يكون من موضوعات السورة، مثل ذلك:

أ. قال رحمه الله في مقدمة سورة الكهف: "سميت سورة الكهف؛ لأن أهل الكهف وقصتهم أخذت شطراً كبيراً وعدد آياتها عشرة ومائة آية، وهي مكية" (١).

ب. وقال رحمه الله في مقدمة سورة النمل: " هذه سورة مكية نزلت بمكة وسميت النمل ؛ لأن قصة سليمان مع النمل أخذت حيزاً كبيراً منها، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية" (٢).

يتضح من المثالين السابقين علاقة اسم السورة بالسورة نفسها.

(٢) المناسبة بين فقرات الآية:

قد يُظن أن هناك من الآيات التي لا يوجد مناسبة بين فقراتها وأنها تحمل أكثر من موضوع ولكن الصحيح أن جميع الآيات يوجد مناسبة بين جميع فقراتها، والإمام رحمه الله - كان كثيراً ما يذكر المناسبة في الآيات، مثل ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُرَحِّمَكُمُ وَإِن عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] قال: "الخطاب أيضاً للمؤمنين، ولا يتصور أن يكون لليهود لأنه دعوة إلى الهمة والأخذ في أسباب النصر واستتقاذ أرض الله المقدسة من أيدي طغمة اليهود؛ ومن يعاونونهم من وحوش الأرض الذين لا دين لهم ولا خلق ولا أية ناحية من النواحي الإنسانية، والرجاء من ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُرَحِّمَكُمُ﴾ من الناس ومعنى الرجاء منهم أن يتخذوا الجهاد سبيلاً، ويعتصموا بالقوة، ويتسربلوا بالصبر والإقدام، وعندئذ يرحمكم الله تعالى بالصبر والتأييد، ﴿وَإِن عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أي وإن عدتم بالإيمان والصبر وإخلاص النية والجهاد لاستتقاذ الأرض الطاهرة عدنا إليكم بالنصر والتأييد

(١) زهرة التفاسير، [الكهف، المقدمة].

(٢) زهرة التفاسير، [النمل، المقدمة].

والله معكم ولن يتركم أعمالكم، ثم نكر أن اليهود والذين كفروا بالله وقتلوا الأنبياء لهم جهنم فقال تعالت كلماته: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾...^(١).

يتضح من المثال السابق وجه المناسبة بين قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُرَحِّمَكُمْ﴾ وبين قوله ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ففي الفقرة الأولى فيها الرجاء باتخاذ الجهاد وإعداد العدة وتكون الرحمة من الله بالنصر والتأييد، وتكون وإن عادوا بالإيمان والصبر والجهاد، عدا بالنصر والتأييد.

(٣) المناسبة بين الآيات المتسلسلة في سورة واحدة:

نكر الإمام وجه المناسبة ما بين الآيات المتتابعة في نفس السورة، ومثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦، ١٩٧] قال رحمه الله: "هاتان الآيتان متصلتان بما قبلها أوثق الإتصال، وذلك بأن الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فيها تنظيم للجماعة الفاضلة، ببيان حق الفقير في مال الغني، وبيان المساواة العادلة في تطبيق القوانين الإسلامية لا فرق بين قوي وضعيف، ولا شريف ووضيع، وبيان العقوبة تكون على قدر الجريمة وإن في ذلك حياة الجماعة حياة فاضلة عادلة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وفيها تنظيم للأسرة بالتعاون بين آحاديها؛ بأن يمد الغني الفقير بالهبات في الحياة، والوصايا بعد الوفاة، وفيها بيان لما يهذب النفس ويقوي الروح فذكر الصيام، ثم فيها إشارة إلى الحج الذي يجمع في ثناياه بين إصلاح الأحاد في ذات أنفسهم، وإصلاح الجماعة وتنظيمها، وفي أحكامه تتلاقى نرائع التنظيم الاجتماعي، والإصلاح النفسي فهو في ذاته رحلة روحية يشارف المؤمن فيها المقام القلبي، إذ يحل في المكان الذي شرفه الله سبحانه بنسبته إليه، ووضع قواعده النبيون الصديقون؛ وفيه للصدقات وإمداد الفقراء بل في بعض كفاراته للصوم، وفيه التنظيم الاجتماعي العام بالتعارف بين المسلمين في كل البقاع، فكان

(١) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٨].

حقاً أن يجيء الحج بعد الأحكام المنظمة، والعبادات المصلحة للنفس المهذبة للروح؛ لأنه يجمعها في أحكامه ولكن الحج في أبان نزول القرآن متعزراً أو متعسراً؛ لأن المزار الأكبر وهو البيت الحرام والمشعر الحرام كان المشركون قد سيطروا عليه، والأصنام تحيط به من كل جانب، وهم يمنعون المسلمين منه، والعداوة بينهم وبين النبي وصحبه مستعرة؛ فكان لا بد من القتال للوصول إليه، وأداء تلك الشريعة الإسلامية لذلك جاء نكر القتال بين الإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] وبين بعض أحكامه في قوله تعالى: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ثم هناك ارتباط خاص بين أحكام القتال وأحكام الحج؛ لأن القتال جهاد لحماية الدولة في الخارج، والحج جهاد لتهديب النفس وحماية الدولة الإسلامية في الداخل؛ بالجمع بين أقطارها، والتعارف العام بين شعوبها، ونشر المساواة العادلة بين أحادها؛ ولذلك لم يعتبر النبي ﷺ - عبادة تلي الجهاد في سبيل الله غير الحج لله.

ثم هناك مناسبة خاصة بين الآية الأولى وأحكام القتال، لأن فيها بيان حكم من يمنعه عود من الوصول إلى البيت الحرام، وقد حدث في العام السادس أن منع النبي ﷺ - من الوصول إلى البيت الحرام وهم بأن يمتشق السلاح ويقاقل حتى يصل إليه بقوة السلاح؛ ولكن كان الصلح على أن يرجع من عامه هذا، ثم عاد في العام السابع وأدى عمرة القضاء. فكانت هذه الآية ذات مناسبة خاصة تربطها بالقتال والجهاد في سبيل الله تعالى^(١)

وفي المثال السابق بيّن الإمام -رحمه الله- وجه المناسبة ما بين الآيتين في سورة [البقرة: ١٩٦، ١٩٧] وبيّن ما سبقها من الآيات المتتالية بداية من [آية ١٧٧] من نفس السورة وربط بينها بشكل جميل متسلسل جاعلاً الآيات آخذة بعضها بأعناق بعض.

(٤) مناسبة فواتح السور مع خاتمة ما قبلها:

إن لكل سورة فاتحة هي غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، والإمام بين هذا النوع في تفسيره، مثل ذلك:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] قال: "كان ختام السورة السابقة اثبات سلطان الله تعالى الكامل وقدرته الشاملة، وأنه لا يعجزه شيء في السماء، ولا في الأرض، إذ قال

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٤، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

سبحانه ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] .
 وفي هذه الآية بين سبحانه السبب في كمال سلطانه والمظهر الأعظم لكمال قدرته، وهو
 خلق السموات والأرض وخلق الإنسان فإن هذا من أسباب السلطان الكامل على السموات
 والأرض وما فيهن وهو مظهر كامل لكمال قدرته سبحانه وتعالى^(١)

ب. وغد بيانه لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:
 ١] قال رحمه الله: "ابتدأت السورة الكريمة بالتحمد بعد أن ختمت السورة السابقة^(٢) بالتكبير فهو
 المحمود الكبير الذي ليس فوقه أحد سبحانه وتعالى"^(٣)
 ويتضح من المثالين السابقين المناسبة بين خواتيم السور وفواتح السور التي تليها، ولا بد أن
 يكون هناك مناسبة قوية بين السورتين.

يتضح من خلال منهجية الإمام أبي زهرة - رحمه الله - أهمية علم المناسبة في التفسير،
 وما تحدثه من ترابط بين اسم السورة، وبين الآيات بعضها ببعض، ومناسبة خاتمة السور بفواتح
 غيرها، بوجه يظهر الترابط بين آيات القرآن الكريم.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٣، العدد ٥، ص ٢٣٦.

(٢) السورة السابقة سورة الإسراء وخاتمتها قوله تعالى: ﴿وقال الحمد لله... تكبيرا﴾ [الإسراء: ١١١].

(٣) زهرة التفاسير، [الكهف: ١]

المطلب السابع الحروف المقطعة في أوائل السور

الحروف المقطعة هي الحروف التي يفتتح بها بعض السور وهذه الحروف عددها تسع وعشرون حرفاً، يبلغ عدد الحروف الواردة منها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً وهي نحو: الم، المص، كهيعص، حم، طسم وللعلماء آراء كثيرة فيها وفي تأويلها، ولا مجال لعرضها هنا لكثرتها وطولها، ولا فائدة كثيرة من عرضها.

وقد سميت بعض سور القرآن بهذه الحروف مثل: سورة (ق)، وسورة (ص)، يقول عدنان زرزور عن هذه الحروف: "والذي يترجح عندنا أنه أريد بها - والله أعلم - التحدي والإعجاز من ناحية، والدلالة الموسيقية، والتمهيد النفسي، والشعوري من جهة أخرى وهذا لا يتعارض مطلقاً مع ما ذهب إليه السلف من اعتبارها أسماء للسور القرآنية"^(١).

وهذا الرأي يتفق بعض الشيء مع رأي الإمام أبي زهرة - رحمه الله - والإمام أقر بعدم معرفة حقيقتها؛ لأنها مختصة بعلم الله تعالى، ولكنه اعتبر لوجودها حكمة والتي منها الإعجاز والتحدي.

* منهج الإمام أبي زهرة في تفسير الحروف المقطعة:

سار الإمام أبو زهرة على مسلك متوسط في تفسيره لهذه الحروف فلم يقتصر على عبارة (والله أعلم بالمراد)، ولم يفرط بذكر الأقوال الكثيرة عن هذه الأحرف، وكما هو معروف عن الإمام أبي زهرة فهو يكره التكرار لعدم الفائدة منه ولذلك لم ينقل أقوال المفسرين في هذه الحروف، مثال ذلك:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] قال رحمه الله: "ابتدأ الله تعالى السورة الكريمة بالحروف الصوتية المفردة، وهي من المتشابه الذي اختصه الله تعالى بعلمه وإن تفسيرنا لها رجم بالغيب، إذ لم يرد عن النبي فيها برواية صحيحة بينة، فليس لنا أن نعرف معناها ما دامت قد أبهمت علينا وتركها الله تعالى من غير بيان، ولكن علينا أن نؤمن بحقيقتين:

أولاهما: أن الله تعالى لم يضع هذه الحروف إلا لغاية أرادها وحكمة، وعلينا أن نتحراها

(١) علوم القرآن، د. عدنان زرزور، ص ١٦٢، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

ثانيتها: أن نتمس الحكمة وقد تلمسها المفسرون فوجدوها في أمرين:

أ. إن كبار المشركين لما رأوا أن من يسمع منهم القرآن يؤثر فيه ويصغي إليه فؤاده فدفعهم العناد والمكابرة إلى أن قالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وكان النبي -ﷺ- يفجؤهم بتلاوة القرآن بهذه الحروف الصوتية فينقضون اتفاقهم ويحنون إليه تباعاً، وروى أنهم في ليلة اتفقوا على هذا الموقف السلبي ولكن كل واحد منهم نقض ما اتفق عليه وذهب إلى المكان الذي يستمع منه إلى النبي -ﷺ- فإذا هم يلتقون حيث كانوا يتفقون على البعد عن الاستماع^(١)

ب. أن النبي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، والأمي يعرف الكلمات ولا يعرف الحروف فمجيء هذه الحروف على أمي لا يقرأ ولا يكتب فيه غرابة وفوق ذلك فإن هذا من التحدي كأن يقال لهم: هذا الكلام مركب من الحروف التي ركب منها كلامكم فكيف تعجزون عن أن تأتوا بمثله وفي ذلك دليل على أنه ليس بنوع كلامكم ولا هو مما في إمكانكم أو طاقتكم^(٢).

(٢) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿طَسْم، تَلْكَ، آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ١، ٢] قال " (طسم) هذه حروف ابتدأت بها السورة وقد ذكر أن معناها على الحقيقة لا نعلمه، بل اختص بها علم الله تعالى، والله بكل شيء عليم، وقد نعرف حكمتها على قدر طاقتنا، وهي الإشارة إلى أن القرآن مكون من الحروف التي تتطوقن بها، ولكنكم تعجزون عن أن تأتوا بمثله؛ لأنه من عند الله، ولأن النبي -ﷺ- أمي لا يقرأ ولا يكتب فهو يعرف الكلمات ولا يعرف الحروف...^(٣) .

يلاحظ من المثالين السابقين رأي الإمام أبي زهرة في الحروف المقطعة حيث اعتبرها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وأن تفسيرها رجم بالغيب، إذ إنه لم يرد برواية صحيحة عن النبي -ﷺ- معناها، ولذلك يجب ترك علمها إلى الله تعالى، ويرى أن من وجودها غاية وحكمة أرادها الله، وأنه يجب تلمس هذه الحكمة والتي منها الإعجاز الصوتي لهذه الحروف التي تجبر السامع على النصائح إليها.

ومن الحكم أيضاً: التحدي للعرب أهل البلاغة، والفصاحة، والبيان فهذه لغتكم

(١) انظر: جامع البيان ، (٧١/٢٤).

(٢) زهرة التفاسير، [يونس: ١]

(٣) زهرة التفاسير، [الشعراء: ١]

فكيف تعجزون عن أن تأتوا بمثل ذلك، وهذا الرأي للإمام أبي سار عليه في كل تفسيره ولم يحد عنه وهو بذلك وافق الشوكاني في رأيه حيث قال عند انتهائه من الحديث عن هذه الأحرف: "والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة، واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأن إنزالها حكمة لله - عَلَّمَ - لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا، وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه" (١).

ولذلك يجب الاقتداء بسلف الأمة، بعدم الخوض في معنى هذه الحروف.

(١) فتح القدير، (١/٤١).

المطلب الثامن المبهمات

أولاً: تعريف المبهم:

هو اللفظ الذي خفيت دلالته على الحكم خفاء لذاته، أو لعارض من غير الصيغة، فتوقف فهم المراد منه على شيء خارجي غيره، وقد يزول هذا الخفاء بالاجتهاد حيث يفهم المراد وقد يتعذر زواله إلا ببيان من الشارع^(١).

والصحيح عدم الاجتهاد فيما أبهم في القرآن إلا إذا جاء شيء في الشرع يوضح هذا الإبهام.

ثانياً: موقف الإمام أبي زهرة من المبهم في القرآن:

موقف الإمام من الإبهام موقف عادل فهو لا يجهد نفسه في البحث عن هذه المبهمات التي لا تعود بالفائدة الكبيرة من وراء معرفتها، وإن وجد في القرآن أو السنة ما يوضحه اكتفى به، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) عند بيانه لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] قال: "تكاثر جمع المؤمنين نسبياً في مكة، وخرجوا مهاجرين، ليقيموا دولة الفضيلة في المدينة، وسكنها النبي ﷺ - واستقر بها، وأخذ يعقد العهود، وينسق العلاقات بين المقيمين بها وحولها، حتى يكون الاطمئنان، ولقد أراد المؤمنون أن يتقدموا لقتال المشركين، حتى أن النسائي يروي أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابه أتوا النبي ﷺ فقالوا: (يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا في ذل)^(٢) يريدون أن يأمرهم بقتال المشركين وسواء أكان الطلب وهم بمكة أم كان وهم بالمدينة، قبل أن يتقدم النبي ﷺ - لدفع أذى المشركين بالسيف بعد أن تمادوا وطغوا في الأرض.... فإن النبي بحكم الله أمرهم أن يكفوا عن القتال وقتاً ينظم فيه الأمر بتقوية أرواحهم..."^(٣).

وفي المثال السابق بيّن الإمام أبو زهرة المبهم في الآية من خلال السنة النبوية حيث ذكر أن الذين قيل لهم كفوا أيديكم كان جمع من الصحابة ومن بينهم عبد الرحمن

(١) أصول التفسير وقواعده، ص ٣٤٣.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، (٢/٦، ٣٠٨٦)، والراوي ابن عباس.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٥، العدد ١٠، ص ٥٤٨.

ابن عوف. ومن الملاحظ أن الإمام أبا زهرة بين الإيهام بما ذكر من السنة دون تكلف.

(٢) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. قال رحمه الله: وقد ذكر الله سبحانه في هذه الآيات أن الناس فريقان: فريق الشر أهل النفاق وهم الداء وهم درن الأمة بل السرطان الذي يقضي عليها، إن لم يجتث من أصله. والفريق الثاني: وهم الذين يتولون العلاج وهم الأخيار الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله.

وقد ابتدأ سبحانه بذكر الداء ليعلم أهل الخير مقدار ما يبطلون به... ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذه هي الصفة الأولى وهي أصل الداء القاتل وقوته فإن خلاصة اللسان المنافق وقوة البيان الكاذب، وحسن العرض للقول الباطل، هي المعاول القوية التي يرفعها المبطلون لهدم الفضائل؛ فهم بمعرفتهم بمآتى القول ومورده يثيرون الإعجاب بحسن تأتيمهم وينالون الاستحسان العظيم بلطف مداخلة أو بزخرف القول وزوره ويسترعون ألسان بعض أهل الخير الكرام، فالمؤمن غر كريم والمنافق خب^(١) لنيم^(٢).

وفي هذا المثال ترى الباحثة أن الإمام أبا زهرة لم يتعرض للحديث عن تفصيل ما أبهم في هذه الشخصية بذكر اسمه أو غير ذلك، واعتبرها نموذج من نماذج النفاق وذكر الصفات التي يتصف بها هذا النموذج.

(٣) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦] قال: "...الكتاب هو القرآن كما أشرنا من قبل، والخطاب للنبي - ﷺ - وإدريس قيل إنه كان من قبل نوح، ولا نجد ما يدل على ذلك من كتاب ولا سنة، وإنما هي أخبار كتاب قصص الأنبياء.

وجد في تفسير القرطبي: (وإدريس - عليه السلام - أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب وألبس المخيط، وأول من خط في علم النجوم والحساب)^(٣)، وإذا صح هذا فربما

(١) الخب: الرجل الخداع. انظر: الصحاح، مادة(خبب)، (١١٧/١)،.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥٥، العدد ٦، ص ٣٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (١١٧/١١)

يكون أقدم من نوح وكلنا في مثل هذا نقول: علمه عند الله، وإنه لا يزيل إبهامًا في القرآن، ولا تأتي بعلم جديد، وإنه لمن أمر فإنه لا يغنى من الحق شيئاً...^(١).

يلحظ من المثال السابق أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- بعد أن ذكر قول الإمام القرطبي عن النبي إدريس -عليه السلام- ترك علمه لله لأن القرآن لم يفصل القول عن إدريس -عليه السلام- ولذلك يرى أنه مبهم وأنه لا يزيل الإبهام في القرآن لأنه من علم الله سبحانه تعالى.

يتضح من خلال ما سبق أن الإمام أبا زهرة لم يجهد نفسه بالبحث عن تفسير المبهمات فقد فسرها حسب ورودها في الآية دون الاستطراد بالحديث عنها فإن وجد ما يبين هذا الإبهام من القرآن أو السنة ذكره كما في حديث عبد الرحمن بن عوف، وإن لم يجد سكت عنه وهذا هو المنهج الصحيح في تفسير المبهمات.

(١) زهرة التفاسير، [مريم: ٥٦].

الفصل الثالث

منهجه في التفسير بالرأي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القضايا اللغوية عند الإمام أبي زهرة.

المطلب الأول: عنايته ببيان معاني المفردات اللغوية واشتقاقها.

المطلب الثاني: موقفه من المسائل النحوية والصرفية.

المطلب الثالث: استشهاده بالشعر.

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند الإمام أبي زهرة.

المطلب الأول: الإعجاز البياني.

المطلب الثاني: الإعجاز التشريعي.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي.

الفصل الثالث منهجه في التفسير بالرأي

تعريف التفسير بالرأي:

هو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر^(١).

ويجيز الإمام أبو زهرة -رحمه الله- هذا النوع من التفسير ويضعه في المرتبة الرابعة من مصادر التفسير، حيث قال: "تفسير القرآن بالرأي: أي بالنظر المجرد الذي لا يخالف اللغة بل يستعين بمناهجها، ولا يخالف السنة بل يعتمد على الصحيح من أسانيدھا إن صحت عنده ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور، ولا أسباب النزول التي صحت بسند صحيح"^(٢).

ويتضح أن التفسير بالرأي هو اجتهاد المفسر في تفسير القرآن بعد معرفته للغة وألفاظ العربية ووجوه دلالتها، وللشعر العربي شرط ألا يخالف قواعد اللغة ولا السنة، ولا يناقض تفسير الصحابة، بل يعتمد على الصحيح من أسانيدهم.

المبحث الأول القضايا اللغوية عند الإمام أبي زهرة

السلغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي توحدت عليها الأمة العربية والإسلامية وقد وُصف القرآن بأنه عربي مبین لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣] وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. ولا سبيل لفهم القرآن إلا بلغة العرب كما قال الإمام الشاطبي

(١) التفسير والمفسرون (٢٦٥/١).

(٢) المعجزة الكبرى، ص ٥١٥

: "من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"^(١).

وعلى ضرورة تعلم اللغة العربية وأهميتها بالتفسير قال الإمام الأزهرى ^(٢) :
 "علينا أن نجتهد في تعلم ما توصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن
 المبينة لمجمل التنزيل الموضحة للتأويل لتنتفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء
 أهل الزيغ والإحاد ثم على رعوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بأرائهم المدخولة
 فأخطأوا وتكلموا في كتاب الله - ﷻ - بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا
 وأضلوا"^(٣).

وعلى ذلك فإنه لا يمكن لأحد فهم كتاب الله وهو لا يحسن اللغة العربية ولذلك
 كانت اللغة من العلوم الهامة التي يجب على المفسر معرفتها والتمكن منها حتى يستطيع
 أن يفهم مراد الله ﷻ.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، (٦٤/٢).

(٢) الأزهرى: محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة، كان
 فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها. انظر: وفيات الأعيان، (٣٣٤/٤).

(٣) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، (٣،٤/١) دار القومية
 العربية للطباعة ١٩٦٤م.

المطلب الأول

عنايته ببيان معاني المفردات اللغوية واشتقاقها

بيان معاني مفردات ألفاظ القرآن واشتقاقها من الأمور الهامة التي تُعين على فهم كتاب الله - ﷻ - بل ويعتبرها الراغب الأصفهاني أول ما يُحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن هي العلوم اللفظية والتي منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات هي من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه (١).

والإمام أبو زهرة - رحمه الله - اعتنى اعتناءً بالغاً في بيان المفردات القرآنية من خلال عدة ملامح:

(١) اعتماده على كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني غالباً:

كتاب الأصفهاني من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الإمام أبو زهرة في تفسيره لغريب القرآن (٢) وهو مصيب في ذلك؛ لأن هذا الكتاب كان وما زال محل اهتمام العلماء وقد قال الإمام السيوطي أثناء حديثه عن مصنفات غريب القرآن: "ومن أحسنها المفردات للراغب" (٣).

استعان الإمام أبو زهرة بكتاب (المفردات) في بيان غريب القرآن كثيراً لبيان معاني المفردات القرآنية، فبعد ذكره لمعنى الكلمة يستدل بقول الإمام الأصفهاني في معنى الكلمة واشتقاقها، والآيات القرآنية التي تدل على هذا المعنى مستخلصاً المعنى المقصود لهذه الكلمة، مثال ذلك:

أ- بيانه لمعنى الامتراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] قال: "الامتراء: هو الشك الذي يدفع إلى المرء والمجادلة المبنية على الأوهام لا على الحقائق ولذلك قال الراغب الأصفهاني في معنى الامتراء ما نصه: (المرية التردد في الأمر وهو أخص من الشك، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ [الحج: ٥٥] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ [هود: ١٠٩]

(١) انظر: المفردات، ص ١٠

(٢) انظر: ص ٥٤ من البحث.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ، (٣٠٣/٢).

﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرِيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾
 [فصلت: ٥٤] والامتراء والممارة: المحاجة فيما فيه تردد، وأصله من مريت الناقة
 إذا مسحت ضرعها للحلب^(١). فمؤدى كلمة الامتراء هو المحاجة فيما فيه ريب^(٢)
 يلحظ من المثال السابق اهتمام الإمام أبي زهرة ببيان المفردات القرآنية من كتاب
 الأصفهاني ولكنه لا يكتفي به بل يزيده شرحاً وتوضيحاً.

(٢) ذكره للاختلاف اللغوي حول الكلمة التي يُبنى عليها أحكام فقهية متعددة:

بيان المعنى اللغوي للكلمة مهم جداً؛ لأنه يختلف الحكم باختلاف المعنى، مثال

ذلك:

قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:
 ١٩٦] "مادة الحصر في اللغة تدل على التضييق من ذلك قوله تعالى في شأن القتال
 (وَاحْصُرُوهُمْ) [التوبة: ٥] أي ضيقوا عليهم، ولذلك أطلقت على الجيش، قال سبحان:
 ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] أي محبساً^(٣)، هذا موضع اتفاق بين
 علماء اللغة؛ ولكن الخلاف بينهم في الفرق بين الإحصار والحصر، فقد قال الكسائي^(٤)
 وأبو عبيدة^(٥) وكثيرون من علماء اللغة: الإحصار المنع بالمرض أو ذهاب النفقة، أي ما
 يكون الحبس فيه من ذات الشخص لا من أمر خارج عنه؛ والحصر هو حصر العدو؛
 على هذا يقال أحصره المرض، وحصره العدو^(٦).

(١) المفردات، ص ٤٦٩، ذكر الإمام أبو زهرة أنه نقل الكلام بنصه وبتتبع ذلك وجدت الباحثة أنه حذف بعض الآيات القرآنية التي ذكرها الأصفهاني.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٢، ص ٧٩.

(٣) المفردات، ص ١٢٨، وانظر: لسان العرب، (١/٨٩٦، ٨٩٧).

(٤) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن النحوي أحد أئمة القراء من أهل الكوفة ولد ١١٩ هـ، سكن بغداد أصله فارسي له تصانيف منها (معاني القرآن) و(القراءات) و(المتشابه في القرآن) توفي ١٨٩ هـ عن سبعين سنة. انظر: تاريخ بغداد، (١١/٤٠٣). وانظر: وفيات الأعيان (٣/٤٣٣). وانظر: معاني القرآن، للكسائي، إعداد عيسى شحاته عيسى علي، ص ٨٦، دار قباء للطباعة والنشر.

(٥) أبو عبيدة: معمر بن المثنى اللغوي البصري، تصانيفه تقارب مائتي مصنف منها (غريب القرآن)، (مجاز القرآن) وغيرها، مات سنة ٢١١ هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٣٢٦. وانظر: تذكرة الحفاظ ص ٣٧١.

(٦) انظر: لسان العرب، (١/٨٩٦، ٨٩٧).

وقال الفراء ^(١): (هما بمعنى واحد؛ فيقال حصره المرض وأحصره، وحصره العدو وأحصره) ^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: (إن الإحصار أعم من الحصر، فهو يستعمل للحبس بالعدو وبالمرض ونحوه، وأما الحصر فيستعمل في المنع من ذات الشخص بالمرض ونحوه فقط) ^(٣).

ولقد قال أبو العباس المبرد ^(٤) والزجاج ^(٥): (إن كليهما يكون للحبس بعمل العدو، وبالمرض ونحوه ولكنهما مع ذلك مختلفان في المعنى؛ فالحصر معناه الحبس، والإحصار معناه التعرض للحبس والضيق بالعدو أو المرض، كما يقال حبسه بمعنى أدخله في المحبس، وأحبسه بمعنى عرضه للحبس وقتله بمعنى أوقع به القتل، وأقتله بمعنى عرضه للقتل، وقبره بمعنى دفنه، وأقبره بمعنى عرضه للدفن) ^(٦).

وعندي أن هذا هو الفرق الدقيق الذي يكون بين الحصر والإحصار، فالفرق بينهما في معنى الاستعمال الدقيق، لا في موضع الاستعمال؛ وقد فصلنا القول ذلك التفصيل في هذا اللفظ وانتهينا إلى ما انتهينا إليه؛ لأن الفقهاء اختلفوا في الحكم، وبنوا اختلافهم على اختلاف اللغويين في معنى اللفظ.

فالحنفية قرروا أن الإحصار بالمرض أو بالعدو يسوغ التحلل بذبح الهدي على أن يقضي الحج والعمرة من بعد إن كان الإحرام بعمرة وحج.

والمالكية والشافعية قرروا أن الإحصار في الآية لا يكون إلا من العدو، أما المريض فإنه يستمر على إحرامه حتى يبرأ من مرضه... ^(٧).

وفي المثال السابق بين الإمام بداية اتفاق علماء اللغة على معنى الحصر بالتضييق

(١) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله أخباري علامة نحوي كان رأساً في قوة الحفظ، أملى تصانيفه كلها حفظاً، مات سنة ٢٠٧هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٣٦٧. تذكرة الحفاظ، ص ٣٧٢ (بتصرف).

(٢) معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد نجاتي، (١١٧/١، ١١٨)، (نقله الإمام بمعناه)، دار السرور.

(٣) المفردات، ص ٣٢٨، ذكره الإمام بالمعنى.

(٤) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، ابن عمير، أبو العباس، اللغوي النحوي، الأديب ولد بالبصرة ٢١٠هـ، له تصانيف منها (معاني القرآن) ويعرف (بالكتاب التام) و (المقتضب) في النحو. انظر:

طبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٢٦٩. وانظر: معجم الأدباء (١١١/١٠).

(٥) انظر الترجمة ص ٥٧ من البحث.

(٦) معاني القرآن، (٢٦٧/١) (نقله بتصرف).

(٧) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٤، ص ٢٠٩.

والحبس، ثم ذكر الخلاف بين علماء اللغة في الفرق بين الإحصار والحصر ناسبًا لأقوال إلى أصحابها وكان من بين هؤلاء العلماء الإمام الأصفهاني، وقد بيّن الفرق بين الكلمتين بشكل معتدل وضرب عدة أمثلة على ذلك فهو بذلك يحتكم إلى اللغة لبيان الفرق ثم ذكر رأيه واضحًا جليًا فيما عرضه من أقوال أن الفرق في معنى الاستعمال الدقيق لا في موضع الاستعمال وهذا الخلاف اللغوي انبنى عليه خلاف فقهي كما بيّن الإمام والإمام أبو زهرة -رحمه الله- عرض هذا البحث اللغوي في معنى الحصر بشكل جميل يدل على تمكن هذا العالم من اللغة.

(٣) بيان أصل الكلمة اللغوي، ومدلولها المعنوي، واستعمالات القرآن لها:

بيّن الإمام أبو زهرة -رحمه الله- أصل الكلمة ثم ذكر معناها، ثم استعمال القرآن في كثير من المواضع منها:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] قال: "النور في لغة العرب ضد الظلام وهو الذي يضيء للأبصار فنرى الأشياء وتميز بينها، وقد أطلق على سبيل المجاز على ما يميز بين المعاني فيفرق بين الحق والباطل، لذا وصف به القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقال تعالى في وصف الكتاب ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] وسمى النبي -ﷺ- فقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وأطلق على التدبير المحكم، فيقال في مدح الملوك الملك نور هذا البلد، وعلى رب البيت أنه نور البيت، وفي كل هذه الأمثلة يكون النور معنويًا فاصلاً بين الحق والباطل، والسديد وغير السديد، وعلى هذا نذكر معاني قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الله مدبر الوجود ومنشئه، خلقه ودبره في أدق نظام وأعظم إبداع...^(١).

يتضح من المثال السابق بيان الإمام أبي زهرة لمعنى كلمة (النور) في لغة العرب ثم بين مدلولها المعنوي وهو ما يفرق بين الحق والباطل ثم ذكر استعمالات القرآن الكريم لهذا المعنى مجتمعا أن جميع الآيات السابقة على معنى واحد وهو أن (النور) هو ما يفرق به بين الحق والباطل وأن معناه في الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾ أي خالق الوجود ومدبره.

ب. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

(١) زهرة التفسير، [النور: ٣٥].

حَكِيمًا ﴿النساء: ١١١﴾ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "الكسب معناه طلب ما يرغبه الإنسان، ويطلق الكسب على ما يناله الإنسان من أمور الدنيا وما تناله النفس من حظوظها أو ما تراه حظاً لها، وقد ورد الكسب في القرآن بمعنى طلب الرزق، وورد بمعنى فعل الخير وورد بمعنى فعل الإثم. ولاحظنا في تعبيرات القرآن عن كسب الآثام أنها تقرن بما تدل على استمرار النفس للشر وتأثرها به، فقد قال تعالى: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠] أي يمنع من الخير بسبب ما كسبه من ذنوب، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سِجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠] وغير ذلك ولذلك يصح أن نفس كسب الإثم بأن يتحراه ، وتَدَّرَنَ^(١) به نفسه، حتى يصير كسباً رديئاً لها وذلك أن الشر إذا ارتكبه الإنسان خط في النفس خطأ، فإذا تكرر ذلك كثرت الخطوط السوداء حتى يربد^(٢) القلب، وبذلك يكون قد كسب الإثم، وهو الذنب المبطل عن الله تعالى"^(٣) .

وفي هذا المثال ذكر الإمام أبو زهرة معنى كلمة الكسب ثم ذكر مدلولها المعنوي واستعمالات القرآن لها بذكر الآيات الدالة على ذلك، ثم بين المعنى المقصود من الكسب في الآية بأنه فعل الإثم الذي يتكرر فيبعد الإنسان عن الله -عز وجل- ويعود عليه بالضرر أكثر من غيره.

(٤) بيان معنى الكلمة القرآنية لغويًا أحيانًا:

كان الإمام رحمه الله- في بعض الأحيان يكتفي بذكر المعنى اللغوي للكلمة واستقامتها فقط، بقدر ما يخدمه في التفسير لبيان المعنى، مثال ذلك:

(أ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦] "الصراط: الطريق"^(٤) المعبد المستقيم الذي يسير فيه السابلة، وينتقلون فيه من مكان إلى مكان أو قرية إلى قرية، أو مصر إلى مصر"^(٥) .

(١) تتدرن: تتلطح وتتوسخ. انظر: لسان العرب، مادة (درن)، (١٢٦٨/٢).

(٢) يربد: لون بين السواد والغبرة. انظر: لسان العرب، مادة (ربد)، (١٥٥٥/٢).

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٦، العدد ١٢، ص ٧٢٥.

(٤) معاني القرآن، لسزجاج، (٣٥٤/٢). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد

الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (١١٣٩/٣)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٣١، العدد ٣، ص ٤.

(ب) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] قال: "جنت من عنا يعنون إذا خضع وخشع وخنع، ومنه قولهم عن الأسير أنه العاني أي الخاضع وهذا الخنوع هو في الدنيا، أم اليوم الآخر؟ إنه بلا شك اليوم الآخر؛ لأن الله سبحانه هو مالك يوم الدين، وهو مالكة، ففيه لا يكون إلا الإادة الواحد القهار، وقيل إن هذا في الدنيا، كأن الله تعالى في قبضته السموات والأرض فكل الوجود خانع عان له سبحانه، وأرى أن ذلك في الدنيا والآخرة"^(١).

ينضح من المثالين السابقين اكتفاء الإمام أبي زهرة ببيان المعنى اللغوي للكلمات القرآنية أحياناً.

وبالجملة فقد حاول الإمام أبو زهرة دون توسع بيان الكلمات القرآنية وتتبع أصولها واستقامتها من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب الذي يخدم عرضه في تفسير الآيات القرآنية.

(١) زهرة التفاسير، [طه: ١١١]

المطلب الثاني موقفه من المسائل النحوية والصرفية

النحو والإعراب من الأساسيات التي يجب على المفسر لكتاب الله أن يتمكن منها قبل أن يبدأ بتفسير كتاب الله ﷻ، ويجب على المفسر ألا يفرط في استخدامها بل يستخدمها بالقدر المطلوب لتفسير الآية وهذه السمة توصف بها التفاسير المعاصرة والتي منها تفسير الإمام أبي زهرة وفيما يلي منهجه في النحو والإعراب:

(١) الاعتدال في عرض المسائل النحوية:

يمتاز تفسير الإمام أبي زهرة بالاعتدال في الحديث عن المباحث النحوية المتعلقة بالآيات القرآنية التي يفسرها فهو يكتفي بالقدر الذي يكون عوناً لايضاح مضمون آيات الله -ﷻ- ولأن الإطالة في الحديث عن النحو في التفسير يبعد التفسير عن جوهره، ويجعله إلى كتب اللغة أقرب منه إلى التفسير، مثال ذلك:

أ. عند بيانه قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] قال: "الفاء هنا للترتيب والتعقيب وهي مؤخرة عن تقديم؛ لأن الاستفهام له الصدارة دائماً؛ والمعنى أنه ترتب على كفرهم بمحمد أنه وجه إليهم ذلك الاستفهام الإنكاري توبيخاً لهم على ما فعلوا وما أنكروا وما ضلوا"^(١).

ب. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] قال: "القائل هو الله تعالى، ولم يصرح به بجوار الفعل، لأنه مذكور دائماً في الأفهام والقلوب عادة، فلا حاجة إلى ذكره، (ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ) (في) هنا قيل: إنها بمعنى مع، أي ادخلوا مع أمم قد خلت، أي مضت من قبلكم في النار، ونحن نرى أن (في) معناها الظرفية كأصل وصفها وإدخالها في هذه الأمم فيه إشارة إلى أنها منها وليست غيراً عنها، والمعية قد توهم المغايرة، ولا مغايرة، بل لهم أمم في ذواتهم، وهم أمة واحدة في كفرهم فإن فرقتهم الأجيال، فقد جمعهم الضلال وجمعهم العقاب، والتكذيب لآيات الله تعالى والمعاندة لأحكامه"^(٢).

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٨، ص ٤٦٦.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٩، لم يذكر العدد وعبر عنه عدد ممتاز، ص ٥.

يلحظ في المثالين السابقين أن الإمام أبا زهرة استعان بالإعراب لبيان معنى الآية، ففي المثال الأول بيّن أن الفاء جاءت للترتيب والتعقيب، والمعنى أنه ترتب على كفرهم بالرسول - ﷺ - أنه وجه إليهم الاستفهام الإنكاري توبيخاً لهم على ما فعلوه من ضلال وانكار.

وفي المثال الثاني ذكر القول بأن (في) بمعنى مع وهو مع ذلك لا يوافق هذا الرأي، ورده واعتبر أن (في) للظرفية للإشارة بأنها منها ولا تختلف عنها، وأنهم أمة واحدة في كفرهم وضلالهم وبذلك يكون المفسر استعان بالإعراب لبيان مراد الله ﷻ من الآية.

(٢) إعراب الآية والإتيان بنظيرها في الإعراب من القرآن والسنة:

تجد الباحثة أن الإمام أبا زهرة قد يتعرض أحياناً لإعراب الآية ثم يأتي بما يناظرها في الإعراب من الكتاب أو السنة، مثال ذلك:

قال رحمه الله: أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] "الأمر بالإحلال هنا ليس للطلب، فليس الصيد بمطلوب، ولكنه مباح، وقد جاءت صيغة الأمر بعد النهي، فكانت للإباحة، وهي كذلك في كل صيغة (افعل) بعد النهي غالباً مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وذلك بعد أن نهى عن البيع عند النداء للصلاة من يوم الجمعة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] وقد روى في ذلك قول النبي ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) (١) (٢).

وضح الإمام أبو زهرة في المثال السابق أن الإحلال مباح وليس الصيد بمطلوب وأن الأمر جاء بعد النهي ولذلك كان للإباحة ودل على ذلك بنظيرها من سورة الجمعة وبحديث رسول الله - ﷺ - بنفس موقعها من الإعراب.

(٣) نقله لأقوال العلماء واختلافاتهم في المسائل النحوية أحياناً:

كان الإمام أبو زهرة يذكر اختلاف العلماء والنحويين حول المسائل النحوية التي

(١) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب ما كان النهي من أكل لحوم الأضاحي، (٣/٣٥)، (ح ٣٩) (بنحوه) ذكر الشاهد فقط.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٢، ص ٨٠.

تحتاج إلى بيان ذاكرًا وجه الخلاف بينهم، مثال ذلك:

أ. عند بيانه لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾ [البقرة: ٢١٤] قال: "وأم في قوله تعالى (أم حسبتم) قد اختلف العلماء بشأنها من ناحية التخريج اللفظي بمقتضى الأحوال التي تستعمل فيها (أم) فقال بعضهم إنها للاستفهام المجرد، وهذا هو ما قاله الزجاج^(١)، وجوزه الزمخشري^(٢)؛ والمعنى على ذلك التخريج واضح، ويكون من قبل الاستفهام الإنكاري بمعنى إنكار النهي؛ أي لا تحسبوا أنكم تدخلون الجنة ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي لم تأتكم حال كحال الذين مضوا من قبلكم إذ مستهم أي أصابهم البأساء والضراء. والتعبير بمستهم للإشارة إلى أنها نالتهم بالأذى أحسوا به، واللآلام نالت حسهم، ولكن لم تنل قلوبهم.

وقال بعضهم: إن (أم) هي أم المتصلة، وكأن في الكلام محذوفًا دل عليه، لازم قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] وما قبلها؛ وكأن تقدير القول هكذا: أفرضيتم بالحق تتصرونه، وتدفعون بغي الباغين عليه متحملين الشدائد والمكاره، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾ وبهذا تكون (أم) متصلة دالة على المعادلة بين حالين، والموازنة بين أمرين، وقد قال سيبويه^(٣) في الكتاب: (إن أم المتصلة تكون دائمًا دالة على المعادلة والتسوية، وإن كان التعادل غير مذكور، كان مقدرًا في القول مطويًا في ثناياه)^(٤).

وقال بعضهم: إن (أم) هي أم المنقطعة الدالة على الإضراب، وقد قال البصريون: إن (أم) المنقطعة تدل على الإضراب والاستفهام معًا؛ وكأن تقدير القول لقد نزلت بكم الشدائد من أذى شديد في مكة وأنتم مستضعفون، ومن حرب وبلاء، وهزيمة أحيانًا وأنتم بالمدينة، ونزعت العرب كلها عن قوس واحدة في غزوة الأحزاب، لتقتل مدينة الله من أرضه فعليكم أن تصبروا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾...^(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه، (٢٨٥/١)، لم يصرح بذلك الزجاج بل قال فقط: معناه (بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة) وفهم الإمام ذلك من قوله.

(٢) انظر: الكشف، (٣٥٥/١).

(٣) انظر: ترجمته ص ٦٠ من البحث.

(٤) الكتاب، لسبويه، (١٧٢/٣) عند البحث عن قول سيبويه لم تجد الباحثة غير الكلام عن أم المنقطعة.

(٥) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٩، ص ٥٣٥.

وفي هذا المثال ذكر الإمام أبو زهرة استعمالات (أم) من خلال أقوال أهل النحو وذكر اختلافهم في التخريج اللفظي بحسب الأحوال التي تستخدم بها وذكر قول الزجاج والزمخشري وهو كثيرًا ما يذكر قول الزمخشري في النحو والإعراب ثم ذكر بعد ذلك رأي سيبويه وهو من علماء النحو وذكر قول البصريين ولكنه لم يعقب على ذلك وكأنه يراها جميعًا محتملة.

ب. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦] قال رحمه الله: "(هيهات) يقول النحويون: إنها اسم فعل ماضي بمعنى بعد، وقد أكدوا البعد بالتوكيد اللفظي بتكرار الكلمة، كما أكد الاستبعاد باللام في قوله تعالى: (لما توعدون) فكان مضمون الكلام البعد المؤكد لما توعدون، أي الذي توعدونه من بعث ونشور وعقاب وحساب كاللام في قوله تعالى: (هيت لك) أي النداء لك أو لإغرائك" (١).

يلحظ في المثال السابق ذكر الإمام أبي زهرة لقول علماء النحو في (هيهات) وفي (لما توعدون)، وأن المعنى فيه البعد المؤكد لما يوعدون من بعث وحساب ونشور.

(٤) تعرضه للمسائل الصرفية أحيانًا:

عرض الإمام أبو زهرة بعض المسائل الصرفية في تفسيره وكان ذلك في مواطن قليلة، مثال ذلك:

أ. قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١] "(المريد) على وزن فعيل من الفعل (مرد) وهذا الفعل يطلق بعدة إطلاقات منها أن (مرد) معناها قرن على الشر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] ومنها أنه من يخرج على الطاعة، ومن ذلك (مارد، ومتمرد) ويطلق على من ظهر شره، وتجرد من الخير، ومن هذا (شجرة مرداء) إذا تساقط ورقها وظهرت عيدانها وإن الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس ويدفعها إلى الشر فيه كل هذه الأوصاف... (٢).

(ب) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ

(١) زهرة التفاسير، [المؤمنون: ٣٦]

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٧، العدد ١، ص ٨٧.

يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ [آل عمران ٢٨] قال رحمه الله: " (تقاة) مصدر وقى على وزن فعلة، وأصله وقية، قلبت الواو تاء كما في تؤدة أصلها وأدة، وتهمة أصلها وهمة" (١)

وفي المثالين السابقين يلحظ أن الإمام أبا زهرة بدأ استخدامه لعلم الصرف هذا إلى جانب علم النحو ففي المثال الأول: ذكر أن المرید على وزن فعيل من الفعل مرد وفي المثال الثاني ذكر أن (وقى) على وزن فعلة من وقية.

وجملة القول فيما سبق أن الإمام أبا زهرة كان معتدلاً في تناوله للمسائل الإعرابية والنحوية والصرفية بالقدر الذي يكفي لبيان تفسير آيات الله -عز وجل-، وهو بذلك يدل على رسوخ قدمه في هذا العلم.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٥، ص ٢٨٠.

المطلب الثالث استشهاده بالشعر

إن لاستخدام الشعر العربي في التفسير فائدة في بيان غريب ألفاظ القرآن الكريم وقد كان مفسرو الصحابة - رضي الله عنهم - يستشهدون بالشعر وقد برع من بينهم عبد الله بن عباس فقد كان عارفاً بلغة العرب، وملماً بغريبها وأشعارها إلى حد لم يصل إليه أحد ثم تابعه على هذه الطريق التابعون ثم المفسرون إلى يومنا هذا؛ وللشعر فائدة في بيان المراد من كلام الله وَعَلَىٰ (١).

وتلاحظ الباحثة في تفسير الإمام أبي زهرة أنه استعان بالشعر في تفسير الآيات، ولكنه لم يكن مكثرًا في ذلك، وكان استخدامه للشعر في التفسير قليلاً، وكان ينسب الشعر لقائله أحياناً، ومنهجه في ذلك يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

(١) الاستشهاد بالشعر لبيان معنى الكلمات القرآنية:

يستشهد الإمام أبو زهرة بالشعر أحياناً لبيان معاني الألفاظ القرآنية ومثال ذلك:

أ. ما ذكره عند بيانه لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: السنّة أصلها وسنّة، حذف الواو ثم كسرت السين ليتمكن الابتداء بها، ففعلها وسن، وقد قال عدي بن الرقاع (٢):

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنْقَتْ
فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٌ (٣) (٤).

ب. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] قال رحمه الله: "وكلمة سواء تطلق بمعنى العدل والنصفة، وقد قال زهير بن أبي سلمى (٥):

(١) انظر: التفسير والمفسرون، (١/٨١، ٨٢).

(٢) عدي بن الرقاع بن يزيد بن مالك، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، وهو من الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، (٩/٣٠٠)، دار الثقافة بيروت، وانظر: معجم المؤلفين (٣/٢٧٤).

(٣) الأغاني، (٩/٣٠٥).

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٦، ص ٣٢٩.

(٥) زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وأهدر دمه رسول الله بسبب هجائه =

أرُونَا سُنَّةَ لَا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ (١) (٢) .

وفي المثالين السابقين يلاحظ أن الإمام أبا زهرة - رحمه الله - استعان بالشعر العربي لبيان معنى غريب الكلمات القرآنية كما أنه نسب أبيات الشعر إلى قائلها.

(٢) الاستدلال بالشعر لتفسير الآية:

كان من منهج الإمام أبي زهرة في اللغة استشهاده بالشعر الذي يعينه على تفسير الآية القرآنية، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقْ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] قال رحمه الله: "الله سبحانه وهو الرزاق ذو القوة المتين، قد وزع رزقه بين عباده بالقسطاس (٣) المستقيم؛ فمنهم من أعطاه صحة وعافية، ومنهم من أعطاه مالا وحرمة من نعمة العلم، ومنهم من أعطاه جاهًا وسلطانًا، ومنهم من أعطاه أولادًا تقرُّ بهم عينه، ومنهم من وهب له ذكرًا حسنًا بين الناس، ومن قصر الرزق على المال فقد ضل ضلالاً بعيداً، كذلك المعترض الذي يقول:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ
وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً
وَصَيَّرَ الْعَالَمَ النَّحْرِيرَ (٤) زَنْدِيقًا (٥)

فما ذلك حيرة إلا في رأس القائل، فتلك هي القسمة العادلة... (٦)

=رسول الله قومه ثم عفا عنه رسول الله ﷺ - وكان جيد الشعر، كان أحد الثلاثة المقدمين على الشعراء. انظر: طبقات الشعراء، لأبي محمد عبد الله بن قنية الدينوريز، تحقيق د. مفيد قميحة، ص ٦٩، دار الكتب العلمية، طبعة ثانية ١٩٨٥م.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١٥، دار صادر. عند تتبع بيت الشعر وجدت الباحثة أن الشطر الأول يختلف عما ذكره الإمام أبو زهرة حيث قال (أروني خطه لا ضيم فيها) والصحيح ما أثبت.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٣، ص ١٤٢.

(٣) القسطاس: هو ميزان العدل، انظر: لسان العرب، (٤/٣٢٢٦).

(٤) النحرير: الحاذق، الماهر العاقل المجرب. انظر: لسان العرب، مادة نحر. (٥/٤٣٦٥).

(٥) لم تعثر الباحثة على مصدر لأبيات الشعر هذه ولكنها وجدت ماثبة باسم الشاعر في فيض التقدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، (٤/٥٤٢)، دار الحديث. وصاحب هذه الأبيات هو ابن الروندي اسمه أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الرواندي زنديق شهير، كان يلزم الرافضة والملاحدة، واشتهر بالإلحاد ألف كتباً كثيرة طعن فيها على الإسلام توفي ٢٩٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/٥٩). وانظر: لسان الميزان (١/٣٥٦).

(٦) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٤، ص ٢١٩.

ويتضح من المثال السابق أن الإمام أبا زهرة استدلل بالشعر العربي لتفسير الآية وبيّن أن الرزق قد وزعه الله بين عباده بالميزان فمنهم من أعطاه الصحة والعافية، ومنهم من أعطاه العلم، ولا يكون الرزق في المال فقط بل الرزق في كل شيء، ثم استشهد بالشعر ليعبر به عن رأي المعترضين على ذلك ثم بين أنها قسمة عادلة من رب العالمين، وكما هو ملاحظ فإن الإمام لم ينسب أبيات الشعر إلى قائلها.

(٣) استدلاله بالشعر على توجيه رأي في الإعراب:

استدل الإمام أبو زهرة بالشعر على توجيه رأي إعرابي ليدلل على صحة ما ذهب إليه وأنه موجود في لغة العرب، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالتَّصَارِيُّ﴾

[المائدة: ٦٩] قال رحمه الله: "ترى أن (الصابئون) مرفوعة وظاهر السياق أن تكون بالنصب... وقد دل القرآن على أن العطف على اسم إن بالرفع جائز، ولو كان الخبر متأخراً، ولا يحتاج إلى شاهد سواه، إنه هو الشاهد الأول على سلامة التعبير من الوجهة العربية، ومع ذلك قد جاءت شواهد من كلام العرب بوجود رفع المعطوف على اسم ان قبل وجود الخبر فقد قال ضابئ بن الحارث^(١):

وَمَنْ^(٢) يَكُ أَمْسَ بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ^(٣)

وترى أن العطف بالرفع على اسم إن جاء قبل الخبر وهو مذهب بعض النحويين ويرجح القرآن الكريم إذ جاء فيه ذلك وهو خير شاهد^(٤).

وهذا المثال ذكره الإمام أبو زهرة استشهد بالشعر لبيان أن رفع المعطوف على اسم إن قبل وجود الخبر جائز وذكر ذلك من خلال كلمة (الصابئون) ثم ذكر الشعر ليدلل على أن هذا جائز وقد ورد بلغة العرب ويرجح الإمام أبو زهرة ذلك ما دام ذلك ورد في القرآن الكريم لأنه يعتبر الأساس الذي يبنى عليه قواعد النحاة.

(١) ضابئ بن الحارث بن أرطاة من بني غالب من البراجم كان في زمن خلافة عثمان بن عفان وسبب قوسله لهذه الأبيات أنه استعار كلباً فطال عنده ثم طلبوه فامتنع فحبسه عثمان بن عفان ولم يزل في حبس عثمان إلى أن مات ومن شعره في الحبس ما ذكره . انظر: طبقات الشعراء، ص ٢١٨.

(٢) (ومن) كان الثابت في تفسير الإمام (فمن) والصحيح ما أثبت.

(٣) طبقات الشعراء، ص ٢١٩.

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ١٢، ص ٧٠١.

وجملة القول فإن الإمام أبا زهرة لم يكثر من الاستشهاد بالشعر، فلم يستشهد به إلا في المواضع التي تخدم غرضه في التفسير، وقد ينسب الشواهد الشعرية إلى قائلها، وقد لا ينسب.

ويتضح من خلال عرض مبحث القضايا اللغوية عند الإمام أبي زهرة، أنه لم يدخر جهداً في بيان غريب القرآن إيماناً منه بأن معرفة غريب القرآن يعين على فهم مراد الله ﷻ، كما أنه كان معتدلاً في عرضه للمسائل النحوية والإعرابية فلم يفعل كغيره من المفسرين الذين استطردوا في عرض مسائل النحو التي تبعد التفسير عن جوهره، فقد عرضها حسب ما يخدم غرضه في التفسير.

هذا إلى جانب استشاده بالشعر خلال تفسيره، إلا أنه كان مقلداً في استشاده بالشعر .

وبهذا المبحث يتبين تمكن هذا المفسر من علم اللغة التي تعد من الأمور الهامة التي يجب على كل مفسر معرفتها.

المبحث الثاني وجوه الإعجاز عند الإمام أبي زهرة

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تحدى بها الله -عز وجل- العرب على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، ثم أرخى لهم العنان إلى سورة من مثله، ويظهر هذا التحدي في قوله عز وجل: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤] وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٤، ١٣] وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وقد خسروا هذا التحدي وعجزوا عن الإتيان بمثله.

وعلى ذلك فإن وجوه الإعجاز هي الأمور التي اشتمل عليها القرآن وهي تدل على أنه من عند الله.

وقد اختلف العلماء في وجوه الإعجاز فرأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب آخرون أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فمنها الإعجاز البياني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي^(١).

والرأي الذي أخلص إليه هو أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم متعددة وكثيرة فمنها الإعجاز البياني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز النفسي، والإعجاز العددي، والإعجاز التاريخي..... الخ.

والإمام أبو زهرة تحدث عن بعض هذه الوجوه في تفسيره مثل: الإعجاز البياني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التاريخي، والإعجاز النفسي، ولا بد من تحديد أوجه معينة للإعجاز في تفسير الإمام أبي زهرة للحديث عنها، وسوف تذكر الباحثة أكثر وجوه الإعجاز التي تحدثت عنها.

(١) انظر: إعجاز القرآن، د. فضل عباس، ص ٢٩، فهرس المكتبة الوطنية. وانظر: المعجزة الكبرى

المطلب الأول الإعجاز البياني

يعد الإعجاز البياني في مقدمة وجوه الإعجاز، لأنه يشمل القرآن الكريم في كل سورة على طولها وقصرها والوجوه الأخرى مثل الإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي فليس الأمر فيها كذلك؛ ومن هنا كان الإعجاز البياني من أهم هذه الوجوه وأعمها^(١).

تعريف الإعجاز البياني:

هو الإعجاز الذي يقوم على النظم، وهو ذلك الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة^(٢).

منهجه في بيان الإعجاز البياني:

والإمام أبو زهرة -رحمه الله- اهتم بالإعجاز البياني في تفسيره اهتماماً واضحاً، حيث فسر الآيات بما فيها من بلاغة وأساليب بيانية تظهر الإعجاز فيها بأسلوب رائع فلم يدخر جهداً في بيان هذه البلاغة في تفسير الآيات القرآنية حيث تناول الحديث عن التشبيه، والكناية، والمجاز، والاستعارة، والتقديم والتأخير، هذا إلى جانب الأساليب البيانية التي وضح من خلالها مقصود القرآن، في استخدام كلمة معينة دون غيرها، وفي استخدام حرف دون غيره.

وقد استخدم الإمام أبو زهرة البلاغة والأساليب البيانية بشكل واضح في تفسير آيات الله -عز وجل- على وجه يبين من خلالها الإعجاز البياني في آيات الله، وبأسلوب قريب من الأفهام، وهذا مما لا شك فيه أثرى تفسيره وأضاف إليه ميزة جديدة إلى جانب ميزاته الأخرى.

يقول الإمام أبو زهرة: " لا بد في فهم القرآن من معرفة أسرار البلاغة فيه؛ لأنه أعجز الناس بألفاظه وأسلوبه، ودراسة أسباب بلاغته دراسة لسبب من أسباب الإعجاز"^(٣).

(١) انظر: إعجاز القرآن، د. فضل عباس، ١٦٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٣) مجلة لواء الإسلام، مقالة للإمام أبي زهرة بعنوان (المنهاج المستقيم)، السنة ١٨، العدد ٨، ص ٤٦٧.

أولاً: وجوه البلاغة:

(١) التشبيه:

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمرٍ في معنى بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو المقننة. والتشبيه ينقسم إلى مشبه، ومشبه به، وأداة، ووجه الشبه^(١)، وفي المثال التالي سوف يتضح معنى هذا التعريف بشكل أوضح، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] قال: "...والشجرة هي المشبه به، وقد وصفها سبحانه بأنها طيبة، وطيبها في أنها ثابتة الأصل، وبأنها مرتفعة، وبأنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

هذا هو المشبه به، فأما المشبه: هي الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة فيها عناصر الطيبة التي ذكرت في الشجرة، فهي كلمة النفس والقلب والعقل، تتبع من القلب والعقل وتقال بإخلاص لله تعالى، وهو الحق، وأنها إذ تقال تعلو بصاحبها عن سفايف الأمور، وتنتج إلى معاليها، فهي ترفع صاحبها ولا تهوي، وهي هادية مرشدة ممتدة النفع تؤتي ثمراتها لكل حين، والكلمة الطيبة تبقى ببقاء الأنفس المتبصرة المدركة، فالكلمة كالحى تحيي النفوس والأفئدة"^(٢).

يتضح من المثال معنى التشبيه وهو مشاركة الكلمة الطيبة في معناها بالشجرة الطيبة فالمشبه به هو الشجرة، والمشبه الكلمة الطيبة، فالأداة الكاف في (كشجرة)، ووجه الشبه أن الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، فيهما عناصر الطيبة فالشجرة التي تخرج الثمار في كل وقت وهو ثمار جيد هي كثيرة النفع، والكلمة الطيبة كل كلمة فيها خير فإنها تعلو بصاحبها وتتفع غيره وتبقى النفس مبصرة تحيي النفوس الأخرى.

(٢) الإستعارة:

الاستعارة أن يطلق لفظ المشبه به على المشبه، ويراد أنه هو هو في أخص صفاته، وشرطها أن لا يذكر المشبه ولا يقدر^(٣).

(١) التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه الأستاذ عبد الرحمن البرقوني، ص ٢٣٨، (بتصرف)، دار الفكر العربي.

(٢) زهرة التفاسير، [إبراهيم: ٢٤]

(٣) الإشارات والتشبيهات في علوم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، =

واهتم الإمام أبو زهرة ببيان الاستعارة في الآيات القرآنية إلا أنه لم يتعرض لذكر نوعها، بل كان يذكرها على عمومها، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] قال: "الاشتعال الانتشار، وشيبيًا تمييز محول عن الفاعل، والمعنى اشتعل شيب الرأس، أي انتشر الشيب فيه، والاشتعال مع أنه بمعنى الانتشار إلا أنه غلب على انتشار النار.

وهنا نجد ثمة استعارة، فقد شبه انتشار بياض الشيب باشتعال النار، إذ يكون الشيب عند انتشاره لامعًا كوهج النار، ولأن فيه إفناء الشعر الأسود، كما تحرق النار ما يكون حطبها؛ ولأنه إثارة الفناء للعمر كما تقنى النار ما تحرقه، وأسند الشيب إلى الرأس مع أنه يكون في الشعر من قبيل إطلاق اسم المحل وإرادة الحال، إذ جلد الرأس هو منبت الشعر ويكون فيه، وإن في هذا النص من البلاغ ما يليق بالقرآن الكريم أبلغ القول في الإنسانية كلها، إذ هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإن نسبة الاشتعال إلى الرأس ما يثير الاهتمام فيحاول العقل تعرف اشتعال الرأس فيجيب التمييز (شيبيًا) بما يفيد اشتعال الشعر، ولم يذكر الشعر بل اكتفى بذكر محله^(١).

يمكن القول أن المثال السابق وضح فيه معنى الاستعارة حيث إن الاشتعال يعرف بأنه للنار، شبه الشيب بالنار؛ لأن النار عندما تشتعل تأكل كل ما حولها وقوله تعالى: ﴿فَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي لم يبق سواد من الشعر. ومن هنا اتضح هذا الإعجاز البلاغي، واتضح وجه الشبه فيه.

(٣) الكناية:

الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه^(٢). والكناية خلاف المجاز، فالمجاز لا يمكن أن يراد به المعنى الأصلي ولكن الكناية لا مانع من إرادة المعنى الأصلي ومثال الكناية:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فُتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

=ص ٢٠٧، دار نهضة مصر-القاهرة.

(١) زهرة التفاسير، [مريم: ٤]

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٣٧.

[النساء: ١٤١] قال رحمه الله: " إن كلمة نستحوذ معناها أخطنا بحاذيكم أي جانبكم وهذا كناية عن الإحاطة بهم للحماية والمنع" (١) .

يتضح من المثال السابق أن الكناية في كلمة (نستحوذ) هي كناية عن الحماية والإحاطة بهم ومنعهم من المؤمنين، والمعنى في (نستحوذ) نسيطر عليكم وهو معنى أصلي ويجوز إرادة المعنى الأصلي بناءً على تعريف الكناية.

(٤) المجاز:

المجاز الذي يقابل الحقيقة أن تكون الكلمة دالة على غير ما وضعت له، لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي استعملت فيه مع قرينة دالة على هذا وعدم إرادة المعنى الأصلي (٢) .

وقال الإمام أبو زهرة: "وكم للقرآن الكريم من كنايات ومجازات تعلق بمستوى القارئ ولها وضوح وقصد إلى المعاني من غير خطأ في الفهم ولا غموض في الموضوع" (٣)

ويتضح من التعريف ومن قول الإمام أبي زهرة أن الكلمة ليست على حقيقتها لكن لها علاقة بالمعنى الأصلي بوجود قرينة دلت عليه وإن استخدام الكنايات والمجازات يعلو على المستوى الرفيع دون غموض وسوف يتضح هذا التعريف من خلال المثال التالي:
عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥] قال:
"التعبير (بذوقوا العذاب) فإنه مجاز عن نزوله بهم بحيث يمس إحساسهم وكأنه يذاق مذاقاً مؤلماً ولا يخلو ذلك من تهكم بهم كما يقول الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] (٤) .

يتضح من المثال السابق أن المجاز في قوله (فذوقوا العذاب) وكأن العذاب يذاق ، فالذوق مجاز عن نزوله بهم وشدة إحساسهم به، وهذا تهكم بهم مثل قوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) والبشارة تكون غالباً في الخبر السار، فبشرهم بالعذاب استهزاء وتهكماً بهم.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٧، العدد ١٠، ص ٦١٦

(٢) علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص ٢٢٩، (بتصرف)، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

(٣) مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١، ص ٨.

(٤) زهرة التفاسير، [الأنفال: ٣٥]

(٥) التقديم والتأخير:

التقديم تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي، والتقديم يستلزم تأخيرًا، فكل تقديم يلزمه تأخير بالضرورة (١).

وقد اهتم الإمام أبو زهرة ببيان الإعجاز البياني في تقديم بعض الألفاظ على غيرها، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] قال رحمه الله في سبب تقديم الزانية على الزاني: "قالوا: لأن قوة الشهوة الدافعة إلى الزنى عند المرأة أقوى، وربما لا نوافق على ذلك كثيرًا؛ لأن الرجل يطلب أكثر الأحيان، والمرأة لا تطلب الرجل إلا قليلاً، وإن حدثتها نفسها فإن الحياء يكفها إلا إذا خلعتة.

وقد نقول: إنها إن طلبها الرجل ولم تكن مؤمنة سارعت إليه، ونقول في تعليل ذلك إن العقوبة قاسية، وقد قدمت المرأة لكيلا يمتنع أحد عن إقامة الحد بدعوى ضعفها، والشفقة عليها والرفق بها؛ لأنها من القوارير (٢) (٣).

يتضح من المثال السابق أن التقديم والتأخير في القرآن له إعجاز بلاغي وقد اتضح ذلك من خلال تقديم الزانية على الزاني بأن السبب في تقديم الزانية فيه دعوى إلى تطبيق الحد على المرأة ولا يمتنع عن إقامته أحد بدعوى أنها ضعيفة فالحد يجب أن يقام على الرجل والمرأة.

ثانياً: الأساليب البيانية:

تعددت مجالات الإعجاز البياني بما فيه من كنايات واستعارات، ومجازات وتشبيهات بلاغية كذلك هناك أساليب بيانية أخرى استخدمها الإمام رحمه الله - أثناء تفسيره وأظهر من خلالها الإعجاز البياني في آيات الله التي أبهرت البشر وذلك من خلال

(١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان، ص ١٠٨، دار المعارف - الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(٢) القوارير: أراد النساء شبهن بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، (٤/٣٩)، (بتصرف)، دار إحياء الكتب العربية - بيروت.

(٣) زهرة التفاسير، [النور: ٢]

الحرف القرآني، والكلمة القرآنية، والجملـة القرآنية، والفاصلة القرآنية. ويعتبر الإمام أبو زهرة أن ألفاظ القرآن من ضمن الأسلوب البياني الرائع وأن كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته، وفيه اشعاع نوراني يتضافر مع جملة، ويساعد بعضه بعضاً في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، وأن العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضاً^(١)، ومن هذه الأساليب:

(١) الحرف القرآني:

الحرف القرآني من حروف المعاني، وقد يراد بهذا الحرف هدف معين لا يسد مسده آخر وهذا الحرف يستخدم كأسلوب بياني، ومثال ذلك من تفسير الإمام أبي زهرة: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨] قال رحمه الله: "... (فمن) هنا بيانية وهي بيان لنوع السوء بأنه من القول، وذلك يشمل كل إعلان للأعمال القبيحة، والترامي بها، فيشمل القذف والسباب، وإعلان المعاصي والجرائم، وتفصيل القول فيها من غير حاجة إلى بيانها، ولا إقامة حق في إعلانها، فإن ذلك كله من سوء القول وفاحشه"^(٢).

ويمكن القول أن (من) بيانية بينت نوع السوء بأنه من القول وهو كل قول يشمل السوء سواء كان سباب أو شتيمة، أو ظن السوء بالناس أو غير ذلك، وعلى ذلك فلا يمكن استخدام حرف آخر أو كلمة أخرى بدل (من).

(٢) الكلمة القرآنية:

الكلمة هي مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز للأشياء الحسية والأفكار المجردة^(٣).

قال الجرجاني: "كل كلمة تقف مع أختها، ولو حاولت أن تنزع كلمة لتضع مكانها في معناها ما ائتلف السياق ولا انسجم الأسلوب"^(٤).

والكلمة القرآنية كما قال الإمام أبو زهرة إن كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته ويتناسب مع بعضه، وإن هذه الألفاظ لها من الجمال والإحكام حيث يشكل صورة بيانية

(١) المعجزة الكبرى، ص ٧٨، (بتصرف).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ١، ص ٧

(٣) بلاغة الكلمة والجملـة والجمل، ص ١٥.

(٤) دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٠، دار المعرفة بيروت، طبعة ١٩٧٨م.

رائعة، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣] قال رحمه الله: "وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ناحية بيانية رائعة ذلك أنه عبر بـ (زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، ولم يقل (حسن لهم الشيطان)، كما يجري على الألسنة، فلان يحسن القبيح لأن القبيح لا ينقلب حسناً، والسيء لا ينقلب، ولكن السيء أو القبيح بتمويهات وتزيينات يظن معها أنه حسن، وما هو إلا تمويه باطل، وإنهم إن لم يهذبوا بالشدائد اختبروا بالنعم" (١).

يتضح من المثال سر الإعجاز البياني في قوله تعالى: (زين) ولم يقل (حسن)؛ وذلك لأن كل كلمة لها معنى يؤدي الغرض التي وضعت من أجله في الآية وكلمة (زين) تعني عمل قبيح زينه وأوهموا أنفسهم وأوهمهم الشيطان بأنه حسن، ولذلك لو كانت كلمة (حسن) فلن تؤدي الغرض الذي أدته كلمة (زين).

(٣) الجملة القرآنية:

يعد الإمام رحمه الله - الألفاظ القرآنية بأنها تساعد بعضها بعضاً في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] قال: "ذكر سبحانه أن موضع الإنفاق هم الوالدان، والأقربون، واليتامى والمساكين، وأبناء السبيل، ذكر هؤلاء بذلك الترتيب؟ وإذا كان العطف بالواو لا يفيد ترتيباً من الناحية النحوية فهذا يؤكد أن الترتيب في الذكر يفيد معنى الأولوية من الناحية البلاغية، فالترتيب في الذكر إذن يشير بلا شك بأولوية البعض على البعض، فيسد حاجة الأبوين، ثم يسد حاجة الأقربين، ثم يسد حاجة المحتاجين من غير أسرته" (٢).

وفي هذا المثال بين الإمام أبو زهرة وجه البلاغة في هذا الترتيب المعجز، الذي يدل على أن هذا القرآن تنزيل من رب العالمين فقد رتب من يستحق النفقة حسب الأولوية فأسولى الناس بالإنفاق عليهم الوالدان، ثم الأقارب، ثم اليتامى... وهكذا كل حسب احتياجه وهذا مما لا شك فيه يدل على إعجاز القرآن الكريم.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٤، العدد ٢، ص ٦.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٩، ص ٥٣٨.

(٤) الفاصلة القرآنية:

الفاصلة القرآنية هي ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، وإن لاختيار الفاصلة القرآنية إعجاز، فهي لم تأت لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الأبي بعضها مع بعض، وهو ما يسمى مراعاة الفواصل؛ إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع^(١).

والإمام أبو زهرة - رحمه الله - اعتنى بالفواصل القرآنية عناية بالغة، فكان كثيرًا ما يتعرض لها ويذكر السبب في اختيار هذه الفاصلة دون غيرها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩] قال رحمه الله: "ذيل الله سبحانه وتعالى الآيات بهذا ليبين لهم أن الله تعالى غالب على كل شيء، عذابهم أمر يسير عليه، لإبطال زعمهم، في أنهم لا يقدر عليهم أحد، ذلك أن كل طاعة من طاعة الدنيا سبب طغيانه واسترساله في شره ظنه أن لن يقدر عليه أحد، مع أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده"^(٢).

٢. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] قال رحمه الله: "وختمت الآية بهذا التذييل الكريم، لإثبات أن عقاب المسيء وثواب المحسن من الرحمة، فليس من الرحمة في شيء أن يتساوى المحسن والمسيء، وإثبات أن ولاء المؤمنين ومعاداة الكافرين من الرحمة بالعباد، حتى لا يعم الظلم وينتشر الفساد"^(٣).

يتضح من المثالين السابقين الإعجاز البياني في اختيار الفاصلة القرآنية، وبيان العلاقة الوثيقة بين الفاصلة والآيات والتي لا يمكن أن تحل مكانها فاصلة أخرى لأن ذلك إعجاز من رب العباد فقد وضع كل كلمة في القرآن في مكانها المناسب.

(١) إعجاز القرآن، د. فضل عباس، ص ٢٢٥، ٢٢٦ (بتصرف).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٨، ص ٤٥٤.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٥، ص ٢٨٤.

خلاصة القول: يتضح من خلال عرض هذا المطلب مدى اعتناء الإمام أبي زهرة في بيان الإعجاز البلاغي البياني من خلال آيات الله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وقد استخدم أسلوباً واضحاً غير معقد في بيان هذا الإعجاز بأشكاله المتعددة التي تكشف عن أهمية الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

المطلب الثاني الإعجاز التشريعي

تعريف الإعجاز التشريعي:

هو الإعجاز الذي يتحدى أهل التشريع من الفقهاء في جميع ما ورد من جرائم الحدود وعقوباتها وشئون الأسرة وتنظيمها والمواريث وأنصبتها ومعاملة النساء واليتامى والجيران وغير ذلك مما لم يرد له مثيل في الشرائع السماوية السابقة؛ وذلك لأن التشريع فيها قائم على مزيج من العدل والرحمة والشدة والرأفة بما فيه الكفاية لردع الجرائم وإصلاح أحوال المجتمع وحمايته من عبث العابثين وفساد المفسدين^(١).

اعتبر الإمام أبو زهرة طيب الله ثراه - الإعجاز التشريعي من أقوى وجوه الإعجاز حيث يقول: "نحن نرى أن كل ما ذكره العلماء سبباً لإعجاز القرآن بلا ريب من أسبابه، غير أن سبباً واحداً لم نرى العلماء قد ذكروه، ونراه من أقوى الأسباب أو هو يعدل أقواها، إن لم يكن أقواها جميعاً، وبه القرآن يكون معجزاً لكل الناس لا للعرب وحدهم، ولا لجيل من الأجيال، بل يكون معجزاً للأجيال كلها، ألا وهو شريعة القرآن، فما اشتمل عليه القرآن من أحكام، سواء ما كان منها يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع، وما يتعلق بالعلاقة الدولية فريد في بابه لم يسبقه شرع سابق ولم يلحق بما وصل إليه شرع لاحق، وإذا كان ذلك كله قد جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، لم يتعلم قط لا بالقلم والقرطاس؛ ولا بالتلقين والتوقيف، ولا بالتجربة والأسفار، إن ذلك هو الإعجاز الذي نتتبه العقول في تعرف سببه إلا أن يكون ذلك من عند الله العلي الحكيم"^(٢).

وكما هو ملاحظ فإن الإمام أبا زهرة اعتبر الإعجاز التشريعي في مقدمة وجوه الإعجاز ومن أقواها فلذلك اهتم به من خلال تفسيره ومن خلال مؤلفاته، ومن الأمثلة على هذا الإعجاز من تفسيره ما يلي:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥] قال: "تأداهم - الكيل - نداء المودة والرغبة في نفعهم فقال: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أي أعطوهما لأصحابهما

(١) القرآن وإعجازه التشريعي، محمد إسماعيل إبراهيم، ص ١٠٢، (بتصرف)، دار الفكر العربي.

(٢) مجلة المسلمون، مقالة بعنوان (شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله) للإمام أبي زهرة، السنة ١،

واقعيين غير منقوصين، (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) أي لا تتقصوهم حقوقهم فإن نقص الحقوق ظلم في ذاته، وهنا انتقال من الخاص إلى العام فالنهي عن نقص المكيال والميزان نهى عن نقص في الكيل والوزن، أما النهي عن بخص الناس أشياءهم نهى عن كل معاملة فيها أكل مال الغير بالباطل كالربا، والغش، والتدليس، والخيانة، والرشوة والسرقعة، والاختصاب، وغير ذلك من نقص لأموال الناس، وأكل لها بالباطل.

وإن التعامل الآثم واستحلال أخذ الأموال بالباطل، وسيادة الفسوق في المعاملات يؤدي إلى التناحر وتقطيع أوامر المجتمع، ولذا قال معقبا (وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ). والعثو تنقيص الحقوق واغتصابها، وكل معاملة فاسدة، وقوله تعالى: (مفسدين) حال من الواو، والمعنى أنكم في حال هذه المعاملات الفاسقة تكونون قد تلبس بكم الإفساد؛ لأنه مترتب عليها لا محالة، ثم يقول لهم إن الكسب الحلال الذي يعود لكم من التجارة الرابحة هو أئمن وأبقى فيقول: ﴿بَقِيَّتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]... (١).

يتضح مما سبق حكمة التشريع الإسلامي وعدالته في بيان أهمية إيفاء الكيل والميزان، وعدم الانقاص من أموال الناس وأكلها بالباطل، وعدم الإفساد في الأرض بعد إصلاحها؛ لأن في التشريع صلاح للأمة وقوة وإن هذا التشريع تشريع إلهي فيه عدل ورحمة وتسامح وفيه خير للفرد والمجتمع بأكمله.

(٢) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤] قال: "هذه جريمة القذف، وهو في الشريعة رمي المحصن بالزنى والمذكور في الآية رمي المحصنات، وقد ثبت بقانون المساواة أن هذا حكم رامي الرجال، ذلك لأن قانون المساواة الشرعية يجعل حكم الرجل كحكم المرأة فإننا نرى التكليف كان في أكثر الأحوال تجيء بمخاطبة الرجال، ثم يدخل النساء بحكم قانون المساواة في التكليف.

وذكر النساء وحدهن، وإن دخل الرجال بحكم قانون المساواة؛ لأن زنى المحصنات يصيبهم ضرر الرمي بالزنا أكثر من الرجل بحكم العرف في الدنيا؛ ولأنها موضع الأمانة الربانية، فصيانتها أوجب، ورميها يكون أشد؛ ولأن أول رمي كان لأطهر نساء قريش بعد فاطمة، زوج محمد رسول الله ﷺ - وبنت أبي بكر الصديق، فكان ذكر النساء أولاً" (٢).

(١) زهرة التفسير، [هود: ٨٥]

(٢) زهرة التفسير، [النور: ٤]

يتضح من المثال السابق أن قانون المساواة هو قانون تشريعي إلهي يساوي بين الرجل والمرأة في التكليف وإن كان الخطاب للرجل فإنه يتضمن المرأة أيضًا، وكان الإعجاز التشريعي في حد القذف للمحصنات العفيفات الطاهرات؛ لما يترتب من ضرر على المرأة من هذه الجريمة الشنيعة أكثر منها للرجل بحكم العرف؛ ولأن الشرع حفظ كرامة المرأة وسانها من الرذائل، وهذه صورة من صور حفظ الشرع للمرأة وشرفها.

(٣) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١] قال -رحمه الله- في خطر زواج المسلم من غير المسلمة: ".نرى كثيرًا منه يقع فيمن يتزوج من غير دينه، إذ لا يجد إلا المنحرفة في نفسها وخلقها وعقلها ترضى أن تخرج على أهلها وذويها، وأهل دينها لتتبع مسلمًا لِمَالِهِ، أو لجمالِهِ، أو لجاهِهِ، لا لدينِهِ أو خلقِهِ؛ لأنها لو كانت كذلك لارتضت الإسلام دينًا.

وإن المسلمين قد أجمعوا على كراهة تزوج المسلم غير المسلمة، وإن كان جمهورهم على حل الكتابية اتباعًا للنص القرآني الكريم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وكانت الكراهة لما سبق من أنه في الغالب لا يرضى بالمسلم منهن إلا المنحرفات؛ ولأن المودة التي تكون بين الزوجين قد تؤثر في دينه فينزع من أوامره، وإن لم ينزع من عقيدته، وتؤثر قطعًا في دين الأطفال، فيخرجون إلى الحياة وقد رضعوا الميل إلى دين أمهم، فغذتهم به كما غذتهم بلبانها؛ وقد رأينا رجالاً متعلمين يعدون في عداد المسلمين في الإحصاء، ويدخلون الكنيسة؛ لأن أمهاتهم عودتهم ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولولا النص القرآني لقلنا إن حالنا وانحلال الدين في نفوس الذين يقومون على ذلك توجب التحريم سداً للذريعة، ومنعاً للفساد؛ وإن السلف الصالح كان لهم في قوة الدين، والحرص على مصلحة أولادهم وتنشئتهم على الإسلام، وما يحصنهم وأولادهم، وما يجعلهم يجذبون أزواجهم إلى دينهم من غير أن يخلعوا هم الريقة (١)» (٢).

التشريع الإسلامي فيه صلاح الإنسان والمجتمع، وفيه من الأوامر والنواهي ما يضمن للإنسان حياة كريمة بعيدة عن المعاصي، ففي المثال السابق ظهر حكمة

(١) الرَيْقَةُ: مفرد رَيْقٍ وأرْبَاقٍ، وهو جبلٌ فيه عدة عرى، ويقال حل رَيْقته: فرج كربتته، ويقال: لا يرضى الحر في رَيْقَة الذل. انظر: المعجم الوسيط، ص ٣٣٧. وانظر: مختار الصحاح، ص ٢٣١.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١٢، ص ٧٢٩.

التشريع في عدم زواج المسلم من غير المسلمة، وبيّن الإمام خطر هذه المرأة على الرجل وأبناءه، فهي لم توافق على زواجه من أجل دينه لأنها لو رضيت بدينه لاعتنقته دون الزواج منه، فهي قد تؤثر عليه تأثيراً كبيراً بحيث يترك أمور دينه ويستسهل ذلك بل وتربى أبنائها على دينها ومن هنا يأتي الخطر على الإسلام.

والإمام -رحمه الله- قال بإجماع المسلمين على كراهة تزويج المسلم من غير المسلمة، ولا بد من بيان المقصود من غير المسلمة، فغير المسلمة إما أن تكون مشركة والزواج منها حرام، وإما أن تكون كتابية والزواج منها مكروه وهذه هي دعوى الإجماع.

وجملة القول فيما سبق أن الإمام أبا زهرة اهتم ببيان الإعجاز التشريعي في آيات الله حيث إنه يراه أقوى وجوه الإعجاز، والقرآن ليس معجزاً للعرب وحدهم بل لجميع البشر لأنه تنزيل من رب العالمين.

المطلب الثالث الإعجاز العلمي

تعريف الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي تفسير الآيات القرآنية باجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان^(١).

والناظر إلى القرآن الكريم يجد فيه كثيراً من الآيات القرآنية التي تشير إلى الإنسان وخلقته، وإلى الكون بما فيه من مخلوقات قال **وَعَجَّلَ** ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولفت ذلك أنظار العلماء والمفسرين، فوجهوا اهتمامهم لبيان ما في القرآن من إعجاز علمي.

كان الإمام أبو زهرة من العلماء المعتدلين الذين أبدوا التفسير العلمي بشروط حيث قال: "لا يصح أن تؤول ألفاظ القرآن فنحملها نظريات العلم، أو نحاول أن تثبت أن النظريات العلمية جاءت بها النصوص، فإن النظريات العلمية في تغير مستمر، والعقل يكشف حقيقة ويربط بها نظرية، ثم يكشف أخرى تنقض هذه النظرية، وهكذا تكون النظريات متغيرة مستمرة التغير ولا يصح أن نجعل القرآن الكريم مضطرباً باضطراب النظريات.

كما أنه لا يصح أن نجعل الفروض العقلية لبدء الخليقة وتطورها حاكمة على النصوص القرآنية بالصدق، أو بغيره، كنظرية النشوء والارتقاء، وأصل الأنواع، فإن هذه فروض عقلية، قد يكون لها أصل يقيني، ولكنها ظنون، ولا يصح التحكم في نصوص القرآن بظنون، والظن لا يغني عن الحق شيئاً، وإنما إذ نمنع تحكيم هذه الفروض في فهم القرآن، وجعله في الميزان بسببها، نمنع أيضاً أن نتكلف فنحاول إثبات أن القرآن قد أتى بما يؤيدها؛ لأننا قررنا أنه لا يجوز حمل النص القرآني على نظرية قابلة للتغيير والتبديل، وإلا كان معنى القرآن متحولاً متغيراً وذلك لا يجوز.

وقد يقول قائل: ألا يجوز أن نتكلم في معاني الآيات الكونية، وما اشتملت عليه من حقائق؟ فنقول لهم إنه يجب تفسير الآيات الكونية بالحقائق لا بالنظريات، وإن الفرق بين الحقائق والنظريات ثابت؛ لأن النظرية فكرة قابلة للتغيير، أما الحقيقة فأمر ثابت غير

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، (٥٤٩/٢)، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

قابل للتغيير، وأكثر النظريات فروض عقلية لا وقائع عملية^(١).

يتضح من كلام الإمام أبي زهرة أنه يؤيد التفسير العلمي ولكنه يضع ضوابطاً وشروطاً لهذا التفسير من خلال حديثه السابق وهي:

١. عدم تأويل ألفاظ القرآن وتحميلها ما لا تحتمل من النظريات العلمية.
٢. لا يصح أن نثبت أن النظريات العلمية جاءت بها النصوص؛ لأنها بتغير مستمر.
٣. لا يصح أن نجعل الفروض العقلية حاکمة على نصوص القرآن.
٤. تفسير الآيات الكونية بالحقائق لا بالنظريات^(٢).

والباحثة تؤيد رأي الإمام أبي زهرة؛ لأن هذه الشروط تحمي الآيات القرآنية من تحميلها ما لا تحتمل، ثم إن النظريات غير يقينية وهي في تغير مستمر، والأصل أن القرآن ثابت، ولذلك يجب أن نفسر الآيات بالحقائق الثابتة التي لا تتغير، وعلى ذلك فإنه لا يجوز التفسير العلمي على إطلاقه، بل هو معتدل في رأيه.

وفيما يلي أمثلة من التفسير العلمي في تفسير الإمام أبي زهرة:

(١) الإعجاز في خلق السموات والأرض:

تكرر ذكر الكون في القرآن الكريم مرات عدة؛ وذلك لأن كل ما في الكون من مخلوقات اتخذ دليلاً على خالقهم ومبدعهم، وإن آيات الكون تلفت نظر الإنسان إلى قدرة الله تعالى وإلى معرفة أسرار الكون.

وربط الإمام أبو زهرة في كثير من الآيات الكونية التي فسرها بين تفسيرها

العلمي وبين قدرة الله -عز وجل- في خلقها وفي إثبات الوجودانية له، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء:

١٦] قال رحمه الله: "السموات هي كما نعلم طبقات النجوم وأبراجها من شمس وقمر، وكواكب ونجوم كل في مداراتها، تربط بينها نوااميس الكون التي تسمى أحياناً بالجاذبية، والقصور الذاتي، والأرض نعيش على سطحها، وتشمل الماء الذي يقدر بثلاثة أرباعها، واليابس بما في ظاهرها من جبال هي رواسبها، وفي باطنها فلزات وأحجار وما لا يمكن زرعه ملاءه الله تعالى بالخيريات في باطنه من معادن سائلة وجامدة.

(١) لواء الإسلام، مقالة بعنوان (المنهاج المستقيم) للإمام أبي زهرة، السنة ١٨، العدد ٨، ص ٤٦٦،

٤٦٧. وانظر: المعجزة الكبرى، ص ٤٧٥، ٤٧٦.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/٦٠٤)، وضع د. فهد الرومي شروطاً موافقة لهذه الشروط.

وفي البحار جواهر، ولحم طري من الأسماك وغيرها من ساكنات الماء، حتى كان ما فيها من عوالم الأحياء لا يقل عما هو في اليابس من حيوان...، وما بينهما هو الفضاء الذي سخر للإنسان، وفيه السحاب المثقل بالماء ينزل ليروي الحرث والغراس^(١).... لقد صرح سبحانه وتعالى بأنه خلق هذه الأمور لمعرفة الإنسان، وتعريفه بطبائع الوجود، وليعرف منها خالقه، وكماله ونزاهته عن أن يكون كالحوادث إذ هو خالقهم، ولذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]...^(٢)

يتضح من تفسير الإمام أبي زهرة للآية السابقة مظاهر الكون التي توصل إليها العلماء من قانون الجاذبية، وما في باطن الأرض من معادن وفلزات، وما في البحار من جواهر وأسمك وما في الفضاء من سحب تنزل الماء كل ذلك ذكر في القرآن الكريم وتوصل إليه العلماء فيما بعد، وبين الإمام أبو زهرة أن خلق السموات والأرض بكل ما فيها لم يكن لعباً وأن هذه الأمور خلقت لمعرفة الإنسان ومنها يعرف قدرة الله -ﷻ- وكماله فكل ما في الكون يدل على قدرته، وذكره الإمام كنوع من العلم بالكون فوق ما فيه من دلالة إعجاز القرآن.

(٢) الإعجاز في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]:

الإعجاز هنا إعجاز يخص علم الجغرافيا، وقد وضع الإمام أبو زهرة سر الإعجاز في مرج البحرين العذب والمالح، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] قال: "نقرر أن هذه الآية من دلائل الإعجاز؛ لأن محمداً لم ير البحار التي تمخر عبابها السفن، فذكره سبحانه وتعالى لخواصها في القرآن دليل على أنه ليس من عند محمد -ﷺ- الذي لم يرها ولم يعرفها دليل على أن الكلام لله تعالى خالق البحر واليابس، والأنهار والبحار وهو بكل شيء عليم. والمعنيان للمرج يستعملان في هذا المقام، فالله سبحانه وتعالى جعل البحرين

(١) انظر: الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين، د. محمد محمود عبد الله، ص ١٠١-١٢٥، دار الشواف- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م. في هذا الكتاب شرح وافٍ عن علم الفلك وطبقات الأرض وما فيها فمن أراد الزيادة عليه الرجوع إلى هذا الكتاب.

(٢) زهرة التفسير، [الأنبياء: ١٦].

يجريان كل منهما في مجراه من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر، وهما غير متجاورين أحياناً، وأحياناً يكونان متجاورين يختلطان ويتجاوران ولا يمتزجان، والبحران النهر العظيم كدجلة، والفرات، والنيل، وسيحون^(١)، وجيحون^(٢)، وغيرها من الأنهار العظيمة الذي يخليها الله تعالى ويرسلها في المروج فتنبت الزرع نباتاً وعراساً، ويشرب منها الناس، ويسقون دوابهم وأنعامهم.

والبحر الثاني: هو البحر الملح، كبحر الروم^(٣)، وبحر القلزم^(٤)، وبحر الهند^(٥)، وبحر الظلمات^(٦) وغيرها، والأول عذب فرات والثاني ملح أجاج أي ملح شديد الملوحة، وفيه أحياناً دفاء وفيه نعم لا تُعد، ففيه الجواهر والياقوت والمرجان، وفيه اللحم الطيب، وهوؤه فيه مواد مطهرة للصدر، فيه اليود ومنه تنبعث الريح وفيه تجري البواخر كالأعلام وفي هذا بيان نعمة الله تعالى في الماء العذب الفرات الذي يكون لسقي الأرض وإحياء نباتها وعرسها... وقد أشار سبحانه إلى أن كلا من البحرين العذب الفرات والملح الأجاج كلاهما محجوز عن صاحبه، بل يأخذ الإنسان من كل منهما منافع ونعمه من غير أن يختلط أحدهما بالآخر فيختلط الملح بالعذب الفرات، فلا ينتفع الإنسان بشربه، ولا الزرع بسقيه ولذا قال: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)...^(٧).

يتضح من المثال السابق الإعجاز العلمي في آيات الله، كما يثبت أن هذا القرآن من عند الله محمد ﷺ - لم يطلع على علم البحار، فكيف بأبي له أن يعرف بهذا العلم فما هذا إلا كلام الله ﷻ.

والسبب العلمي في عدم اختلاط البحر العذب بالملح كما يقول محمد كامل عبد

(١) سيحون: نهر في جنوب غربي الاتحاد السوفيتي يسمى الآن (سرديا) يصب في بحيرة آرال ويسمى أيضاً (يكسرت). انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، ص ٤٠٥، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م. المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢٦٤، دار الشرق-بيرون.

(٢) جيحون: يسمى (أموداريا) وهو نهر نبعه من جبال بامير من الهند يجتاز آسيا السوفياتية ويصب في نهر آرال. انظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٤٠٥. المنجد، ص ٥١.

(٣) بحر الروم: اسم أطلق قديماً على البحر المتوسط. انظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٩١.

(٤) بحر القلزم: اسم أطلقه العرب سابقاً على البحر الأحمر، وهو نسبة إلى مدينة قلزم بالقرب من السويس. انظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٩١. المنجد، ص ٤١٩.

(٥) بحر الهند: هو المحيط الهندي. انظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٨٨.

(٦) بحر الظلمات: أطلق قديماً على المحيط الأطلنطي. انظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٨٧.

(٧) زهرة التفاسير، [الفرقان: ٥٣].

الصمد: "إن اليد التي تدير هذا الكون مرجت البحرين، وجعلت بينهما برزخاً وحاجزاً من طبيعتهما، ومن طبيعة هذا الكون المتناسق الذي تجري مقاديره بيد الصانع الحكيم الذي ترك البحرين، الفرات العذب، والملح المر يجريان ويلتقيان فلا يختلطان ولا يمتزجان، إنما يكون بينهما برزخ فمجاري الأنهار غالباً أعلى من سطح البحر، ولا يقع العكس إلا شذوذاً حيث ثبت علمياً أن مياه الأنهار التي تصب في المحيطات كثافتها أقل من كثافة المياه المالحة فتظل سابحة فوق المياه المالحة فلا تختلط بها، وبهذا التقدير الدقيق، لا يطغى البحر وهو أضخم وأغزر على النهر الذي منه الحياة للناس ولجميع الكائنات الحية"^(١).

وهكذا ظهر السبب العلمي في عدم امتزاجهما، فهذه قدرة الله -ﷻ- وهذه آيات القرآن الثابتة الذي لا يأتيه الباطل.

(٣) الإعجاز في قوله تعالى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾:

ذكر القرآن الكريم أهمية العسل لغرض التداوي، لما فيه من منافع شتى تساعد على الشفاء من الأمراض والأسقام.

ولقد وضح الإمام أبو زهرة الإعجاز العلمي في الآية فقال:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] قال رحمه الله: "يقول سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ فما بين أبيض وأصفر وبنفسجي ووردي؛ وذلك على حسب الغذاء الذي يتغذى به النحل، وعلى حسب سن النحلة التي تخرجه.

وقد قالوا: إن العسل تمجه لعاباً، ولا يخرج من بطنها، والجواب عن ذلك أنه ينساغ في بطونها عسلاً ثم تمجه لعاباً، وهو يتكون أولاً في البطن، ومع اختلاف ألوانه ورائحته يجتمع فيه وصف الحلاوة له.

وقال تعالى: (فيه شفاء للناس) والتكثير هنا للتعظيم، أي فيه شفاء عظيم للناس، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه شفاء عاماً؛ لأن التكثير للتعظيم؛ لأن فيه شفاء لكل الأسقام.

وعن ابن عمر أنه لا يشكو قرحة إلا جعل عليه عسلاً، حتى الدمّل إذا خرج عليه

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام، ص ١٢٣، عزا المؤلف هذا الكلام إلى كتاب (تفسير الآيات الكونية)، د. عبد الله شحاتة.

طلى عليه عسلاً وحكى عن بعض التابعين أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى بالعسل في كل مرض.

وإن النص القرآني يدل على أن فيه شفاءً عظيمًا، ولكن لا يدل على أنه تعالى يشفي به كل الأمراض وحسبه أن يكون فيه شفاءً عظيم وكان النبي ﷺ يداوي به أمراض البطن، روى البخاري ومسلم أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه^(١)، فقال ﷺ: (اسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً، قال: (اذهب فاسقه عسلاً) ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: (صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً فبرئ)^(٢). يقول ابن كثير في التعليق على هذا الحديث: "قال بعض علماء الطب: كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلاً وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده إسهالاً فاعتقد الأعرابي أنه يضره، وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فزاد التحليل والدفع ثم سقاه فكذاك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة استمسك بطنه وصلاح مزاجه^(٣)"^(٤).

يتضح من المثال السابق أن العسل يخرج من بطن النحلة بألوانٍ مختلفة حسب الغذاء الذي تتغذى به وتخرجه على شكل لعاب ومع اختلاف لونه ورائحته يجتمع فيه الحلاوة وهذا قمة الإعجاز، وهو يشفي من السقم ولكن ليس جميعه.

والعسل له فوائد كثيرة منها: أنه مبيد للجراثيم ومضاد للعفونة، ويستخدم كحمية لمرض السكري ويعتبر أكبر ركن من أركان المعالجة له، كما أنه يحمي الأسنان من النخر، ويشفي من أمراض الجلد^(٥).

القرآن أخبرنا بأهمية العسل وبأنه شفاء للناس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً والعلم الحديث ما زال يتوصل إلى الآن إلى فوائد العسل وبذلك يتضح الإعجاز العلمي في أهمية العسل والتداوي به.

(١) استطلق بطنه: أي أصيب بإسهال. انظر: لسان العرب، مادة (طلق)، (٣/٢٦٩٥).

(٢) فتح الباري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، (١٠/١٣٩)، (ح ٥٦٨٤)، لم ينقله بنصه وغير في بعض الألفاظ. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، (٤/١٧٣٦)، (ح ٩١) لم ينقله بنصه.

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٢/٥٥٦).

(٤) زهرة التفاسير، [النحل: ٦٩]

(٥) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب، د. أحمد قرقوز، ص ١٨٣، ١٨٩، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

يتضح من خلال هذا المطلب أن الإمام أبا زهرة سلك في تفسيره العلمي الطريق الصحيح، وأجاز هذا التفسير بضوابط وشروط معينة تحمي الآيات القرآنية من التجني عليها، ويحميها من النظريات المتغيرة كما أنه يؤكد على ضرورة تفسير آيات الله بالحقائق العلمية الثابتة؛ وبذلك يُحمى القرآن من اضطرابات النظريات.

وختلصة القول: هذه بعض وجوه الإعجاز التي تحدث عنها الإمام أبو زهرة في تفسيره وقد كان واضحًا اهتمامه البالغ في بيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

الفصل الرابع

منهج الإمام أبي زهرة في عرض قضايا العقيدة

المبحث الأول: إقراره لعقيدة التوحيد والدفاع عنها .

المبحث الثاني: موقفه من القضاء والقدر .

المبحث الثالث: منهجه في إقرار الغيبات .

المبحث الرابع: عرضه لعقيدة اليهود والنصارى ، ومناقشته لهما .

الفصل الرابع منهج الإمام أبي زهرة في عرض قضايا العقيدة

العقيدة الإسلامية لها أهمية عظيمة وتأثيرٌ مباشرٌ على حياة المفسر لأنها تنعكس على سلوكه وأخلاقه فإن صلحت عقيدته صلح فكره، وبالتالي فإنها تنعكس على مؤلفاته وكتبه بشكل مباشر، ثم تنعكس على فكر تلاميذه، وإن لصلاح فكر المفسر صلاحٌ لفكر تلاميذه.

والإمام أبو زهرة -طيب الله ثراه- انعكست عقيدته على تفسيره بشكل واضح، وعقيدته والله الحمد عقيدة صالحة- وكما أشارت الباحثة سابقاً-^(١) فقد كان أشعري المذهب وافق أهل السنة والجماعة في مذهبهم وناصرهم ودافع عن عقيدتهم إلا أنه لم يرتض مذهبهم في الصفات. وفي هذا الفصل سوف تقوم الباحثة بعرض المسائل العقيدية التي تعرض لها الإمام في تفسيره.

المبحث الأول إقراره لعقيدة التوحيد والدفاع عنها

الإسلام دين الوحدانية والتوحيد أساس العقيدة الإسلامية وهو من أهم قضايا العقيدة وفيه يدخل العبد في الإسلام قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

كما أنه دين الأنبياء جميعاً وهو الجامع بين رسالات الله - ﷻ - إلى خلقه ولذلك خاطب الله الناس جميعاً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد أثبت القرآن الكريم أن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه بديع السموات والأرض، وأنه منفرد بذاته وصفاته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وحدانية الله تعالى من القضايا الهامة التي اعتنى بها الإمام أبو زهرة وأولاهها

(١) انظر ص ٤٧ من البحث.

اهتماماً واضحاً واعتبرها فيصل التفرقة بين الكفر والإيمان^(١).

وفيما يلي بيان لمنهجه في إقرار عقيدة التوحيد والدفاع عنها، وتتمثل فيما يلي:

أولاً: إثبات التوحيد لله ﷻ :

يقصد من هذا العنوان اثبات التوحيد أي توحيد الألوهية والربوبية، وقد صنفت الباحثة هذا العنوان؛ لأن الإمام أبا زهرة كثيراً ما يتكلم عن توحيد الألوهية والربوبية مجتمعين ولما لهما من ترابط فشملاً لفظ التوحيد.

ويعد الإمام أبو زهرة التوحيد من أهم قضايا العقيدة فكثيراً ما يتناول الحديث عن

التوحيد لله ﷻ - ببيان قدرته من خلال مخلوقاته، واستحقاقه وحده للعبادة قال رحمه الله: "وشهادة (لا إله إلا الله) تتضمن جميع أنواع التوحيد فهي تتضمن بيان أن المعبود بحق في الإسلام واحد لا يشاركه أحد، فهو واحد في الخلق فلا يشاركه في إنشاء هذا الكون وما فيه أحد، وهو في ذاته وصفاته لا يماثله أحد، وفي العبودية لا يستحق العبادة سواه"^(٢).

وكون الله تعالى وحده هو الخالق المدبر لا شريك له في ربوبيته يستلزم أن

يكون وحده المستحق للعبادة فلا يصح أن يعبد غيره، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] قال رحمه الله: "ومن يؤمن بالإسلام يؤمن بكل الأديان والشرائع التي أنزلت على الرسل غير محرقة ولا مبدلة، فهو دين الوجدانية، كما هو دين التوحيد الإلهي، والإيمان بالله تعالى هو الإيمان بوجدانيته تعالى في الذات، فليس لله سبحانه وتعالى مشايه له من الحوادث ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وبوجدانية الله في الخلق والتكوين فهو سبحانه الخالق لكل شيء، وليس لأحد مهما يكن شركة لله سبحانه في الخلق والتكوين، ووجدانية العبودية فلا يعبد مع الله أحد؛ لأنه المنعم بهذا الوجود، وليس أحد يستحق معه العبادة، إذ لا يماثله أحد (٣) «(٤)».

(١) انظر: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ص ٣١. وانظر: العقيدة الإسلامية، لأبي زهرة، ص ٢٣.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ٢٣. انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي الحنفية، ص ٧٨، المكتب

الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية، للإمام أبي زهرة، ص ٢٩.

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٧، ص ٣٩٥.

ويتضح من المثال السابق أركان التوحيد عند الإمام أبي زهرة وهي:

أ. وحدانية الخلق والتكوين.

ب. وحدانية العبادة.

ج. وحدانية الذات.

وهذه الأركان الثلاثة يقابلها عند السلف مسميات أخرى فالتوحيد عندهم:

أ. توحيد الربوبية.

ب. توحيد الألوهية.

ج. توحيد الأسماء والصفات (١).

وهذا الاختلاف هو اختلاف في التسمية فقط، ولكن المعنى واحد.

٣. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١] قال رحمه الله: "أي أن المعبود بحق ليس إلا واحداً، وهو الله تعالى ذو الجلال والإكرام، ووحدانية تكون في الذات والصفات والعبودية، فليست ذاته الكريمة كذات المخلوقات، وهو وحده سبحانه الجدير بالعبودية والألوهية فلا معبود سواه، وهو وحده الخالق للكون، وقد تنزه سبحانه عن أن يكون له ولد، لأن هذه صفات المخلوقين، وذاته تعالى واحدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لأن كون أحد ولده يقضي الاتصال بالمخلوقين، ويكون مثلهم، وهو الخالق لهم ولكل شيء، فكيف يكون المخلوق ولداً، وكيف يكون البشر متولداً من الله تعالى الخالق له، المنشئ المكون المربي، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ كل ما في السموات من بروج ونجوم وكواكب، وما في الأرض من أحياء على ظهرها، ومعادن وفلزات وكنوز في باطنها، وما في البحار من أحياء، ومن جواهر وآلئ، هو ملك الله تعالى فعيسى بن مريم وأمه مملوكان لله تعالى ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] والله سبحانه هو المدبر للكون الذي وكل إليه أمره، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي أن الله تعالى هو الذي قد وكل إليه أمر الكون، وتدبيره ظاهره وباطنه، وما ظهر منه للناس، وما خفي عليهم، وكفى

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٨.

بالله وكيفا ليستقيم الأمر فيه وليسير على سنن مستقيم لا اضطراب فيه ولا اختلاف...^(١). وفي هذا المثال ذكر الإمام أبو زهرة أنواع التوحيد، وبين أن الله سبحانه هو الجدير بالعبودية والألوهية، ونزه الله - **عز وجل** - عن أن يكون له ولد وأثبت الوجدانية لله من خلال مخلوقاته وأفعاله وعدد مخلوقاته من نجوم وكواكب وكنوز في باطن الأرض وبين أن كل ما في الكون هو ملك لله وأثبت ذلك ودافع عن التوحيد بعقلية مترنة منزلها الله عن مماثلة المخلوقات.

٣. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] قال رحمه الله: "هذه الكلمة التي يستوي فيها الإسلام مع الأديان التي سبقتها هي التوحيد، والتوحيد لشمول معناه يشمل التوحيد في العبودية، والتوحيد في الربوبية، والتوحيد في العبودية ألا نعبد إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى بقوله على لسان نبيه ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ فلا يصح أن يشرك مع الله في الألوهية حجر ولا بشر فلا يقال: فلان إله، ولا ابن إله، ولا عنصر الألوهية قط في حجر.

أما التوحيد في الربوبية، فهو ما أشار إليه سبحانه بقوله تعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لا يتخذ أحد من البشر مقام الرب، بأن يكون له فضل في التكوين أو الإنشاء أو التأثير في الخلق بأي نوع من أنواع التأثير، فإن هذا كله من عمل الرب والله سبحانه وتعالى هو رب العالمين وحده ولا رب سواه، فلا مؤثر في الكون ولا في الأشخاص ولا في الأشياء سواه، فلا أثر لحجر ولا لبشر كائنًا من كان هذا البشر.

وهناك معنى آخر للربوبية يدخل في مضمونها، وهو أن يكون الشرع كله لله تعالى، فلا يتكلم عن الله أحد إلا نبي يوحى إليه، والجميع بعد ذلك أمام الشرع سواء، إلا أن يكون فهم متميز متفهم متعرف^(٢)، ومن ادعى أنه يتكلم عن الله باسم الله من غير وحي يعتمد عليه وزعمه ربًا يؤخذ عنه، ولذلك عبر القرآن عن علماء النصارى واليهود الذين ادعوا أن قولهم دين يتبع وتقاليدهم تؤثر، بأنهم قد اتخذوا أربابًا من دون الله...^(٣).

وفي هذا المثال عرف الإمام أبو زهرة معنى توحيد الألوهية: بأنه لا يستحق العبادة أحد إلا الله ولا يُشرك معه حجر ولا بشر وكما أنه عرف توحيد الربوبية بمعنيين:

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٩، ص ٥٢٢.

(٢) لم أجد هذا المعنى إلا عند الإمام أبي زهرة، ويقصد بهذه العبارة العلماء المجتهدين.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٠، العدد ٣، ص ١٤٣.

- أ. انفراد الله بالخلق والتكوين والإنشاء والتدبير .
 ب. اقتصار حق التشريع كله لله سبحانه وتعالى، والمعنى الأول الأول هو المشهور .

ثانيًا: إثبات الصفات لله تعالى:

أما مسألة صفات الله - وَعَلَىٰ - فإن الإمام أبا زهرة ذهب فيها مذهب المتكلمين، وأعرّب عن اختياره لمذهب التأويل؛ ولذلك فإنه يرى أنّ النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة الموهّم ظاهرها للتشبيه هي من قبيل المجاز الذي يحتاج إلى تأويل، فقد قال رحمه الله: "كل ما ورد في القرآن من عبارات توهم أنّ الله يشبه بعض ما يكون للحوادث كقوله تعالى: ﴿يَسُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فإنها تخرج على معنى مجازي واضح بين، فالمراد بالوجه الذات العليّة، ومن الاستواء على العرش كمال السلطان، ومن اليد كمال القدرة"^(١) .

وقد عارض رأي شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) الذي يمثل رأي السلف حيث قال: "إن التأويل بلا شك في هذا يقرب العقيدة إلى المدارك البشرية، ولا يصح أن يكلف الناس ما لا يطيقون، وإذا كان ابن تيمية قد اتسع عقله للجمع بين الإشارة الحسية، وعدم الحلول في مكان أو التنزيه المطلق، فعقول الناس لا تصل إلى سعة أفقه إن كان كلامه مستقيماً"^(٣) .

ومن خلال كلام الإمام أبي زهرة السابق الذي رد فيه على ابن تيمية بضرورة التأويل حتى يقرب العقيدة من المدارك البشرية، والذي اعتبر أن عقل ابن تيمية يفهم ما لا يفهمه غيره من الناس ثم شكك في كلامه وقال: "إن كان كلامه مستقيماً" وهو بذلك يعرب عن اختياره لمذهب التأويل.

وفيما يلي عرض لمذهبه في إثبات الصفات من خلال الأمثلة التالية:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال رحمه الله: "الحي هو ذو الحياة الكاملة، والحياة الكاملة مظهرها الشعور والإدراك والعلم، وهي كمال الوجود في المحسوسات والمخلوقات، ولكنها بالنسبة لله - سبحانه وتعالى - صفة

(١) الإسلام اليوم وغداً، للإمام أبي زهرة، ص ٢٠٠، ٢٠١، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية.

(٢) انظر: الترجمة، ص ٤٧ من البحث.

(٣) انظر: ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه الفقيهية، ص ٢٥٨، ص ٢٧٠. وانظر: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص ٢٩، وما بعدها ستجده مفصلاً.

كمال له جلت قدرته، مظهرها العلم والإرادة والقدرة والخلق والتكوين؛ فإنه وإن اشترك لفظ الحياة بين الباقي والفاني، فمعناه في الفاني يليق بذاته، ومعناه في الباقي - سبحانه وتعالى - يليق بذاته العلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] .

والحياة على هذا صفة كمال وصف الله سبحانه وتعالى - بها بذاته الكريمة، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بها؛ لأنها من كمال الوجود، والله سبحانه وتعالى هو وحده كامل الوجود، وفوق كل موجود..^(١) .

يُلاحظ في المثال السابق أن الإمام أبا زهرة أثبت صفة الحياة لله - عَلَى - وبين أن الحياة لفظ مشترك بين الخالق والمخلوق ولكن الله سبحانه - حياته ليست كحياة البشر؛ لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذا أمر أقره العقل وهذه الصفات من ضمن الصفات التي تثبتها الأشاعرة، وكما هو ملاحظ فإن الإمام استخدم عبارات الفلسفة حين قال "كامل وموجود".

٣. وفي نسبة اليد إلى الله قال رحمه الله عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] قال: "ولفظ (يدُ الله مَعْلُومَةٌ) مجاز عن البخل، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية، إذ شبّهت حال من قبضت يده عن العطاء، فلا يعطي بحال من غلت يده، وربطت على وسطه، فلا يستطيع تحريكها وعبر باليد؛ لأنها هي التي يكون بها العطاء ولقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] وليس المراد باليد الجارحة، بل الكناية من المنع والإعطاء... وقد فسرت اليد المنسوبة لله تعالى بالمعنى المجازي المناسب في كل آية في القرآن الكريم على ما اختاره الغزالي وغيره^(٢)، حتى إنه قال في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] بالسلطان والقوة كما يقال وضع الأمير يده على المدينة، ولو كان مقطوع اليدين والكلام في هذه المسألة مشهور في كتب علم الكلام.

... ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ هذا رد عليهم وبسط اليد هنا مجاز عن الجود والفيض، والإنعام من الله تعالى على خلقه، وعبر هنا بالمتنى فقال سبحانه (يداه)

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٦، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، الرسالة الرابعة، إجماع العوام عن علم الكلام، ص ٤٣، بدون دار نشر.

للإشارة إلى كثرة الفيض والإنعام والعطاء العميم كأنه يعطي بيدين لا بيد واحدة، ولكن إذا كانوا لم يدركوا فيض نعمته، فإنهم لم يدركوا معنى حكمته...^(١).

وفي المثال السابق اعتبر الإمام أبو زهرة أن صفة اليد المنسوبة لله - **وَجَلَّ** - هي من قبيل المجاز في قوله **﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** وكذلك في قوله **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** وجزم بأن كل آية في القرآن الكريم فيها صفة اليد لله من المجاز موافقاً للغزالي الذي ينتمي إلى المذهب الأشعري في ذلك وقد قال سابقاً أن كل ما ورد في القرآن من عبارات توهم أن الله يشبه بعض ما يكون للحوادث مثل الوجه والاستواء، واليد هو من المجاز، وهذا مخالف لرأي السلف الذين يثبتون ما أثبتته الله لنفسه وينفون ما نفاه الله عن نفسه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل^(٢). وهذا الرأي هو الذي تميل إليه الباحثة.

٣ . وعند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤] قال رحمه الله: " **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** هذا تخصيص لموسى عليه السلام بالذكر، ولم يذكر من ضمن من ذكروا من السابقين؛ وذلك لأنه هو الذي نزلت عليه التوراة التي كانت شريعة لمن جاء بعده، ولأن اليهود الذين جحدوا بآيات الله كانوا يدعون الأخذ بشريعته، ولأنه نزل به اختبار شديد بسبب بني إسرائيل الذين كانوا، وأخيراً لأنه اختص من بين المذكورين بأن الله تعالى كلمه، وقد جاء التصريح بأنه كلمه في هذا النص وفي غيره ومن ذلك قوله تعالى في أول سورة طه: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾** [طه: ١١-١٣] وإن هذا يدل على أن الله تعالى متصف بصفة الكلام، والمعتزلة من الفرق الإسلامية ينكرون نسبة صفة الكلام لله تعالى، ويذهب فرط غلو بعضهم إلى أن يفسروا قوله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** بأن كلم من الكلم لا من الكلام، أي أن الله تعالى اختبر موسى -عليه السلام- اختبارات شديدة كانت كالقلام والجروح، وتلك مغالاة في تفسير القرآن الكريم بالمذهبية، وقد أنكره الزمخشري، وهو منهم وسماه من بدع التفسير^(٣).

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ١٠، ص ٥٨٨، ٥٨٩.

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله الأكاثي، تحقيق د. أحمد الغامدي،

(١٩٣/٢) دار طيبة السعودية، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

(٣) انظر: الكشاف، (٥٨٢/١، ٥٨٣).

والحق أن كَلَّمَ من الكلام، وقد أكد تكليم الله تعالى لموسى بالمصدر، والظاهر من الكلام إذا أكد كان غير قابل للمجاز ولا للتأويل، وإنه يجب تفسير القرآن بظواهره، وخصوصًا الظواهر المؤكدة ولا تطغى الآراء المذهبية على المعاني القرآنية، فالقرآن منبع الحق ونور اليقين^(١).

ويُلاحظ أن الإمام أبا زهرة أثبت صفة الكلام لله - ﷻ - ورد على المعتزلة الذين ينكرون نسبة صفة الكلام لله، وقد كان عرضه لقولهم ورده عليهم بشكل معتدل فلم يكثُر الحديث عن علم الكلام ولا عن هذه الفرقة، واعتبر أن ظاهر الكلام إذا أكد فإنه لا يقبل المجاز ولا التأويل، وقال بوجوب تفسير القرآن بالظاهر خصوصًا الظواهر المؤكدة، ورفض أن تكون الآراء المذهبية طاغية على المعاني القرآنية، ولذلك عندما أثبت صفة الكلام لله - ﷻ - أكدت هذه الصفة من خلال آية أخرى وبصورة واضحة، وصفة الكلام من الصفات التي تثبتها الأشاعرة لله ﷻ .

٤ . وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال رحمه الله: "العرش: يطلق على كرسي الحكم كما في قوله تعالى: ﴿ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل: ٤١] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] واستوى بمعنى استقر، والعلو على هذا العرش.

ويقول علماء الكلام: إن للعلماء في مثل هذا النص السامي ﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ منهجين: أحدهما: يفسر فيقول إن معنى استوى استولى على العرش هذا الوجود وصار له السلطان الكامل فيه؛ لأنه مالك كل شيء، ولا شيء لغيره فيه فهو المالك وحده. الثاني: يفوض فيقول: إن الله ذكر أنه استوى على العرش، فنؤمن بذلك ولكن لا نحاول أن نسبح عن مدى هذا المعنى، كما قال الإمام مالك رحمته: (الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة).

فهو يرى أننا نؤمن بالحقيقة، ولا نسأل عن كيفيةها، ونؤمن بنزاهة الله، فنزّهه عن أن يكون له مكان، فإن ذلك شأن الحوادث، والله تعالى لا يماثل الحوادث في شيء كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وإنه ليبدو لنا غير مفتنين ولا مدعين أن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تعبير مجازي، قصد به

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٧، ص ٣٩٠، ٣٩١.

استيلاء الله تعالى على حكم هذا الذي خلقه فهو تشبيهه سلطان الله تعالى فيما خلق من السموات والأرض وما بينهما وتدييره لهما، وتيسيره أمرهما بمن يستوي على عرش ملك يدبره ويسير أمره، والله سبحانه وتعالى المثل الأعلى في السموات والأرض^(١).

يتضح من المثال أن الإمام أبا زهرة يعد (الاستواء) تعبير مجازي، يقصد منه الاستيلاء على حكم، ويعتبر أن الإيمان بصفات الله على حقيقتها دون السؤال عن كيفية شأن الحوادث والله عَلَّمَ لا يماثل الحوادث.

والباحثة تعارض الإمام في رأيه الذي أعرب فيه عن اختياره لمذهب التأويل، وقد رد صاحب كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) على هذه المسألة رداً مقنعاً فهو يرى أن استواء الله عَلَّمَ - على عرشه ورد اثباته في الكتاب ولم يقع في معناه خلاف في عهد الصحابة رَضِيَ - ولم يظهر الكلام فيه، وفي إنكاره إلا في أوائل القرن الثاني وعن رأي المذاهب في الاستواء:

- ١ . مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن قال بقولهم قالوا: استوى بمعنى استولى.
- ٢ . مذهب الكرامية والهشامية -اتباع هشام بن الحكم- ومن قال بقولهم: إن الله عَلَّمَ - مماس للعرش.

وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى القول الوسط الذي يثبت استواء يليق بجلال الله وعظمته كما قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) والاستواء كيفية الصفات المتعلقة بذات الله أمر غيبي فلا يجوز توهم المشابهة كما لا يجوز نفي ما ثبت عن الله ورسوله لذلك التوهم وإنما هو الإيمان والتسليم.

وأما تفسير (الاستواء) بـ (الاستيلاء) فمن كان مستولياً عليه قبل الله عَلَّمَ - حتى استولى الله عليه؟ لأن العرش موجود قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة^(٢).

وخلاصة القول: فإن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- وافق مذهب السلف في التوحيد واعتبر التوحيد من أهم القضايا التي أولاهما اهتماماً واضحاً واعتبره الفيصل في التفرقة بين الكفر والإيمان ودافع عن هذه العقيدة التي عدها الوحدة الجامعة للأنبياء جميعاً ومع

(١) زهرة التفاسير، [الأعراف: ٥٤].

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٣/٤٢٩).

أنه وافق السلف في التوحيد إلا أنه لم يرتض مذهبهم في الصفات، وأعرب عن اختياره للتأويل وهو مذهب المتكلمين واعتبر أن الصفات المنسوبة لله مثل الوجه، اليد، الاستواء أنها من قبيل المجاز، وأثبت لله صفة الحياة والكلام، وهذا هو مذهب الأشاعرة. ولم يقف الإمام أبو زهرة مع القائلين بإثبات كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية عن أوصاف الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة الإسلامية فمن أنكره كفر، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقال -عليه السلام- عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)^(١).

موقف الإمام أبي زهرة من القضاء والقدر:

الإمام أبو زهرة -رحمه الله- ذهب مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر الذين يعتقدون أن مشيئة الله نافذة لا مشيئة العباد وأنه يقدر على عباده ما أراد^(٢).

ومما يدل على ذلك ما صرح به عن وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، واعتباره جزءاً من العقيدة الإسلامية حيث قال: "الإيمان بما يقضي به الله تعالى في علمه الأزلي، جزء من العقيدة الإسلامية، وذلك لأن علم الله تعالى وسع كل شيء، ولا يخرج شيء عن قدرته وإرادته، فما أَرَادَهُ اللهُ تعالى كان، وما لم يردده لم يكن، ولقد قال ﷺ: (كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس)^(٣)(٤) وإن الآيات كثيرة متضاربة في الدلالة على أن كل شيء بتقدير الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَابِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] وهكذا نجد آيات كثيرة تثبت أن كل شيء بقضاء وقدر في علم الله

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام، (٧/٥)، (ح ٢٦١٠)، قال عنه الترمذي (حسن صحيح).

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية، ص ١٤٥، ٢٧٠.

(٣) الكيس: النشيط الجاد في العمل، وحسن الفعل. انظر: لسان العرب، مادة (كيس)، (٤/٣٩٦٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء يقدر، (٤/٢٠٤٥)، (ح ٢٦٥٥) إلا أنه لم يذكر لفظ القضاء. ومالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (٢/٨٩٩)، (ح ٤).

الأزلي، فكان الإيمان به واجباً لأنه صريح القرآن، والعبارات فيه غير قابلة للتأويل^(١). ويرى الإمام أبو زهرة أن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن الله تعالى فعال لما يريد، وأنه لا يمكن أن يقع في ملكه إلا ما يشاؤه ولا مشيئة في تسيير هذا الوجود لسواه، ولكن ذلك لا يمنع أن العبد مسئول عما يفعل، ومجزى بما يفعل إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وأنه الحكم العدل اللطيف الخبير، وأنه سبحانه كلف كل التكليفات، والعبد مختار بالقدر الذي يتحمل به تبعه ما يفعل، وهو يحس بأنه يفعل ما يفعل مريدًا مختارًا^(٢).

وبناءً على ما سبق فإن الإمام أبا زهرة نهج منهج أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر وفيما يلي أمثلة من منهجه في القضاء والقدر:

(١) مشيئة الله سبحانه وتعالى:

بين الإمام أبو زهرة مشيئة الله النافذة من خلال تفسيره، مثال ذلك:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] قال رحمه الله: "...معنى الإذن هنا يتضمن أن الله تعالى الإرادة المطلقة في قبض النفوس وإرسالها، فهي لا تموت إلا بمشيئته، ولا تحيا إلا بإرادته، وقد عبر سبحانه وتعالى عن الإرادة بالإذن، وذلك للإشارة إلى أنه إذا كان القتل في الحروب سبباً للموت، فإنه ما دام لم بجيء الإذن الذي يعلن مشيئة الله تعالى وإرادته فإن المقاتلين مهما يكونوا أقوياء لا يمكن أن يصيبوا نفساً لم يشأ الله تعالى قتلها، فهذا النص الكريم يؤكد معنيين:

أحدهما: أن الموت بالإرادة الأزلية وبالمشيئة الإلهية، فما لم يأذن فلا موت.

والثاني: أن القتال مهما يكن شديداً فلن تموت نفس لم يكتب الله تعالى لها الموت^(٣).

ويتضح من هذا المثال أن الموت لا يتم إلا بمشيئة الله، ولا يمكن أن تحيا النفس

إلا بإرادته ولا يمكن أن تموت أي نفس لم يشأ الله -عز وجل- لها الموت حتى ولو كانت

في أشد المعارك إلا بإذن الله تعالى.

ب. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى

(١) الإسلام اليوم وغداً، ص ٤، ٢.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص ٤٦، (بتصرف). وانظر: الإسلام اليوم وغداً، ص ٢١٥.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٢، العدد ٤، ص ١٩٨.

مُضَاجِعِهِمْ» [آل عمران: ١٥٤] قال: أي إن الله سبحانه قدر الأمور تقديرًا، ولكل أجل كتاب، فأولئك الذين كتب عليهم أن يقتلوا في الميدان لا بد أن يقتلوا فلو كنتم في بيوتكم، لخرجوا إلى الأماكن التي قتلوا فيها وقتلوا... وفي هذا يدعوهم رب البرية أن يستسلموا لحكمه ويخضعوا لقدره، ويرضوا به، ويطمئنوا إليه؛ لأن الاطمئنان إلى القدر بعد الأخذ بالأسباب رضا بحكم الله، وقبول لإرادته في خلقه وعدم الرضا بالقدر تمرد على الخالق، وانزعاج نفسي لا علاج له؛ وإذا كان من الناس من يعيب الرضا بالقدر فهي نزعة إلحاد في النفوس، والذين يشكون من المقادير، ويتمردون عليها لا يرضون برب المقادير حكمًا عدلاً وهو اللطيف الخبير السميع البصير، والرضا بالقدر يلقي في النفس بالاطمئنان والصبر والرضا والقدرة على الاحتمال والاستعداد للقابل وعدم الالتفات إلى الوراء، فمن لا يؤمن بالقضاء دبري النظر، ومن يؤمن به متجدد الفكر نظره إلى الأمام دائماً^(١).

وفي المثال السابق بين الإمام أبو زهرة أن الله تعالى قدر الأمور فمن أراد له الموت فسوف يموت حيث قدر له فلذلك يجب على الخلق أن يستسلموا لحكمه تعالى ويخضعوا لقدره؛ لأن الرضا بالقدر قبول لإرادته تعالى، وعدم الرضا بالقدر تمرد على الله -عز وجل- واعتبر -رحمه الله- من يعيب القدر بأن فيه نزعة إلحاد فلذلك نراه يدافع عن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

ج . وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠] قال رحمه الله: "وإذا كان سبحانه وتعالى هو صاحب السلطان المطلق، فإنه لا يسأل عما يفعل، وليس وراء ما يأمر به معقب من أحد، فهو يعذب من يشاء عقابًا رادعًا في الدنيا ليمنع غيره من أن يقع في الشر كما وقع هو، ويغفر لمن يسلك طريق التوبة، والأمر في كل ذلك إلى مشيئته هو وحده، وهو العليم الخبير اللطيف بعباده، الذي لا يكون معه إلا ما فيه خيرهم وإن علا على إدراكهم وعسر على فهمهم، فمشيئته مطلقه تعلو حكمة ما يفعل على عقولنا ومداركنا ولقد كانت مشيئة الله تعالى مقترنة بقدرته ولذلك قال سبحانه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو سبحانه قادر على كل شيء فكل ما في الوجود خاضع لإرادته وقدرته وسلطانه

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٢، العدد ٧، ص ٣٩٣.

لا يخرج عنه شيء ولا يعجز عن شيء" (١).

وفى هذا المثال بين الإمام أبو زهرة أن مشيئة الله تعالى بقدرته لأنه -عز وجل- له السلطان المطلق فلا يسأل عما يفعل لأن كل ما في الوجود خاضع لقدرته وإرادته وسلطانه.

(٢) أفعال العباد:

يرى الإمام أبو زهرة في مسألة أفعال العباد أن العبد له إرادة ومشية، واختيار لكنها داخلية تحت قدرة ومشية وإرادة الله -عز وجل- كما قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] وهذا هو مذهب السلف (٢).

ومن الأمثلة الدالة على موقف الإمام أبي زهرة من مسألة أفعال العباد ما يلي:
أ . عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال طيب الله ثراه: "هذه الجملة السامية تبين أن كل تكليف قد افترن بجزائه، وأن كل امرئ سيجزي على الخير خيراً، وعلى الشر شراً.

وما تضمنه النص الكريم هو نتيجة لما تضمنه النص السابق، لأن النص السابق أفاد أن ثمة تكليفاً ولا يُنتج التكليف نتائج إلا إذا كان ثمة جزاء، والنص السابق أيضاً أفاد أن الله لا يكلف إلا بما يكون في القدرة من غير إرهاق بل بإرادة حرة ويسر لا عسر فيه، وذلك أساس للقيام بالتكليف بإرادة حرة، ومقدرة غير مرهقة، وذلك يوجب الجزاء العادل" (٣).

وهذا المثال وضح فيه الإمام أبو زهرة بأن الله قد فرض على العبد تكاليف ولهذه التكاليف نتيجة وأن الإنسان له إرادة حرة في اختيار ما يريد فعله فإن فعل خيراً فخير وإن كان شراً فجزاؤه الشر.

ب . وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] قال رحمه الله: "الفتنة هنا هي الضلال واستهواء النفوس إليه، وذلك أن الفتنة تطلق بمعنى الاختبار الشديد والوقوع في البلايا الشدائد والنوازل، وإن هؤلاء قد اختبرت نفوسهم بما سُلطَ عليهم من باطل ودعوات إليه، وسقطوا في الاستجابة لهذا الشر، فكانت

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ١٠، ص ٦٠٠.

(٢) انظر: مجموع فتاوى، الإمام ابن تيمية، (٣٨٩، ٣٩٣/٨) مؤسسة الرسالة، لبنان، طبعة ١٩٩٧م.

(٣) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٧، ص ٣٩٨.

هذه هي الفتنة التي وقعوا فيها باختيارهم، واستهوتهم الأهواء المردية، ووقعت بهم البلايا الشديدة، وقد أراد الله تعالى أن يقعوا فيها فالضلال باختيارهم وسلوكهم سيئله، وتجانفهم عن طريق الحق، والله تعالى أراد لهم ما اختاروا^(١).

ويتضح من المثال السابق أن الله اختبر النفوس بما سلط عليها من باطل واستجابة هذه النفوس للشر ووقعوا فيها باختيارهم وقد أراد الله تعالى لهم ما اختاروا، فأفعال العباد مخلوقة من الله والعبد له إرادة ومشئنة فبفعل ما يختاره يكسب آثار هذا الاختيار سواء كان خيراً أو شراً.

ج . وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٩٧] قال: "...﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ أي من سلك سبيل الحق مستقيماً فإن الله يهديه، فهداية الله تعالى ليس معناها الإجبار على الهداية، وإلا ما كان الجزاء الوفاق، فإنه لا جزاء إلا مع الاختيار، وإن المهتدي يكون مختاراً في ابتداء المسير، ثم أخذه في النهاية إلى الطريق الموصل للغاية بلطف الله تعالى وتوفيقه، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ الإضلال ليس معناه أن يسير الضال في طريق الضلال متبعاً هواه، وإغواء الشيطان فيصل إلى نهايته بتقدير الله تعالى وكتابته في سجل الضالين^(٢).

يلحظ من المثال السابق أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- أكد أن أفعال الإنسان اختيارية وليست إجبارية فالهداية ليس معناها الإجبار وإلا كيف يحاسب الله الإنسان على فعل مجبر عليه، ولذلك فإن الجزاء يكون على اختيار الإنسان لأفعاله.

خلاصة القول: إن الإمام أبا زهرة ذهب مذهب السلف في مسألة القضاء والقدر، وأن مشيئة الله نافذة، فهو الخالق لهذا الكون متحكم فيه، كما أنه ذهب مذهب السلف في أفعال العباد.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ١١، ص ٦٦٤.

(٢) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٩٧].

المبحث الثالث منهجه في إقرار الغيبات

الإيمان بالغيب ركن من أركان العقيدة الإسلامية الذي يجب أن يؤمن به كل مسلم، ومن أنكره فقد أنكر ركنًا من أركان العقيدة الإسلامية.

والإيمان بالغيب يتضمن الإيمان بوجود قوى غيبية مثل الملائكة، الوحي، الجن، الشيطان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر، ونعيم الجنة، وعذاب النار، والإيمان بالرسول والكتب السماوية.

والإمام أبو زهرة رحمه الله - نهج منهج أهل السنة والجماعة في إقراره للغيبات ولم يحد عن المنهج السليم؛ لذلك يرى أن الإيمان بالقوى الغيبية جزء من العقيدة الإسلامية، وليس العالم هو هذه الأكوام الحسية بل هناك أرواح غائبة عن حسنا ولا يصح أن تكون غائبة عن علمنا، وإن أكثر الذين يضلون ولا يهتدون، سبب جحودهم أنهم لا يؤمنون إلا بما يحسون، ولا يأخذون من المشاهد المحسوس دليلاً على وجود الغائب الذي لا يحس^(١).

وبذلك فهو يؤكد على وجود القوى الغيبية التي لا يستطيع الإنسان تحديدها ومعرفتها؛ لأنها في علم الله تعالى، ولكن يجب علينا نحن المسلمين أن نؤمن بها وأن نتخذ من الشيء الحسي المشاهد دليل على وجود هذه الغيبات.

وقد أكد - رحمه الله - على أن علم الغيب يختص به الله - عَلَّمَهُ - وأن علم البشر به قليل من كثير وهذا القليل أخبر به الله أنبياءه وبين ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 179] قال: "الغيب ضد المشاهد، وهو ما غيب عنا مما لا نعلمه بطريق الحس ولا تصل عقولنا المجردة إلى معرفته، كالعلم بما يكون في المستقبل، وحقيقة الملائكة وذواتهم وغير ذلك مما غيب الله عنا علمه، واجتبتى معناها اختار واصطفى والمعنى من شأن الله تعالى أن لا يطلع عباده المؤمنين على الغيب من الأمور، حتى لا يعرفوا ما يكون لهم في الغد، بل إنه يغيب المستقبل عنهم ليجدوا ويجتهدوا، ويعملوا، وسيرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون، ومع ذلك يصطفى من رسوله من يطلعهم على بعض الغيب، كما كان يطلع رسوله أحياناً على بعض ما يدبر له كإطلاعهم على ما دبره اليهود

(١) الإسلام اليوم وغداً، ص ٢١٠، (بتصرف).

لاغتِياله (١) كاطلاع على من حملت رسالة إلى قريش تخبرهم بسر غزوته لهم (٢)،
وكمكاشفته بالوحي لجبريل الأمين، وهكذا من شئون الغيب.

ويستفاد من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد اختص بعلم الغيب، كما قال تعالى:
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] وأن الأنبياء قد يصطفي الله منهم
من يعطيه علم بعض المغيبات، فما يعطيهم يعلمونه وإنه لنزر قليل لا يعد شيئاً، ولقد قال
سبحانه على لسان نوح عليه السلام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال تعالى عن النبي ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] (٣).

ويتضح من خلال عرض المثال السابق أن الإمام أبا زهرة أقر بوجود الغيبات
وعلم أن الغيب علم مختص بالله -عز وجل- وأن الله قد يصطفي من أنبيائه من يعطيه بعض
هذا العلم ولكن ما يعطيه قليل لا يعد شيئاً .

والآية السابقة التي ذكرها الإمام على لسان نوح ﷺ في سورة [الأنعام: ٥٠]
هذه الآية ليست على لسان نوح إنما التي على لسان نوح هي التي في سورة [هود: ٣١]،
﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ .

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة من تفسير الإمام أبي زهرة في إقراره
للغيبات.

(١) الإيمان بوجود الملائكة والرسل والكتب السماوية:

يعدُّ الإمام أبو زهرة الإيمان بالملائكة والرسل والكتب جزءاً من العقيدة
الإسلامية فمن ينكر وجود الملائكة فقد كفر بما نزل على محمد -ﷺ- ، وقد أكد على
أهمية الإيمان بالملائكة وبين أمر الله في ذلك فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

(١) انظر: قصة محاولة اغتيال النبي في: المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي، (٣٥٧/٥، ٣٥٨)، (ح ٩٧٣٢، ٩٧٣٣)، منشورات المجلس العلمي. انظر: فقه السنة، د.محمد
سعيد البوطي، ص ٢٠٢، الطبعة السابعة، بدون تاريخ.

(٢) انظر: القصة فتح الباري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرأ، (٣٠٤/٧، ٣٠٥)، (ح ٣٤٨٣).

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٣، العدد ٢، ص ٨١.

[البقرة: ١٧٧] . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] وإن هذه النصوص كلها تثبت أن المؤمن لا يكون له صفة الإيمان إلا إذا آمن بوجود الملائكة وأن ذلك جزء من العقيدة الإسلامية فهي كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن من يكفر بالملائكة يكفر بالرسالة المحمدية^(١). ويعتبر الإمام أبو زهرة أيضًا أن الإيمان بالرسول وما أنزل عليهم من كتب هو جزء من العقيدة؛ لأن الإسلام فيه خلاصة الأديان؛ ولأن دين السماء واحد، وإن كان اختلاف في بعض الجزئيات التي لا تمس الجوهر، وقد قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] . وإذا كان دين السماء واحدًا فهو لا يتجزأ فلا يصح أن يؤمن ببعض الرسالات السماوية ونكفر ببعض^(٢) .

وعلى ذلك فإن الإيمان بالملائكة والرسول والكتب جزء من العقيدة، والكفر بها كفر بالعقيدة الإسلامية وقد بين أهمية ذلك الإمام أبو زهرة -رحمه الله- خلال تفسيره، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قال رحمه الله: " وبهذا النص يبين سبحانه معنى الإيمان الجامع من حيث الاعتقاد؛ وذلك الإيمان يتضمن الإيمان بالله تعالى أولاً، ثم بملائكته وهم وسائط التبليغ لمن يختارهم لرسالته من خلقه، ثم بكتبه وهي سجل شرائعه التي تنزل من السماء، ورسله وهم المصطفون الأخيار من البشر الذين اختيروا لتبليغ ما اشتملت عليه الكتب فهذا تدرج قويم، فابتدأ بالإيمان بالله المنعم بكل شيء في هذا الوجود؛ ثم ثنى بالملائكة الأطهار وهم غيب لا يرى ولا نعرف شيئاً عنهم إلا بالإخبار منه سبحانه، وهو الذي أمرنا بالإيمان بهم، فالإيمان بهم نوع من الإيمان بالله سبحانه.

وكذلك الكتب والرسول وقد يقال: لماذا ذكر الإيمان بهؤلاء بجوار الإيمان بالله تعالى؟ والجواب عن ذلك أن بعض المنحرفين من أهل الأديان السابقين كانوا يذكرون بغير الخير، وبالعداوة لبعض الملائكة كجبريل الأمين، فبين سبحانه أن الملائكة جميعاً من غير استثناء يجب الإيمان بهم، والإذعان لكل ما ينزلون به من رسالات ربهم.

(١) الإسلام اليوم وغداً، ص ٢١١، ٢١٢.

(٢) انظر: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص ٥٩، وما بعدها . والإسلام اليوم وغداً، ص ٢٣، (بتصرف).

وكذلك الكتب السابقة والنبيون السابقون فمن بني إسرائيل من قتلوا بعض النبيين، وكفروا ببعضهم وحرضوا على قتله، فبين سبحانه وجوب الإيمان بكل الرسل من غير استثناء؛ لأنهم المبلغون للناس رسالات الله، وفوق ذلك فإن هذا الذكر المفصل يفيد اشتراك المؤمنين جميعاً في عناصر الإيمان، وأن الإسلام امتداد لسائر الأديان المنزلة وهو الخطوة الأخيرة في شرائع السماء إلى الأرض وأن من يؤمن بالإسلام يؤمن بكل الأديان والشرائع التي أنزلت على الرسل غير محرفة ولا مبدلة...^(١).

ويتضح بالمثال أن الإمام أبا زهرة ربط الإيمان بالله -ﷻ- بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل لأن الإيمان بهم جزء من العقيدة الإسلامية؛ ولأن الإيمان بهم إيمان بالغيب والإيمان بالغيب إيمان بالإسلام ومن يؤمن بالإسلام يؤمن بكل الأديان والشرائع السماوية.

(٢) وجود الشيطان:

وجود الشيطان حقيقة يقر بها الإمام أبو زهرة من خلال آخر حديث له قبل وفاته في مقالة بعنوان (وجود الشيطان اختبار لإرادة الإنسان) حيث قال: "...من ينكر الشيطان فهو ينكر نفسه، ومن يعتقد بوجود الشيطان فهو يزكي نفسه، وإن الذين ينكرون وجود الشياطين من عبدة الشياطين، فلا ينكر هذه الحقيقة إلا الذين يجترعون الأثام اجتراعاً ويعبؤون منها عباء، يحسبونه مباحاً فهم إخوان الشياطين"^(٢).

ويتضح من كلام الإمام أبي زهرة أن وجود الشيطان حقيقة مسلم بها ولا يجوز إنكارها؛ لأن من ينكر وجود الشيطان فكأنما أنكر نفسه ومن آمن بوجوده فهو يزكي نفسه، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] قال رحمه الله: "ومعنى الإعادة أن تكون في ملجأ من الله تعالى يستعصمها من الشيطان؛ وذلك لأن التعوذ بالالتجاء فمعنى أعوذ بالله ألاجأ إليه وأتخذ منه معاذاً، ومعنى أعذته بالله من الشيطان جعلت الله تعالى معاذاً له منه، وهذه الإعادة

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٧، ص ٣٩٥.

(٢) مجلة الهلال، مقالة بعنوان: (الشيطان. حوار مع علماء الفكر الإسلامي)، السنة ٨٢، العدد ٥، ص

٧١، مايو ١٩٧٤م، ربيع آخر، ١٣٩٤هـ.

كانت دعاء من الله تعالى، فكان هذا الدعاء عبادة أخرى وهكذا اقترنت ولادة مريم وحملها من قبل بعبادات متضافرة متواليمة مستمرة، وضراعة تدل على خلاص النفس وإسلام الوجه لله تعالى.

والشيطان ما يوسوس في النفس وهو يجري من الإنسان مجرى الدم، والرجيم أي المطرود المنبوذ من رحمة الله من وقت قال رب البرية ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥] وإن الله تعالى عصم بهذا الدعاء مريم وابنها من أن يمسهما الشيطان^(١).

يتضح من المثال السابق اقرار الإمام أبي زهرة بوجود الشيطان الذي يجري من الإنسان مجرى الدم وبين أن هذا الشيطان مطرود من رحمة الله إلى يوم الدين بسبب عصيانه وتكبره وأن هذا الشيطان يمسه الإنسان وقد استثنى من البشر مريم وابنها.

(٣) الحياة الآخرة:

يؤمن الإمام أبو زهرة بأن الحياة الآخرة هي دار النعيم، أو العذاب الأليم، والنعيم للذين أحسنوا في الدنيا وأخلصوا، والجحيم للكافرين الذين كفروا بالله ورسله، وبينهما عصاة المؤمنين الذين يحاسبون بما يفعلون، ويعاقبون بمثل ما ارتكبوا بالعدل^(٢).
وقد بين الإمام -رحمه الله- عدل الله -عز وجل- في عقاب المنافقين جزاءً بما كسبوا من خلال تفسيره، مثال ذلك:

أ . عند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤] قال: ".إن اليقين باليوم الآخر خلة المؤمن الدافعة إلى الخير، والتي تجعله يتحمل متاعب هذه الحياة راجياً ما وراءها فإن فقد الإيمان باليوم الآخر ينسى الإنسان نفسه، فيعتقد أن هذه الحياة هي وحدها الحياة ولا حياة بعدها، ويحسب أنه خلق عبثاً ولذا قال سبحانه: ﴿زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي حسن الله لهم أعمالهم فحسبوا وحدها الخير، ولا يحسبون أن أعمالهم كلهم زينة وأمر حسن فهم دائماً ممن زين لهم أعمالهم فرأوه حسناً.."^(٣).

ب . وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٩، العدد ٧، ص ٤١٠، ٤١١.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص ٦٤ (بتصرف).

(٣) زهرة التفاسير، [النمل: ٤]

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَالَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
[المائدة: ٤١] قال رحمه الله: "هؤلاء هم الذين فتنوا في دنياهم بوقوعهم مختارين في
بلائهم فأولئك المنافقون والذين هادوا لهم بسبب ما وصفوا خزفي في الدنيا وعذاب عظيم
في الآخرة، يبلغ من الإيلام والأذى ما لا يدرك كنهه ولا يعرف حقيقته إلا رب العالمين،
وما أعطانا من علم في كتابه الحكيم، وعلى لسان رسوله الأمين" (١).

يتضح من المثالين السابقين ضرورة الإيمان باليوم الآخر؛ لأنه يدفع الإنسان إلى
اجتناب المعاصي وتحمل متاعب الحياة؛ وذلك لما فيه من ترغيب بالجنة وترهيب من
عذاب النار، ولولا هذا اليوم لما كان للحياة معنى، وعذاب الآخرة عظيم، واليوم الآخر بما
فيه هو من الغيبات التي لا يدركها البشر ولا يدركها إلا رب العالمين.

(٤) الإيمان بوجود الجن:

الجن من القوى الغيبية التي يجب الإيمان بوجودها، والإيمان بالجن نوع من
الإيمان بالغيب والإيمان بالغيب هو الذي يفصل ما بين المؤمنين، والماديين الذين لا
يؤمنون إلا بالحس وحده.

وقد بين الإمام أبو زهرة رحمه الله - أن الإيمان بالجن ضرورة، وأن الجن
يحاسب كما يحاسب الإنس في الآخرة، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨]
قال: "هذا النص يفيد أولاً أن الكفر كله ملة واحدة لا تفريق بينها فالباطل قد جمعه
والعقاب قد وحده.

وفيد ثانياً: أنه يتسلل من الأجيال جيلاً بعد جيل، وبعد تفرقهم في الأجيال تجدهم
قد التقوا في النار جميعاً... فإذا كانت هذه الأجيال والأمم في الإنس والجن فإنها تدخل النار
جميعاً يلحق التابع المتبوع، وقد جمعهم الشرك بالله تعالى ووجد فيهم العقاب، ولذا يقول
رب العالمين يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي مضت من الإنس
والجن، والنار متسعة للجميع.

(ومن) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ بيانية لبيان شمولها الضالين من

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ١١، ص ٦٦٥.

الجنسين الجن والإنس الذين أضلهم»^(١) .

ويتضح من المثال السابق أن الإمام يرى ضرورة الإيمان بوجود الجن، ويعتبر أن الجن منه مؤمن ومنه كافر وإن أشرك الجن بالله -عَزَّوَجَلَّ- فإن النار متسعة له يحاسب ويعاقب مثل الإنس تمامًا.

خلاصة القول: يتضح أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- نهج منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالغيب مثل الإيمان بالملائكة، والنبیین، والكتب السماوية، واليوم الآخر، ووجود الجن والشياطين، أي الإيمان بالعالم الآخر، وهذا المنهج لم يحد عنه وهو منهج سليم فجزاه الله خير الجزاء.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٩، العدد ممتاز، ص ٦٠٥.

المبحث الرابع عرضه لعقيدة اليهود والنصارى ومناقشته لهما

اعتنى الإمام أبو زهرة بالحديث عن اليهود عنايةً واضحةً وقد ظهر ذلك جلياً في تفسيره للقرآن الكريم فما مر على أية فيها ذكر لليهود إلا ووقف ليحللها ويفسرها موضعاً فساد أخلاقهم وقلوبهم، وسوء طباعهم، وجبنهم، وحملهم العداوة والكرهية لغيرهم، وشدتهم على الضعفاء، وتحريفهم للعقائد، ولم يكتف - رحمه الله - بالحديث عنهم في التفسير فقط بل كان له مقالات (١) تكلم من خلالها عن تحديدهم للمسلمين ونشرهم للفساد في العالم وفي مقالة له بعنوان (اليهود...اليهود) قال: "إن اليهود هم خلفاء إبليس في هذه الأرض، وهم أدوات التي يستخدمها لإغواء البشر، وهم الطغمة التي يتخذ منهم أعوانه، وحزبه، يحادون أهل الخير ودعاته، وإنهم في كل بلد دخلاء فيه لا ينتمون إليه، ولا يتخذون جنسيته، بل لهم رباط يربطهم، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين" (٢) وتكلم كذلك عن النصارى ومعتقداتهم تفسيره، وله كتاب (محاضرات في النصرانية) عرض فيه عقيدة النصارى بشكل مفصل وواضح.

أولاً: عرضه لعقيدة اليهود ومناقشته لهم:

عرض الإمام أبو زهرة عقيدة اليهود عرضاً يتسم بالموضوعية وناقشهم ورد عليهم فيما ادعوه ذاكراً تجنيهم على دينهم وتحريفهم له ناقلاً النصوص من التوراة، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) التوحيد عند اليهود:

إن عقائد اليهود في توحيد الإله تختلف عن عقيدة المسلمين فهم لا ينفون مشابهة الحوادث لرب العالمين بل يشبهونه بصفات حسية سيئة لا يتصف بها الإنسان السوي فكيف يصفون رب العالمين بها تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

(١) مقالة بعنوان (اليهود...اليهود) محمد أبو زهرة، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٩، ص ٥٤٣.

ومقالة بعنوان (اليهود في القرآن) محمد أبو زهرة، مجلة المسلمون الصادرة من الأردن، السنة ٣، العدد ٣، ص ٢٣٢. والحلقة الثانية من هذا الموضوع في السنة الثالثة، العدد ٤، ص ٣٣٤.

(٢) مقالة (اليهود...اليهود) ص ٥٤٤.

أ . وصف اليهود لله عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبخل:

وضح الإمام أبو زهرة التوحيد عند اليهود لله عَلَيْهِ السَّلَامُ - من خلال آيات الله، كما بين وصفهم له، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] قال رحمه الله: "أصل الغل توسط الشيء وتدرعه، والغل ما يقيد به الشيء، ويجعل الأطراف وسطه، وقيل للبخل هو مغلول اليدين، ومن ذلك ما حكاه الله عَلَيْهِ السَّلَامُ - عن اليهود أنهم قالوا (يد الله مغلولة) وهي تحتل عدة معان متلاقية في مؤداها، وإن اختلفت فيما يقرر سبب قولهم لعنهم الله، فقد قيل إنهم لما علموا أن كل شيء مقدر بقدر، وأنه سبحانه وتعالى قضى كل شيء فقدره تقديرا تهجموا بهذا القول غير الكريم فقالوا إن يد الله مغلولة، أي في حكم المقيدة، وقيل إنهم يرون المؤمنين الصادق إيمانهم في غير ثروة وهم يعتمدون على الله، فقالوا مقالتهم، وقيل إنهم بسبب كفرهم وإيذائهم للمؤمنين وتغيير الأحوال قتر عليهم في الرزق، فلم ينسبوا ذلك إلى أسباب واقعة بل قالوا مقالتهم في شأن ربهم ... والذي نراه أن اليهود في هلع دائم وطمع، وحسبوا أن الفقر لن ينالهم أبداً، فإن أعطوا خيراً نسبوه لأنفسهم، وحيالتهم وعملهم، وإن لم يعطوا اتهموا ربهم، وذلك شأن غير المذعنين لله المؤمنين به الذين يعلمون أنه يعطي ويمنع، ويعز ويذل بحكمة وتقدير" (١).

وكما هو واضح بالمثل وكما قال - رحمه الله - إن معاني الغل متلاقية وإن اختلفت الأسباب فإن قول اليهود يبين اتهامهم لله عَلَيْهِ السَّلَامُ - بالبخل وعدم العطاء وهذه صفات لا يتصف بها رب العالمين؛ لأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء ويقدر ما يشاء وهم لم يؤمنوا بذلك فإن أعطاهم الله نسبوا ذلك لأنفسهم وإن لم يعطوا اتهموا ربهم بصفات سيئة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ب . عبادة العجل:

أكد الإمام أبو زهرة على أن التوحيد في الديانات السماوية هو توحيد خالص لله عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأن الله رب البشر جميعاً، كما أنه رد على اليهود عبادتهم للعجل، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرَيْتَهُ ثُمَّ لَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧] قال رحمه الله: "أمره موسى أن ينظر إليه لبيان أنه ليس

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ١٠، ص ٥٨٨.

شيئاً يعبد، فإن المعبود باق يدوم ولا يُفنى وأمر بالنظر إليه مع التعبير بأنه إله الذي يعبدته تهكم به، وبمن اتخذه إلهاً... بين الله سبحانه بعد أن كشف موسى لبني إسرائيل بطلان عبادتهم تمثال العجل الذي عبده، وما نزل بمن ابتدع عبادته، وقال ذلك التمثيل، أخذ يبين المعبود الحق والإله الذي توافرت فيه أسباب الألوهية مخاطباً الناس أجمعين قريشاً وغيرهم من الخليقة وبني إسرائيل وسواهم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ [طه: ٩٨] (١).

ويتضح رد الإمام أبي زهرة على عبادة اليهود للعجل ، مؤكداً للناس أجمعين اليهود وغيرهم أن الإله الحق هو الله.

(٢) تحريف التوراة:

التوراة كتاب سماوي أنزله الله -عز وجل- على نبيه موسى -عليه السلام- ولكن اليهود امتدت أيديهم إلى التوراة ليحرفوها ويغيروا في عقائدها.

والإمام أبو زهرة كان أثناء تعرضه للحديث عن اليهود وأحقادهم كان يعرض الدين الحقيقي الذي نزل على موسى -عليه السلام- ويبين التحريف في ذلك، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] قال طيب الله ثراه: "يحرّفون الكلم عن مواضعه) أي يحيلون بالكلام عن الموضوع الذي نزل فيه ولأجله، والمعنى المقصود منه إلى طرف بعيد عن لبه، وعن معناه، فالحرف للشيء طرفه الذي يبعد عن قلبه وعن قطبه الذي يدور حوله والتحريف كما جاء في عبارات المفسرين قسماً:

- ١- قسم يغيرون به معاني الكتاب فيتجهون بها إلى أمور ربما يحتملها الكلام؛ ولكن لا يحتملها إلا على بعد من موضوعها، كبعد طرف الشيء عن قطبه.
- ٢- وقسم آخر يغير ذات الكلام بزيادة ألفاظ فيه تذهب بأصل المعنى أو بحذف ألفاظ يذهب بالمقصد من القول.

وقد كان من اليهود القسمان، فهم غيروا معاني الكتاب الذي أنزل، وأبعده عن معانيه التي قصدت من سوقه، وأريدت من شرعه، وهم غيروا وبدلوا في عباراته حتى تذهب تكاليف الكتاب وتطمس معالم أحكامه، ومن ذلك مثلاً: أنه جاء في كتبهم تحريم الربا بمثل هذا الكلام (أخاك لا تقرض بالربا) فزادوا كلمة الإسرائيلي: (أخاك الإسرائيلي

(١) زهرة التفسير، [طه: ٩٧] .

لا تقرض بالربا) وبذلك تغير المعنى تغيراً جوهرياً، والكلم المراد بها الكلام فهو اسم جمع يدل على الجمع بحذف التاء، كشجر وشجرة، وتمر وتمرّة وجاء قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ثمرة لفسوة قلوبهم والطرّد بالضلال، وذلك لأنهم لما ضلوا وفسدت قلوبهم واختلط فيها الزيف بالجوهر حتى غلب الزيف، وماتت ضمائرهم، وصاروا كذابين يكذبون على الله تعالى وعلى الناس، فيغيرون معاني التنزيل، ويزيدون فيه وينقصون على هواهم وشهواتهم وارتكبوا بهتاناً عظيماً^(١).

ويتضح من المثال السابق أن اليهود حرفوا التوراة فأسقطوا عن أنفسهم تكاليف شرعها الله لهم وكذبوا على الله وغيروا معاني التنزيل وادعوا أنه من الله وهم كاذبون ودلل الإمام -رحمه الله- على تحريفهم للكتاب من خلال مثال جاء به من التوراة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الموضوعية في الكتابة واستنقاء المعلومة من مصادرها الأصلية حتى يبني الحكم على أساس سليم.

ثانياً: عرضه لعقيدة النصارى ومناقشته لهم:

إن جهد الإمام أبي زهرة جهداً موفق في عرضه لعقائد النصارى فلم يكتف - رحمه الله- بالحديث عنهم بل كان يستدل بالقرآن والسنة، وأقوال المفسرين، وكان يناقشهم في عقائدهم ويحق الحق ويبطل الباطل، ومما يدل أيضاً أنه كان موضوعياً في عرضه لعقيدة النصارى أنه كان ينقل عن كتبهم التي سجلوها في تاريخهم محاولاً بكل جهوده الوصول إلى الحق.

ولعل ذلك يتضح من خلال عرض أمثلة من تفسيره منها:

(١) عقيدة تأليه المسيح:

يعتقد المسيحيون أن عيسى -عليه السلام- إله، وقد بحث الإمام أبو زهرة في المجامع المسيحية المقدسة عندهم ورأى أن سببها الأساس هو اختلاف المسيحيين في شخص المسيح وقد انتقل هذا الرأي بالتدرج بين البشر إلى أن انتهى بتأليهه وربوبيته وتكوين الثالوث، مثال ذلك:

أ. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ١٧] قال رحمه الله: "لقد اتفق النصارى على أن يسوع عندهم فيه عنصر

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٨، ص ٥٤١.

إلهي، وفي عصور الإسلام الأولى كان النسطوريون^(١) منهم يقولون إن المسيح ليس ابن الله تعالى في الألوهية، ولكنها بنوة النعمة وقد ذهب هذه الفرقة في عبر التاريخ أو تكاد، فلا تكاد تسمع ذلك الصوت الآن إلا عند بعض الموحدين الذين ظهروا بين طائفة البروتستانت^(٢)، ولكنهم عدد نادر، ولا يُعترف بهم على أنهم نصارى.

وإذا كان الأمر المعروف عندهم أن يسوع ابن الله، وفيه عنصر إلهي، فقد قالوا أن الألوهية قد حلت فيه، ولازم ذلك القول أن يكون هو الله، أو هو إله يعبد ومهما يكن فقد قالوا باتحاد عنصر الألوهية فيه، وقد قال في ذلك البيضاوي: (هم الذين قالوا بالاتحاد منهم)^(٣).

وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكنهم لما زعموا أن فيه لاهوتاً، وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم؛ وذلك بلا ريب ينتهي إلى القول بأنهم يعتقدون أن المسيح هو الله، وإن لم يصرحوا بذلك، فهو لازم قولهم باتحاد عنصر الألوهية فيه مع الله.

وإن ذلك الكلام تخريج على أن النصارى مذهب واحد في اعتقاد الألوهية، وأنه ابن الله، وبذلك يكون قوله تعالى في هذه السورة سورة المائدة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ إِلَهًا ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] متعلقاً مع هذا النص الكريم، فهنا صرح بلزم قولهم، وهنالك صرح بذات قولهم... وذكر الله - ﷻ - الأخبار عن المسيح بأنه الله، لأن فيه إشارة واضحة إلى بطلان العقيدة، لأن المسيح ولد، ورؤي يتحدث مع الناس، وأكل وشرب، وقتل وصلب في زعمهم، فكيف يكون هو الله تعالى والحقيقة أن فكرة ألوهية المسيح عليه السلام ما سادت الفكر النصراني إلا في عهد قسطنطين^(٤)، وقيل ذلك كان الأكثرون

(١) النسطوريون: هم فرقة من فرق النصارى وهي نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية كان يرى أن مريم لم تلد إلهاً بل ولدت الإنسان فقط، ولم يكن فيه عنصر إلهي قط ولم يكن إلهاً ولا ابن إله. انظر: محاضرات في النصرانية، الإمام أبو زهرة، ص ١٤٤، دار الفكر العربي.

(٢) البروستانت: فرقة نصرانية وهي فرقة غربية خرجت عن الكنيسة الكاثوليكية واعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي وسميت (بالبروتستانت)؛ لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالإنجليزية (برتستنت) فسمي الذين أمضوا القرار (بروتستنت) أي المحتجين. المرجع السابق، ص ١٥٣، (بتصرف).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص ١٣٩.

(٤) قسطنطين: قسطنطين الأول (الكبير) ابن قسطنش الأول، والقديسة هيلانة، ولد ٢٨٨-توفي ٣٣٧م مال إلى المسيحية واستمر اهتمامه بالمسيحية ولم يُعمد إلا وهو على فراش الموت، دعا في سنة ٣٢٥م=

موحدين، ولكن وجد بجوارهم من بقايا الفلاسفة الأفلاطونية الحديثة^(١) من زعم أن القوى المسيطرة على الوجود ثلاثة، ولننقل إليك ما قاله ابن البطريق المسيحي في كتابه عن (تاريخ البطارقة) قال في مجمع نيقية الذي أعلن ألوهية المسيح ما نصه: (كتب الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطارقة والأساقفة^(٢)، فاجتمع في مدينة نيقية^(٣) ثمانية وأربعون ألفان من الأساقفة، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البربرانية^(٤)، ويسمون (المزيميين) ومنهم من يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية، ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزان، لأن الكلمة دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهي مقالة اليان وأشياعه، ومنهم من يقول إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وإن ابتداء الابن من مريم، وأنه مصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الأنسي صحبتبه النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشينة ولذلك سمي ابن الله، ويقولون إن الله جوهر قديم واحد واقتوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يسمونه الكلمة، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريك أنطاكية وأشياعه، ومنهم من يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقالة مرقيون اللعين وأصحابه وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين وأنكروا بطرس، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً^(٥)، وذكر فكرة أرتوس^(١)، وكانت شائعة

= إلى مجمع نيقية المشهور إلى الانعقاد وبهذا أوجد فكرة المجمع الدينية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٣٧٩/٢، ١٣٨٠) دار نهضة لبنان، ١٩٨٠م.

(١) الأفلاطونية الحديثة: هي مذهب أفلوطين وأتباعه، وأساسه القول بالواحد الذي صدرت عنه الكثرة وفيه نزعة صوفية تمزج الفلسفة بالدين، ويمتاز بنزعه التوفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة مع الاعتداد بأفلاطون خاصة. المعجم الفلسفي، ص ١٨، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٩م.

(٢) البطارقة والأساقفة: البطرك والبطريرك والبطريرك جمع بطارقة وبطاريك رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية. المنجد، ص ٤١.

(٣) نيقية: مدينة من أعمال اسطنبول على البر الشرقي وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية. انظر: معجم البلدان، (٣٣٣/٥).

(٤) البربرانية: فرقة نصرانية كانت تقول أن المسيح وأمه إلهان، انظر: محاضرات في النصرانية ص ١٤١.

(٥) محاضرات في النصرانية، ص ١١٤، ١١٥.

وهي إنكار ألوهية المسيح، والإيمان بالوحدانية اختار قسطنطين من ٢٠٤٨ عدد ٣١٨ الذين قالوا بألوهية المسيح، وبذلك ساد القول بسلطان قسطنطين.

وإن ذلك القول بلا ريب باطل، فانه سبحانه وتعالى هو الخالق، وهو الذي يحيي ويميت، وقد أمر الله نبيه بالرد عليهم بأمر محسوس ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

يتضح مما سبق تمكن الإمام أبي زهرة من علم الأديان، ومعرفته الدقيقة بعقيدة النصارى وفرقهم، وما تدعيه كل فرقة ويأتي بالدليل من كتب التفسير ومن كتب تاريخ النصارى وتوصل إلى نتيجة أن عقيدة المسيح هي عقيدة التوحيد ولكن النصارى غيروا وبدلوا في معتقداتهم وكثرة آرائهم حول الألوهية إلى أن وصلوا إلى أن المسيح إله وقد ناقشهم الإمام في ذلك ورد عليهم ويرجع السبب في قولهم هذا هو اختلافهم في شخص المسيح فأدى بهم الحال إلى تأليهه، وقد قرر الإمام في النهاية أن الألوهية لله -عز وجل- وأنه الخالق للمسيح وأمه فكيف يكون إلهًا. وهذا العرض للإمام أبي زهرة في غاية الموضوعية وهي دأب الباحث المستنير.

(٢) عقيدة التثليث:

التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم^(٣) عقيدة عند النصارى، يقصد بها أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم وهي: الله الأب، الله الابن، والله روح القدس وهي عناصر متلازمة لذات الخالق^(٤).

وقد بين الإمام أبو زهرة موقفه من هذه العقيدة في تفسيره، مثال ذلك: عند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] قال رحمه الله: "إذا كانت تلك حقيقة المسيح وليس بابن إله، فأمنوا بالله وحده لا شريك له في العبادة، ولا في السلطان وليس معه ثان ولا ثالث، وليس بوالد ولا ولد، وأمنوا بالرسالة

(١) أرتوس: قسيس مصري من رهبان كنيسة الاسكندرية وهو من أنكر ألوهية المسيح ودعى إلى

التوحيد . انظر محاضرات في النصرانية ص ١٣٨.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ١١، ص ٦٦٨، ٦٦٩.

(٣) الأقانيم: الأصول واحدها أقنوم. لسان العرب، مادة (قنم)، (٣٧٥٨/٤).

(٤) محاضرات في النصرانية، ص ٩١.

الإلهية وآمنوا بالرسول الذين سبقوا عيسى والرسول الذي جاء من بعده، ولا تكفروا بأحد منهم، ولا تغالوا فتقولوا ثلاثة، ولذا قال سبحانه (ولا تقولوا ثلاثة) وعبر سبحانه وتعالى بقوله: (ولا تقولوا ثلاثة) بدل قوله ولا تؤمنن بثلاثة أو لا تصدقوا بثلاثة، وحتى تزعموا ثلاثة لأن أمر الثلاثة قول يقولونه، فإن سألتهم عن معناه قالوا مرة الأب، والابن، وروح القدس أي أنهم ثلاثة متفرقون، ومرة يقولون ثلاثة أقانيم، والذات واحدة، فإن أردت تفسيراً لمعنى الثالث، قالوا كلاماً لا يمكن أن تقبله العقول المستقيمة.

وإن الدارس لتاريخ النصرانية من غير تحيز لهذه الأوهام أو متحيز عليها يرى أنها في ابتدائها ديانة توحيد خالص، وأنه ما كانت ألوهية المسيح عندهم رائجة ولا يعتقها الأكثرون، بل كان الأكثرون على أن الله إله واحد ليس له ولد ولا والد واستمر الحال كذلك إلى أن أراد قسطنطين أن يدخل المسيحية وقد كان وثنياً، ولكنه أراد أن يدخلها بعد أن يحرفها فعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، وقد ادعى أن انعقاده للرد على أرتوس الذي أنكر ألوهية المسيح... وبذلك قالوا ثلاثة، وبتوالي العصور وإخفات صوت المخالفين، وتقرير التثليث وتثبيتته سيطرت الأوهام، واستقر الأمر على ثلاثة^(١).

وهذا المثال الذي استدللت به الباحثة على عقيدة التثليث عند النصارى له علاقة بالمثال السابق إذ إن المثاليين السابقين ذات موضوع واحد وهو الألوهية عند النصارى، وفي هذا المثال نجدهم يقولون بالتثليث في الألوهية وهو: الأب، والابن، وروح القدس ويعتبرون المسيح إلهاً.

وقد توصل الإمام -رحمه الله- إلى أن عقيدة التثليث عندهم لا تستند إلى أساس عقلي فهم يبذلون جهداً للربط بينهم إلا أنهم يقولون كلاماً لا يمكن أن تقبله العقول المستقيمة.

والفطرة السليمة تقرر أن إله الكون ليس بوالد ولا ولد ولا شريك له في الملك ولا العبادة ولا يشابهه أحد من خلقه وهذا هو عين التوحيد الخالص.

(٣) عقيدة صلب المسيح وفداء الخليقة:

يعتقد المسيحيون أن عيسى -عليه السلام- صلب، والقرآن الكريم يرد على قولهم بأنه لم يقتل ولم يصلب بل إنه شبه لهم وأن الله رفعه إلى السماء، وصلب مكانه يهوذا الخائن، وفي المثال التالي تفصيل هذه المسألة بوضوح:

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٩، ص ٥٢١، ٥٢٢.

يقول **وَعَجَلٌ**: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] قال عليه رحمة الله عند تفسيره لهذه الآية: "وما قتلوه فيما ذهبت روحه عليه السلام بقتل انزلوه ، وما كان صلب لأنه لم يكن قتل، ولكن شبه الأمر عليهم ، فظنوا المقتول المصلوب هو المسيح ، وما كان هو بل كان المصلوب المقتول غيره فخيّل إليهم أنه قتل وصلب وما كان كذلك .

وقد يسأل سائل لماذا ذكر نفي الصلب بعد نفي القتل مع أن نفي القتل يقتضي ألا يكون صلب؛ لأن الصلب لا يكون إلا لمقتول، والجواب عن ذلك : أن هذا تأكيد في النفي، ولأن النصارى واليهود يدعون أنه صلب فلا بد من النص في نفي الصلب، ليكون ردًا على هذه الدعوى، ولو اقتصر على نفي القتل ما كان التصريح برد الدعوى، ورد دعاوي لا يكفي فيه ما تضمن عن التصريح، ولو نفي الصلب فقط ما اقتضى نفي القتل، فكان النسق البليغ مقتضياً نفيهما معاً.

وقد نسب القتل المنفي إليهم مع أن التاريخ والأناجيل تثبت أن القتل المنفي والصلب كان من حاكم الرومان ولكن بتحريض اليهود وذلك لأنهم هم الذين ألحوا في طلب القتل حتى إن الروماني يلقي عليهم تبعه قتله، والمحرض قاتل، والشاهد الكاذب قاتل، وكل متسبب يعد قاتلاً، وهؤلاء قاموا بكل ذلك ، فقد دبروا شهادات الزور، وحرضوا وتسببوا فكانوا بهذا قاتلين كفعل الجبناء، ولكن الله تعالى أنقذه منهم ومن الرومان معاً.

والتشبيه لهم بأن خلق الله تعالى شبهه على أحد الذين خانوه، ودبروا القتل، وقد جاء ذلك في إنجيل (برنابا) الذي عثر عليه في خزانة أحد البابوات في آخر القرن الخامس عشر فقد جاء في هذا الإنجيل الذي لا يوجد ما يدل على أنه ليس في قوة أناجيلهم أن يهوذا الاسخريوطي الذي كان عيناً على السيد المسيح -**السَّلْبِ**- قد ألقى الله تعالى عليه شكل السيد المسيح فقبض عليه على أنه هو فقد قال برنابا ^(١) في هذا: (الحق أقول أن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع معتقدين أن بيسوع كان نبياً كاذباً، وإنما

(١) برنابا: قديس مسيحي، وركن من الأركان التي قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى، وقد وجدوا إنجيل باسمه يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى إليه والتقرب منه. انظر: محاضرات في النصرانية، ص ٥٥.

الآيات التي فعلها بصناعة السحر، لأن يسوع قال انه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم) ثم بين أن يسوع رفع إلى السماء، ولما علم أن بعض المتبعين ضلوا، طلب إلى الله تعالى أن ينزله إلى الأرض فنزل بعد ثلاثة أيام. ويقول برنابا: (ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلاً: أتُحسبونني أنا والله كاذبين بالله، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم، كما قد قلت لكم، الحق أقول لكم إنني لم أمت بل يهوذا الخائن احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتوها)^(١).

ومن هذا يتبين معنى أنه خيل لهم أنهم قتلوه، وما قتلوه، وإنهم قد اعتراهم الشك من بعد ذلك في أمره، ولذلك قال تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ قال: "أكد الله سبحانه وتعالى نفي السيد المسيح الذي حاوله اليهود فقال تعالى: (وما قتلوه يقيناً) وهنا تأويلان لكلمة يقيناً:

التأويل الأول: أنها وصف لمحذوف، والمعنى وقاتلوه قتلًا قد استيقنوا به وتأكدوه، وهذا فيه ترشيح للاختلاف والشك الذي اعتراهم.

التأويل الثاني: أنها تأكيد للنفي والمعنى وما قتلوه حقاً وصدقاً، فاليقين على النفي أي أن نفي كونه قتل أمر مستيقن مؤكد، وليس ظناً كظنكم، ولا وهماً كوهمكم.

وقوله تعالى: (بل رفعه الله إليه) اضراب بياني فيه رد لزعهم القتل، والمعنى بل إنه لم يقتل، وأن الله رفعه إليه وظاهر القول أن الرفع كان بجسده وروحه، لا بروحه فقط وبهذا جاء التفسير المأثور، وعليه أكثر المفسرين، وأيدته السنة، وإن كانت أخبار آحاد وقد فسر بعض العلماء الرفع بأنه رفع الروح، وأخذوا ذلك من قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فبمقتضى النسق الظاهر يكون الرفع عقب الوفاة...وهنا نريد أن نشير إلى موقف الإسلام ومن يقولون أنهم نصارى من المسيح -عليه السلام- هم يقولون أنه قتل وصلب ليظهر الخليفة من ذنب أبيهم آدم، وإن الله اختار ابنه ليكون فداء وأما الإسلام فإنه يقول إن الله نجاه ورفعته إلى المنازل العليا.

ولا نريد أن نقول إنهم يرمون الله تعالى بالجهل إذ سكت أزماناً طويلة حتى بدا له أن يجعل ابنه فداء، ولا نريد أن نقول إن العنصر الإلهي كيف حل في مريم البتول،

(١) انجيل برنابا دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد ﷺ، تحقيق: سيف الله أحمد

ولا نريد أن نقول أن الله عفا عن آدم، وإن لم يعف فإن العقاب يكون عليه ولا يكون على غيره ولا نريد أن نقول إن هذا كله مخالف لكل معقول، ولكن نقول كيف يتصور أن يكون الفداء للخليفة بإنزال ابنه إلى الأرض ليقبله بعض ذرية آدم الذي عصى، إن المعقول أن يكون قد أضافوا إلى قولهم جريمة أخرى هي قتل ابن الله، بل إنها جريمة أشد وأنكى، وإذا قيل لهم ذلك القول قالوا إن الدين له منطق غير منطق العقل ولكن عيسى ابن مريم الحق فيه ما قاله القرآن ولكنهم يمترون^(١).

وهذا المثال بين فيه الإمام بوضوح حقيقة صلب المسيح وقلته وبين أن الذي قتل ليس عيسى عليه السلام وقد قام بالتحريض على قتله اليهود قتلة الأنبياء والذي قتل هو يهوذا الاسخريوطي الذي خان المسيح فقد ألقى الله عليه شكل المسيح وهذا ما قالوه في إنجيل (برنابا) لكنهم يحيدون عن الحق ويؤكد الله بأنهم لم يقتلوه، ورد زعمهم بأن الله رفعه إليه، وأخذ الإمام -رحمه الله- بظاهر الآية لأنه لم يرد شيء في القرآن ولا في السنة يظهر خلاف ذلك فأخذ بالظاهر بأنه لم يقتل بل رفعه إليه، ودلل على ذلك بأن هذا ما جاء به التفسير بالمأثور وعليه كثير من المفسرين وأيدته السنة ووفق بين هذه الآية والآية الأخرى التي تبين من الظاهر أنها متعارضة وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وبهذه الآية استدلت العلماء على أنها رفع الروح فقط ورد -رحمه الله- بأن مقتضى النسق الظاهر يكون الرفع عقب الوفاة ويقول في كتابه محاضرات في النصرانية: "إن القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف في ذلك، ولا إلى أين ذهب، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه، فلنترك المسألة ونكتفي باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم"^(٢).

ورد عليهم الإمام في مسألة فداء عيسى -عليه السلام- للخليفة من أنه قتل وصلب ليظهر الخليفة من ذنب أبيهم آدم، وأن الله اختار ابنه ليكون فداءً، فهذا مخالف لما يقره القرآن بأن الله نجاه ورفعته إليه وبذلك يتضح ادعاءات النصارى الباطلة في عقيدة صلب المسيح والإمام -رحمه الله- بين الحقيقة بأدلة ومن كتب النصارى أنفسهم، فقد بذل جهداً مشكوراً في الوصول إلى هذه الحقيقة.

وختلاصة القول: سار الإمام أبو زهرة في المسائل العقائدية على نهج السلف في

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٥، ص ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) محاضرات في النصرانية، ص ٢٤.

التوحيد والغيبيات والقضاء والقدر وفي حديثه عن عقائد اليهود والنصارى كان موقفه موقف الباحث الموضوعي الذي لا يهتم إلا الوصول إلى الحقيقة مهما كلفه الأمر. إلا أنه -رحمه الله- لم يرتض مذهبهم في الصفات وأعلن عن اختياره لمذهب التأويل وهو مذهب المتكلمين أي الأشاعرة.

الفصل الخامس

منهجه في تفسير آيات الأحكام

المبحث الأول: منهجه في استنباط الأحكام الفقهية

المبحث الثاني: الجانب الفقهي في تفسير الإمام أبي زهرة.

المطلب الأول: جوانب فقهية من فقه العبادات.

المطلب الثاني: جوانب فقهية من فقه المعاملات.

المطلب الثالث: جوانب فقهية من فقه الأحوال الشخصية.

الفصل الخامس منهجه في تفسير آيات الأحكام

تفسير آيات الأحكام لها عناية خاصة من قبل علماء القرآن الكريم؛ لأن لها ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس ومعاشهم.

والمكتبة الإسلامية زاخرة بكتب تفسير آيات الأحكام، فمنهم من فسر القرآن الكريم كاملاً وأعطى آيات الأحكام اهتماماً بالغاً مثل الإمام القرطبي، ومنهم من اكتفى بآيات الأحكام مثل الإمام الجصاص، والإمام ابن العربي رحمهم الله تعالى. ولم يقتصر الاهتمام على تفسير آيات الأحكام قديماً، بل اهتم العلماء في العصر الحديث بهذا النوع من التفسير مثل كتاب (التحرير والتنوير) لابن عاشور، وكتاب (التفسير المنير) للإمام الزحيلي، وكتاب (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام) للصابوني.

ويعد الإمام أبو زهرة -رحمه الله- من شوامخ الفقه في العصر الحديث وقد اهتم به اهتماماً واضحاً، تارة من خلال كتب الفقه التي ألفها، وتارة من خلال المقالات والفتاوى التي نشرها في مجلة لواء الإسلام، وتارة أخرى من خلال تفسيره للقرآن الكريم.

والإمام -رحمه الله- لم يتخذ مذهباً معيناً، بل استخدم اللامذهبية، واعتبر أن المذاهب جميعها مهمة وضرورية؛ لأنه بها يتميز الطيب من السقيم، وهذا منهج سليم في الفقه أن يستخدم الفقيه جميع المذاهب في الحكم على المسألة وسوف يتضح ذلك من خلال عرض منهجه في استنباط الأحكام.

المبحث الأول منهجه في استنباط الأحكام الفقهية

نهج الإمام أبو زهرة منهجاً واضحاً في تفسيره لآيات الأحكام حيث تميزت منهجيته بالاعتدال وعدم الاستطراد وبيان المصطلحات الفقهية قبل بيان الحكم فيها واستعراضه لأقوال المفسرين والرد عليهم أحياناً. ومن منهجه في استنباط الأحكام الفقهية ما يلي:

أولاً: العرض الموجز في تفسير آيات الأحكام:

لم يكن عرضه طويلاً مملاً ولا قصيراً مخللاً؛ بل كان معتدلاً لا يتعرض للجزئيات ولا يذكر اختلاف الفقهاء في تفسير آيات الأحكام، إلا ما كان له صلة وثيقة بالتفسير، ويستنبط الأحكام من النص، وإن وجد موضوعاً فيه تفاصيل كثيرة أحال القارئ إلى كتب الفقه إن أراد الاستزادة، وأحياناً يذكره في الحاشية، وقد ذكر الإمام أبو زهرة من خلال تفسيره التزامه للتوسط في عرض آيات الأحكام ومن الأمثلة على ذلك:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قال رحمه الله: "وهذه الآيات في بعض أحكام الحج، ولذلك نبين هذه الأحكام، ولا نتعرض للتفريع واختلاف الفقهاء إلا بالقدر الذي يكون تفسيراً لكلماتها، أو يكون مستمداً من ظلالها أو قابساً من نورها"^(١).

(٢) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] خاض الإمام في تفسير قوله (الطلاق مرتان) وعرض الأقوال بالنسبة لطلاق المقترن بالعدد أيكون ثلاثاً أو اثنتين، فنرى الإمام - رحمه الله - أشار إلى هذا الموضوع في الحاشية قائلاً: "الأقوال بالنسبة للطلاق الثلاث بلفظ الثلاث: أولها: قول الأئمة الأربعة أنه يقع الثلاثة وقد اعتمد ذلك الرأي على قول عمر ومن معه من الصحابة"^(٢)

ثانيها: قول بعض الشيعة إن الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث لا يقع به شيء، لأنه بدعه، فهو جاء على خلاف المنهاج الذي سنه القرآن، وسنه النبي - ﷺ - للطلاق، والطلاق إنما ثبت في الحدود الشرعية التي حددها الشرع، وما جاء على خلاف ما حدده فهو باطل مهما يكن العدد.

القول الثالث: أن الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث لا يقع إلا طليقة واحدة، وهذا رأي بعض الشيعة ورأي ابن تيمية وابن القيم وبعض الظاهرية وغيرهم؛ لأن الطلاق الموصوف بالثلاث لا يكون إلا مرة واحدة بنص الآية، وما دام مرة واحدة فهو يقع واحدة"^(١).

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٤، ص ٢٠٦.

(٢) قول عمر في حديث رواه طاووس عن ابن عباس أنه قال: كان الطلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر ﷺ: "إن الناس قد استعجلوا في أمرهم فيه أناة فلو أمضيتم عليهم" صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق ثلاث، (٢/١٠٩٩)، (ح ١٤٧٢).

والمثاليين السابقين يوضحان تبني الإمام أبي زهرة لمنهج الاعتدال في تفسير آيات الأحكام وتفسيره للآيات حسب ما تحتاجه الآيات من بيان ووضوح، وقد صرح الإمام بذلك، وصرح بعدم تعرضه للفروع، وقد قام بعرض أقوال الفقهاء في الحاشية ذاكراً أدلة كل قول.

وهذا المنهج الذي سار عليه الإمام هو منهج قويم، ومنهج موفق من الإمام أبي زهرة حيث إنه لم يسر على منهج غيره من المفسرين الذين استطردوا في تفسير آيات الأحكام وخاضوا في الجزئيات.

ثانياً: بيان الأصل اللغوي للمفردات الفقهية:

اعتنى الإمام أبو زهرة -رحمه الله- في بيان المدلول اللغوي للمصطلح الفقهي قبل الحديث عن الحكم نفسه، وهذا مما لا شك فيه أسلوب صحيح للفقيه المتمكن؛ لأن المدلول اللغوي هو المفتاح لمعاني القرآن، وقد تختلف المصطلحات الفقهية في معناها من فقيه لآخر، هذا إلى جانب أن فهم المدلول الصحيح للمصطلح ينبنى عليه الحكم الصحيح، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الإمام في تفسيره، وكما أنه لم يكن يكرر ما ذكره مسبقاً في تفسيره، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] قال عليه رحمة الله:

"معنى الإحلال الخروج من الإحرام بالحج أو العمرة أو هما معاً بأن يلبس الملابس كاملة ويقص شعره وأظافره وغير ذلك مما كان يحرمه عليه الذي هو فيه من الحج مع لبس لباسه والقيام بمظاهر النسك، والاتجاه إلى الله تعالى، والشعور بأنه في ضيافته عند بيته الحرام"^(٢).

(٢) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] قال:

"الجيوب فتحات الصدر التي تبدو منها أجزاء من الجسم وهي من العورة، والخمر جمع خمار، و(ليضربن) أي ليضعن الخمر على هذه الجيوب التي ترى منها الصدور فيستتر ذلك الجزء من عورة المرأة، لأن عورة المرأة الحرة كل جسمها ومن النساء في هذه الأيام من يبدن بعض أجسامهن على أنه من الزينة التي تغري الرجال..."^(٣).

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ٤، ص ١٠٠.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٢، ص ٧٩.

(٣) زهرة التفاسير، [النور: ٣١].

ومن خلال عرض المثالين السابقين يتبين أن من منهج الإمام -رحمه الله- بيان مدلول المفردات الفقهية؛ لأنها من الطرق الصحيحة للتفسير الفقهي، التي تعين على بناء حكم فقهي صحيح.

ثالثاً: الموضوعية وعدم التعصب لمذهب معين:

يتميز الإمام أبو زهرة بموضوعية في عرض أقوال أصحاب المذاهب، فلم يكن يتعصب لمذهب معين بل كان يعتبر جميع المذاهب صالحة، وأنه يجب دراسة جميع المذاهب لتمييز الخبيث من الطيب، وقد أشارت الباحثة سابقاً إلى ذلك (١).

والإمام -رحمه الله- كان يعرض أقوال الأئمة الأربعة، وأقوال الظاهرية، وبعض فرق الشيعة ويرجح ما يراه راجحاً، وربما يجتهد في هذا الترجيح مستخدماً دليلاً، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] قال: "وإن هذا النص الكريم (قمتم إلى الصلاة)، وما اشتمل عليه من عبارات يفيد أمرين بظاهره.

أولها: أن الوضوء وهو يشتمل على الأركان الأربعة وغسل الوجه واليدين ومسح الرأس، وغسل الرجلين لا بد فيه من القصد إليه وإرادته، وعلى ذلك تكون نية الوضوء بالقصد إليه لأجل الصلاة وباعتبار أن قصده لأجل الصلاة لا للنظافة ونحوها لا بد منها لتحقيق الوضوء؛ لأنه للتهيئة لأجل الصلاة وقد قال مالك، والشافعي، وأحمد، والليث بن سعد (٢)، وإسحاق بن راهويه (٣)، وأئمة آل البيت إن النية ركن من أركان الوضوء، ومعناها القصد إلى الصلاة بالوضوء طالباً رضا الله تعالى، وقد فسرها البيضاوي (٤) بقوله: (النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر حالاً أو مثلاً، والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضا الله تعالى وامتثال حكمه) (٥).

(١) انظر: ص ٤٨ من البحث.

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث الإمام المصري، ثقة كثير العلم صحيح الحديث، قال ابن حبان أنه كان من سادات أهل زمانه فقهياً وعلماً وفضلاً ولد سنة ٩٤هـ وتوفي ١٧٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٤٥٩/٨)، (رقم ٨٣٢).

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد ابن حنبل، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله اثنان وسبعون. تقريب التهذيب، (٥٤/١)، (رقم ٣٧٤).

(٤) انظر: الترجمة، ص ٥٦ من البحث.

(٥) تم البحث عن هذا التعريف للبيضاوي ولم تهتد الباحثة إليه في تفسيره.

وعلى ذلك تكون النية المطلوبة في الوضوء عند الذين قرروها القصد إلى الوضوء مبتغين رضا الله تعالى ويستدلون على فرضيتها في الوضوء بأن الوضوء عمل من أعمال القربات، والنبى -ﷺ- يقول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(١).

وقال أبو حنيفة وأصحابه: (إن النية في الوضوء ليست بفرض؛ لأن الوضوء ليس عبادة مقصودة، ولكنه وسيلة للعبادة، والنية شرط في العبادة نفسها باعتبارها المقصد، وليست فرضاً في الوسيلة بل الوسيلة تتحقق بمجرد تحقق الغسل للأعضاء المذكورة والمسح للرأس، فمن حصل منه هذا، ولو لم يقصد العمل لأجل الصلاة يتحقق الوضوء)، ويستدلون على أن الوضوء وسيلة للعبادة بظاهر الآية، إذا كان النص الكريم (إذا قمتم إلى الصلاة) فهو شرع سبيلاً لعبادة ووسيلة، وليس غاية.

والأمر الثاني: الذي يفيد ظاهر النص (إذا قمتم إلى الصلاة) هو أن الوضوء واجب عند التهيؤ والقيام لكل صلاة، فالوضوء واجب لكل صلاة، وبذلك قال الظاهرية، فقالوا (إن الصلاة واجبة لكل مفروضة) وأخذوا في ذلك بظاهر النص الكريم، ولكن الثابت في السنة غير ذلك فقد روى عن النبي -ﷺ- أنه كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه: (صنعت شيئاً لم تكن تصنعه، فقال عليه السلام: عمداً فعلته)^(٢) ومعنى ذلك أنه -ﷺ- فعله عمداً في هذه الجموع الحاشدة ليبين أنه ليس بفرض أن يتوضأ لكل صلاة، فدل هذا على أن الوضوء لكل صلاة ليس بمطلوب على جهة الفرضية، وقد ادعى بعض الناس أن الوضوء لكل صلاة كان فرضاً ثم نسخ، وإن هذا الكلام منقوض؛ لأن سورة المائدة في آخر القرآن نزولاً، ولأن أحاديث الأحاد لا تنسخ القرآن؛ ولأن الآية ليست قاطعة في وجوب الوضوء لأجل كل صلاة.

والذي نراه أن الآية في الذين قام بهم موجب الوضوء من إحداث ما ينقض الوضوء السابق، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

(١) فتح الباري صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، (٨/١) (ح ١) (بنحوه).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، (٢٣٢/١)، (ح ٢٧٧)

(بنحوه). سنن الترمذي، كتاب الطهارة عن رسول الله، باب ما جاء أنه يصلي الصلوات بوضوء واحد

(٨٩/١) (بنحوه) قال أبو عيسى عنه (حسن صحيح).

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْعَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴿ [المائدة: ٦] فدل هذا بصريح اللفظ على أن موجب التيمم هو إحداث الحدث الموجب للوضوء، إذا لم يكن الماء، فيقوم التراب مقام الماء. وهذيل على أنه لا يكون الوضوء واجباً للصلاة إلا إذا حدث نقض للوضوء السابق، والآية بيان واحد يتم بعضه بعضاً^(١).

ويتضح من المثال السابق الموضوعية التي اتسمت بها منهجية الإمام أبي زهرة في عرضه لأقوال أصحاب المذاهب الفقهية دون تحيز لمذهب دون آخر، ولاحظت الباحثة أن الإمام أبا زهرة لا يميز بين مذهب وآخر فكلّ عنده سواء ويأخذ بالمذهب الذي يراه راجحاً حسب قوته كما أنه -رحمه الله- يستنبط الحكم من النص نفسه وكما مر سابقاً (إذا قمتم إلى الصلاة) فالخلاف في (قمتم إلى الصلاة) هل الوضوء واجب عند كل صلاة أم أنه ليس بواجب؟ وقد نقل قول الأحناف والظاهرية ورجح مستدلاً بالآية أن الوضوء ليس بواجب في كل صلاة كما أنه استدل بحديث رسول الله -ﷺ- واستدل بباقي الآية التي يفسرها لأنها بينت ووضحت المعنى المقصود من الآية بأن الوضوء يكون واجباً إذا حدث نقض للوضوء.

وعلى ذلك فالإمام أبو زهرة -رحمه الله- لم يكن مقلداً ولم ينهج نهج بعض المفسرين المقلدين بل إنه كان يجتهد ويأتي بالأدلة من القرآن والسنة ليدلل على صحة ما ذهب إليه.

رابعاً: عرضه لأقوال الصحابة والتابعين في بعض المسائل الفقهية:

كان الإمام -رحمه الله- أحياناً يتعرض لذكر أقوال الصحابة والتابعين في بعض الأحكام الفقهية، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة: ٣٣] قال: "(أو) في النص، أيقصد به التنويع بتنوع العقوبة على حسب الجرائم، فإذا قتلوا قتلوا، وإذا سرقوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا سرقوا وقتلوا قتلوا وصلبوا، وإذا تجمعوا وانفقوا على ارتكاب الجرائم من غير أن يرتكبوا بالفعل، كان النفي من الأرض، أم تقصد حقيقة التخيير بأن يكون الإمام مخير غير مقيد بنوع في حال، وبنوع آخر في حال أخرى يرتكبون فيها جريمة معينة، بل ترك الأمر لتقديره، وهو ينظر إلى مقدار

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٥، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

الترجيع بما يتناسب مع قوة الجناة من غير نظر إلى نوع ما ارتكبوا من جرائم، ولا إلى مقدارها إنما ينظر إلى مقدار الزجر والردع، ولقد قال بالقول الأول وهو أن (أو) لتتويج العقوبات بتتويج الجرائم بعض الصحابة والتابعين وجمهور الفقهاء...^(١).

ثم قال الإمام بعد عرض القول الثاني وهو أن (أو) في أصلها للتخيير: "وأنه على هذا الرأي جميع من التابعين منهم عطاء^(٢) وسعيد بن المسيب^(٣)، ومجاهد^(٤)، والحسن البصري^(٥)، والنخعي^(٦)، وأبو الزناد^(٧)، وهو مذهب الإمام مالك والظاهرية...^(٨)" ويلحظ من المثال السابق عرض الإمام أبي زهرة لأقوال الصحابة والتابعين في مسائل الفقه أحياناً دون ترجيحه لقول أحدهما على الآخر، والسبب في ذلك أنه يرى أن الرايين جائزان وذلك؛ لأن الأول متنوع تبعاً لقوة الجريمة، والثاني فيه التخيير المطلق للوالي في وضع العقوبة المناسبة والتي تكون أقرب للمصلحة وإقامة الأمن بين الناس.

خامساً: تعليل الحكم الفقهي وإنزاله على الواقع غالباً:

كان من اهتمامات الإمام أبي زهرة في تفسير آيات الأحكام تعليله للأحكام الشرعية هذا إلى جانب أنه ينزل هذه الأحكام على الواقع ويتكلم بكل صراحة وجرأه لا يخاف في فتواه لومة لائم بيتغي في ذلك وجه الله -عز وجل- فحسب، مثال ذلك:

(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٧، ص ٣٩٦، ٣٩٨.

(٢) انظر: عطاء بن أبي رباح أسلم، أبو محمد القرشي المكي، ثقة فقيه، لكنه كثير الإرسال، توفي عام ١١٤هـ، وقيل عام ١١٥هـ. انظر: تقريب التهذيب، (٢٢/٢). انظر: الكاشف، (٢٣١/٢).

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام أبو محمد المخزومي أحد الأعلام وسيد التابعين، ثقة، حجة، فقيه، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل مات سنة ٩٤هـ. الكاشف، (٢٩٦/١)، (يتصرف).

(٤) انظر: الترجمة ص ٨١ من البحث.

(٥) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الأنصاري، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، كان يرسل كثيراً ويدلس، مات سنة عشرة ومئة، وقد قارب التسعين وهو ممن وافق عليه البخاري ومسلم. انظر: ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، (١٠١/١). تقريب التهذيب، (١٦٥/١).

(٦) إبراهيم بن سويد النخعي، ثقة لم يثبت أن النسائي ضعفه، من الطبقة السادسة. تقريب التهذيب، (١/٣٦).

(٧) عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، أبو عبد الرحمن، المعروف بأبي الزناد، فقيه ثبت، ثقة، مات سنة ١٣١هـ في رمضان. انظر: تقريب التهذيب، (٤١٣/١). الكاشف، (٧٥/٢).

(٨) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٧، ص ٣٩٦، ٣٩٨.

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» [الإسراء: ٣٣] قال طيب الله ثراه: "وليه هو قريبه بالعصبية ويكون ولي الأمر وليًا في المطالبة بدمه إذا لم يكن له ولي عاصب، وإذا قاتله هو ولي الأمر الأكبر وعجز وليه العاصب عن المطالبة بدمه فإن المسلمين جميعًا عليهم أن يطالبوا بالدم، لأنهم أولياؤه، ويكونون عصاة مذنبين، إذا لم يطالبوا بدم من قُتل مظلومًا، ولو كان القاتل هو الخليفة الأعظم، ولو خذلوه ولم يطالبوا بدمه يكونون آثمين وعصاة، وبترك ذلك الواجب المقدس ذهب قوة المسلمين.

وقد روى التاريخ كثيرًا عن قتل الحكام الظالمين لبعض أهل الإيمان، وسكوت المؤمنين، ورأينا في عصرنا من قتل المؤمنين قتلة فاجرة، والمسلمون ساكتون ينظرون، ومنهم من يتسربلون بسربال الدين يبررون ويحتنون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنه من مقررات الإسلام أنه لا يهدر دم في الإسلام، كما روى عن علي كرم الله وجهه أنه (لا يطل^(١) دم في الإسلام)^(٢)»^(٣).

(٢) وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] قال رحمه الله: "...والزنى يؤدي إلى ضياع النسل، فإذا كان وأد الأولاد محرماً، لأنه يضعف النسل، فالزنى يضيع النسل، ويذهب بقوة الأمة، وما كثر الزنى في أمة إلا عمها الخراب، وضاعت فيها الأنساب بل ضاع نسلها، واعتبر ذلك بالأمة التي تتحل بشيوع الزنى فيها، فإنه يقل عددها ويضيع نسلها ويكثر فيها الأولاد الذين لا آباء لهم، وإن البلاد الأمريكية والأوروبية لكثرة الزنى فيها، وانحلالها قل نسلها، والمسلمون مهما يكن حالهم في القرب من الإسلام أو البعد لا تزال هذه الفاحشة ليست كثيرة فيهم، ولكنها عند الأمريكان والأوروبيين يعملون على إضعاف النسل بين الذين تغيظهم كثرتهم بأمرين: أولهما: إشاعة اللهو والمجون لتفرغ من الحقائق الإسلامية، ولتميع نفوسهم كما ماعوا. وثانيهما: العمل على منع النسل أو منع كثرتهم بدعايات منظمة وأموال يبذرونها في المسلمين لتعم هذه الدعاية فيهم"^(٤).

(١) يطل: هدر الدم، وقيل هو أن لا يثار به أو تُقتل ديتة يقال طله وأطله أي أهدره. انظر: لسان العرب (٢٦٩٦/٣).

(٢) بالبحث عن قول علي كرم الله وجهه وجدت الباحثة أن القول بمعناه لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقوله (حقتنم بإيمانكم دماءكم لا يطل دم مسلم). السنن الكبرى للبيهقي، كتاب القسامة (١٢٤/٨) (بمعناه) دار الفكر.

(٣) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٣٣].

(٤) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٣٢].

ويلحظ في المثال الأول تطبيق الإمام -رحمه الله- المطالبة بدم المقتول وأنه واجب على الولي كما أنه واجب على المسلمين جميعاً حتى ولو كان القاتل الحاكم نفسه وطسبِق ذلك على الواقع بذكر أمثلة من واقعنا المعاصر في قتل المؤمنين من قبل الحكام وغيرهم والمسلمون لا يرفضون ما تراه أعينهم ويردون بصمت رهيب.

والمثال الثاني ذكر فيه الإمام سبب تحريم الزنا هو إضاعة النسل وذهاب قوة الأمة وطبق ذلك على الواقع وبين ما فعلته الزنى من انحلال خلقي وإضاعته للنسل عند الدول الغربية والتي تمارس فيها الزنى بصورة كبيرة وبين نتائجها عندهم كما وضح اهتمام الغرب في إشاعة اللهو وعمل دعايات لمنع النسل بين المسلمين ليقل عددهم ويضعف نسلهم.

المبحث الثاني الجانب الفقهي في تفسير الإمام أبي زهرة

الإمام أبو زهرة فقيه، طرق أبواب الفقه، واجتهد وأبدى فيه رأيه بكل جرأة وصراحة مبتغياً بذلك وجه الله وَجَلَّ. وسوف نتناول الحديث عن الجوانب الفقهية التي تعرض لها الإمام أبو زهرة في تفسيره.

المطلب الأول جوانب فقهية في العبادات

عرض الإمام أبو زهرة بعض الجوانب الفقهية في العبادات وماله صلة بها من طهارة وغيره أثناء تفسيره لآيات الأحكام وقد عرض هذه الأمور بكل موضوعية وتحدث عنها بشكل معتدل ومن بعض هذه الجوانب:

أولاً: نجاسة المشركين:

تعرض الإمام أبو زهرة أثناء تفسيره للحديث عن نجاسة المشركين وعدّ نجاستهم نجاسة معنوية بسبب اعتقادهم الفاسد، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. قال رحمه الله: "والنجاسة هنا نجاسة معنوية كما امتلأت قلوبهم بالشرك وجوارحهم بعبادة غير الله تعالى من أحجار وأشخاص.

ومن التابعين من قال إنهم أنجاس عين كالخنازير، ولكن نجس العين يكون بأصل التكوين والخلق، وهؤلاء لم يخلقوا أنجاساً، ولكن خلقوا على الفطرة حنفاء، ولكن انحرفوا تقليدًا لأبائهم، أو اتباعًا لأهوائهم فكانت النجاسة أمرًا عارضًا، وما يكون أمرًا عارضًا يكون قابلاً للتغيير إذا رجعوا فلا يكون أمرًا ذاتيًا كنجاسة الخنازير ولذا قال الأئمة أصحاب المذاهب إن النجاسة نجاسة الشرك، فمصافحتهم تجوز ومبايعتهم على الإيمان يجوز، وغير ذلك من الملامسات الجسدية.

وقوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام) الفاء هنا لترتيب ما بعدها على ما قبلها،

لأنهم إذا كانوا أنجاسًا بشركهم لا يصح أن يدخلوا المسجد الحرام، وأن يمنعوا منه منعًا باتًا قاطعًا، وعبر بالغيبة مبالغة في النهي كأنهم نفذوا، وأخبر عنهم بأنهم لم يدخلوهم، وعبر عن النهي بقوله تعالى (لا يقربوا) بدل لا يدخلوا مبالغة في النهي عن الدخول، وللدلالة على أنه يجب تطهير ما حول المسجد من الشرك والمشركين وإذا كانوا لا يقربون المسجد الحرام، فإنهم بالأولى لا يحجون ولا يعتمرون كما كانوا يفعلون في الجاهلية وقد كانوا يتولون سقاية الحجيج وسدانة البيت فمنعوا من ذلك.

ومن كانوا يتولون السقاية والسدانة، ويدهم مفاتيح البيت في الجاهلية بقيت في أيديهم بعد أن أسلموا، فتولوها بصفتهن مسلمين غير مشركين بالله تعالى.

وإن النهي عن دخول المسجد الحرام يدل على حرمة دخوله بالنص، وعلى حرمة دخول غيره من المساجد بالقياس عليه، وبالنص المشير إلى ذلك بقوله ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦]، وإن رفعة المساجد في الآية تومئ إلى ألا يدخلها من يشرك بالله أحجارًا أو أشخاصًا، وأوصافهم تتنافى مع أوصاف الذين يسيحون فيها بالغدو والآصال...^(١).

وفي المثال بين الإمام أبو زهرة أن نجاسة المشركين هي نجاسة معنوية، وهي نجاسة في اعتقادهم الفاسد واتباعهم لأهوائهم الباطلة، فالإنسان يولد على الفطرة السليمة فيما أن يبقى عليها وإما أن ينحرف عنها، والصواب ما اختاره الإمام أبو زهرة وذلك لأن الرسول -ﷺ- توضحاً من آنية المشركين وذلك من حديث (أن رسول الله -ﷺ- وأصحابه توضئوا من مزادة^(٢) امرأة مشركة^(٣))، ولو كانت النجاسة مادية لما توضحاً رسول الله -ﷺ- من آنيتهم وهو دليل على ما ذهب إليه الإمام أبو زهرة.

أما عن دخول المشركين للمسجد الحرام فهو ثابت تحريمه بالنص ولا يقصد بالمسجد الحرام المسجد فقط بل ما حوله أيضاً.

ويقول الإمام -رحمه الله- بالقياس على المسجد الحرام يحرم الدخول إلى المساجد

(١) زهرة التفاسير، [التوبة: ٢٨].

(٢) المزادة: جمعها المَزَادُ والمزايِدُ، والمزادة التي يُحْمَلُ فِيهَا الْمَاءُ. انظر: لسان العرب، مادة (زيد) (١٨٩٧/٢)

(٣) سبل السلام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، علق عليه محمد الخولي، (٤٦/١)، مكتبة عاطف، بجوار إدارة الأزهر وقد تناول الإمام الصنعاني في باب آنية المشركين هذا الموضوع بوضوح.

الأخرى، هذا رأي فقهي تبناه الإمام أبو زهرة والمقصود بالنص المسجد الحرام والمسجد النبوي فقط ولكن هناك آية تعتبر دليل أصلي على تحريم دخول المشركين مساجد الله وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

وهذه الآية تعمم على المساجد كلها، وهو الراجح وعلى ذلك فإنه يمكن إزالة هذه النجاسة بالتوحيد والإيمان.

ثانياً: رأيه في الصدقة على المشركين:

تحدث الإمام أبو زهرة عن الصدقة هل هي جائزة لغير المسلم أم أنها لا تجوز إلا على المسلم؟ وقد قام بعرض أدلته على ذلك، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قال: " كان المسلمون الأولون قلة في أرض العرب، وكان المشركون يحيطون بهم، واليهود يجاورونهم، وكان يربطهم بالفريقتين صلة قرابة، أو على الأقل صلة جوار.

فكان بعض المسلمين يمتنع عن مد يد المعونة بالمال لليهودي أو مشرك، مع شديد حاجته إليه، وكان ذلك الامتناع من قبل المعاملة بالمثل من جهة، ولأن فقراء المسلمين أولى، ولحمل أولئك على الدخول في الإسلام دين الوجدانية والعزة، فبين الله سبحانه وتعالى أن الصدقة واجبة إذا وجد سببها، ووجدت الحاجة إلى العطاء من غير نظر إلى الموضع الذي يستحقها، فإنك تكرم إنسانيته لا يهوديته ولا نصرانيته ولا إشراكه.

ولقد روي ابن عباس عن النبي ﷺ - أنه كان يأمر بالآل يتصدق إلا على أهل الإسلام فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

وقال ابن عباس أيضاً: (كانوا - أي أصحاب رسول الله ﷺ - يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا رسول الله ﷺ - فرخص لهم فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ

(١) انظر: جامع البيان ، (٦٣/٣). وانظر: تفسير القرآن العظيم، الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، (٥٣٧/٢) مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، طبعة أولى ١٩٩٧م، المصنف الحديث في أسباب النزول، إعداد وتحقيق عبد الله إسماعيل ، ص ٦٤، مكتبة آفاق، فلسطين، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ .

وبهذين الخبرين يتبين أن هذه الآية الكريمة نزلت لبيان أن الصدقة تسوغ على غير المسلم، بل تجب إذا كان غير المسلم في حاجة شديدة، ويخشى عليه إن لم يقدم له عطاء ينقذه.

وإن هذه الآية وما يليها من آيات تبين من يستحقون الصدقات ومن يؤثرون، فصدرها سبحانه وتعالى بالإشارة إلى أنه يسوغ إعطاء غير المسلمين بل يجب، وبذلك التصدير يتبين موضع الإسلام من احترام الإنسانية، والإخاء الإنساني العام، فإنه يدعو إلى التعاون والسلام العام، وما يحارب إلا لتقرير ذلك السلام، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]... وبهذا المنهج القويم أخذ السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم مقتدين بالنبي -ﷺ- وإنه يروى أنه في المواعدة التي كانت بين النبي -ﷺ- والمشركين التي تمت في صلح الحديبية أصابت قريشاً ضائقة فأرسل -عليه السلام- إلى أبي سفيان بن حرب زعيم الشرك في ذلك الإبان خمسمائة دينار يشتري بها قمحاً يفرج به ضائقتهم، ويسد حاجة المعوزين منهم، وهم ما زالوا مشركين .

ويروى أن عمر بن الخطاب وجد شيخاً ذمياً على باب المسجد يتكفف الناس، فأجرى عليه رزقاً مستمراً من بيت المال بعد أن قال له كلمته الرحيمة (ما أنصفناك أخذنا منك الجزية صغيراً وضعناك كبيراً) (٢).

ولقد أمر النبي -ﷺ- أن يعطوا فقراء غير المسلمين من صدقة الفطر فقال -ﷺ- (أغنوهم عن السؤال هذا اليوم) (٣) (٤) .

يتضح للباحثة أن الإمام أبا زهرة -رحمه الله- يرى أن الصدقة تجوز على غير المسلم وذلك إكراماً لإنسانيته لا لديانته.

(١) جامع البيان، (٦٤/٣). وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٥٣٧/٢).

(٢) نصب الراية (٤٥٣/٣) (بنحوه). شرح فتح القدير، الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد، (٥١/٦) (بنحوه)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م. انظر: جامع البيان، (٩٤/٣).

(٣) نصب الراية لأحاديث الهداية، للإمام جمال الدين الزيلعي، كتاب الزكاة (٤٣٢/٢) (ح ٩)، (بنحوه) المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية ١٩٧٣م. انظر: أحكام القرآن، الإمام عماد الدين إلكيا الهراسي، (٢٢/١)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(٤) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ١، ص ١٠، ١١.

وكما سبق فإن سبب نزول الآية يوضح أن المسلمين كانوا يرفضون إعطاء الصدقة للكفار فنزلت هذه الآية تجوز الصدقة عليهم.

والمقصود بالكفار الذين تجوز الصدقة عليهم هم الذين يختلطون بالمسلمين من غير إيذاء لهم كالزيميين، وأهل العهد، أما الكافر الحربي فلا تجوز الصدقة له؛ لأنه قد يستخدمها في إيذاء المسلمين.

ومن استدالات الإمام أبي زهرة على جواز الصدقة لغير المسلمين تجويزه صدقة الفطر واستدل بحديث رسول الله ﷺ (أغنوهم عن سؤال هذا اليوم) وبالبحث عن مصدر الحديث وجدت الباحثة أن الحديث يخص فقراء المسلمين فقط، لأن صدقة الفطر تخصصهم وحدهم، وذلك لإدخال البهجة والسرور عليهم وإغنائهم عن السؤال في هذا اليوم.

واستدلال الإمام استدلال غير دقيق وهو تبني لرأي فقهي مرجوح في هذه المسألة وإن جمهور الفقهاء على أن صدقة الفطر لا تجوز إلا على المسلمين، لأنها تخصصهم دون غيرهم، وذهب إلى هذا الرأي ابن عاشور حيث ذكر اتفاق فقهاء الإسلام على جواز صدقة التطوع للكافرين، واعتبر الحكمة من ذلك أن الصدقة من إغاثة الملهوف، والكافرين من عباد الله؛ والإسلام أمر بالإحسان إلى الحيوان فكيف بالإنسان.

ثم تناول الحديث عن الصدقات المفروضة -الزكاة- وقال في ذلك: "اتفق الفقهاء على أن الصدقة المفروضة -أعني الزكاة- لا تعط للكفار وحكمة ذلك أنها فرضت لإقامة أود المسلمين ومواساتهم، فهي مال الجامعة الإسلامية يؤخذ بمقادير معينة، ففيه غنى المسلمين بخلاف ما يعطيه المرء عن طيب نفس لأجل الرأفة والشفقة، واختلفوا في صدقة الفطر فالجمهور ألحقوها بالصدقات المفروضة، وأبو حنيفة ألحقها بصدقة التطوع فأجاز إعطاءها إلى الكافر.

ولو قيل ذلك في غير زكاة الفطر كان أشبه، فإن العيد عيد المسلمين، ولعله رأها صدقة شكر على القدرة على الصيام، فكان المنظور فيها حال المتصدق لا حال المتصدق عليه.

وقول الجمهور أصح لأن مشروعيتها لكفاية فقراء المسلمين عن المسألة في يوم عيدهم وليكونوا في ذلك اليوم أوسع حالاً منهم في سائر المدة، وهذا العذر لا تظهر حكمته في فقراء الكافرين^(١).

والباحثة تميل إلى رأي الجمهور في عدم جواز صدقة الفطر على الكفار للأسباب

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٧٣/٣)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، طبعة ١٩٩٠م.

التي ذكرت لأنها الأقوى مستندًا.

أما عن رأي الإمام أبي زهرة في هذه المسألة فهو تحكمه النظرة الدعوية لذلك انتقى الأحكام الفقهية التي ترغب الناس في الإسلام.

وهذا منهج جيد في فترات ضعف الأمة الإسلامية، وانصراف الناس عن الدين كما كان عصر الإمام أبي زهرة قبل ظهور الصحوة الإسلامية المعاصرة، فالإسلام كان يُتهم بالرجعية والإمام -رحمه الله- كان يثبت عكس ذلك ويدافع عن الإسلام وكأنه في قفص الإتهام فيأخذ بالرأي الضعيف الذي يسهل الإسلام ويخدم الدعوة الإسلامية ولكن هذا الرأي يؤخذ في حال الضعف إلى أن يتمكن الناس من الإسلام، ثم يتبين الأحوط في الدين.

ثالثاً: رأيه في ورق اليانصيب:

اليانصيب هو عبارة عن مال كثير تجمعه بعض الحكومات أو الجمعيات أو الشركات من ألوف من الناس وتجعل جزءاً كبيراً منه لعدد قليل من دافعي المال ويقسم بينهم بطريقة الميسر وتأخذ هي الباقي، وذلك بأن تطبع أوراقاً صغيرة تسمى (أوراق اليانصيب) ويشتريها الناس بمبلغ بسيط وكل ورقة تحمل رقماً خاصاً ثم يتم السحب عليها والعشرة الأوائل هم الرابحون في السحب فقط، ويعطي لهم مبلغاً من المال ويكون الباقي خاسراً.^(١)

وهذا عين القمار كما بين ذلك الإمام أبو زهرة، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. قال أثناء حديثه عن الميسر: "وقد أطلقت على كل قمار، وقمار العرب الذي أطلقوا عليه كلمة ميسر هو أنهم كانوا يقسمون البعير المذبوح إلى ثمانية وعشرين قسمًا، ويوضع عشرة أقداح^(٢) ثلاثة منها غفلاً لا علامة عليها تسمى: السفيح، والمنيح، والوغد، ومن طلع له واحد منها لا يأخذ شيئاً وقد تزداد الغفل على هذا العدد. أما السبعة الأخرى فهي الكاسبة وهي: الفذ^(٣) وله سهم واحد، التوعم

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم، (٢/٣٢٩).

(٢) أقداح: القذح بالكسر السهم قبل أن يُرَاش. انظر: القاموس المحيط (١/٣٠١).

(٣) الفذ: الفزد والفذ أيضاً أول سهام الميسر وهي عشرة أولها الفذ ثم التوعم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النفاس، ثم المسبل ثم المعلي، وثلاثة لا أنصباء لها وهي: السفيح، والمنيح والوغد مختار الصحاح، محمد=

وله سهمان، والرقيب وله ثلاثة، والحلّس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمُسبل وله ستة، والمعلي وله سبعة، والمجموع ثمانية وعشرون.

ولا شك أن هذا من قبيل ما نسمية اليوم (ورق اليانصيب) وقد كانت عادة العرب أن يفعلوا ذلك عند اشتداد الضائقة ليتبرعوا بنتائج الكسب على الفقراء، وما أشد الشبه بين هذا وبين عمل الجماعات التي تجمع التبرعات بهذه الطريقة .

ولقد جاءت النصوص الصريحة بتحريم كل قمار ... ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أطلق الإثم ولم يصفه فلم يقل إثم على الناس، أو للناس وقيد المنافع بأنها للناس، وهذا يدل على أن الإثم في الخمر والميسر ذاتي، فهما في ذاتهما رفس كبير، وخطر وبيل، وأن ما فيهما من منافع فهي ضئيلة وهي بالنسبة لبعض الناس، فهي منافع إضافية، لا منافع ذاتية، فجوهر الخمر والميسر شر لا خير فيه وما يكون من نفع فيهما فلبعض الملابسات، كما يلاحظ في بيع الأوراق لتمويل بعض جماعات البر فليس ذلك لأن في الميسر خيراً أو نفعاً، بل لأن النفوس فسدت وشحت بالخير، فما فيه من نفع إضافي سببه فساد الناس، وهو نفع ضئيل للناس ومشتق من أحوالهم^(١).

ويتضح بالمثل أن الإمام أبا زهرة اعتبر ورق اليانصيب عين القمار وبين وجه الشبه بينه وبين ما كان يفعله العرب في الجاهلية من أقذاح وغيره إذا واجهتهم ضائقة، واعتبر أن الميسر شرّ في جوهره والنفع فيه نفع إضافي سببه شح الناس وفسادهم واخترعت هذه الطريقة لنفعهم لأن وجودوا بالخير والصواب ما قاله الإمام أبو زهرة لأنه لا سبيل لتحايل على الناس من أجل التبرع وفي ذلك تجرؤ على حدود الله وإياحة ما حرّمه الله.

كما يجب على ولاة الأمر العناية بتربية شعوبهم وتهذيب نفوسهم، لا أن تربي فيهم روح المقلّمة، ولذلك يجب وضع حد لمثل هذه الأفعال التي تضر بالاقتصاد العام للدولة كما أن تضيق بالفرد وأخلاقه.

=ابن أبي بكر الراوي، ص ٤٩٤ مادة (فذذ)، دار الفحاء - بيروت - دمشق، دار الإيمان - بيروت - دمشق.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١١، ص ٦٧٠، ٦٧١.

المطلب الثاني جوانب من فقه المعاملات

القرآن الكريم هو كتاب خالد ليوم القيامة، تضمن كثيراً من الأمور التي تعين الناس على كيفية التعايش فيما بينهم من خلال تجارة بعضهم مع بعض، وتجارتهم مع غيرهم من الدول الأخرى، كما بين كيفية المعاملة التي يجب أن تكون، والأخلاق التي يجب توفرها بين الناس حتى تسود الفضيلة في المجتمع الفضيلة، كما تضمن القرآن بيان الدّين وكيفية التعامل معه، ونص على ضمان الحقوق فيما بينهم بالمكاتبة والشهادة وغير ذلك كثير، وفيما يلي بعض أمثلة من فقه المعاملات التي تعرض لها الإمام في تفسيره.

أولاً: الربا:

اهتم الإمام أبو زهرة اهتماماً بالغاً بموضوع (الربا) وعده من الموضوعات الهامة التي يجب الحذر منها وقد قام بتأليف كتاب خاص بالربا تحت عنوان (بحوث في الربا)^(١) وضح فيه خطر الربا على الناس وخطرها على الاقتصاد الدولي، وذكر أنواعها، وتحريم القرآن والسنة لها، ورأي علماء الإسلام فيها، كما أنه رد على المشككين والداعين إلى تحليلها باستخدامهم أساليب ملتوية من أجل تحليلها، وذكر الحكمة والفائدة من هذا التحريم، وهذا الاهتمام بموضوع الربا لم يكن من خلال هذا الكتاب فحسب بل إنه تناول الحديث عنها أيضاً في تفسيره لآيات الأحكام بنفس الدرجة والأهمية، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] قال رحمه الله: "والربا معناه واضح يفهمه العامة وهو الزيادة في الدين في نظير الأجل، ولكن الذين يحاولون تطويع الشريعة لتكون أمة ذليلة للاقتصاد الربوي عقّدوا معنى الربا، وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ ولذلك وجب أن نتكلم بإيجاز في معنى هذه الكلمة.

أصل الربا من ربا يربو بمعنى زاد، أو نما، ثم أطلقت كلمة ربا على ذلك النوع من التداين، وهو أن يزيد المدين في الدين في نظير الزيادة في الأجل، وقد صار إطلاق كلمة الربا على هذا المعنى حقيقة لغوية، أو هو عرف لغوي، وهذا هو الربا المذكور في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا

(١) كتاب بحوث في الربا، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.

مُضَاعَفَةً ﴿[آل عمران: ١٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] وقوله ﷺ: (ألا إن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب)^(١) وهذا الربا يسمى ربا النسئة وقد ورد في الأثر (إنما الربا النسئة)^(٢).

ولم يشك أحد من الفقهاء في أن هذا محرم، فتحريمه ثابت بالنص القرآني، والحديث النبوي، والإجماع الفقهي، ولقد سئل الإمام أحمد عن الربا المحرم قطعاً، فقال ﷺ: (أن تزيد في الدين في نظير الزيادة في الأجل)^(٣).

وهناك نوع سمي الربا في الشرع الإسلامي، لا في الحقيقة اللغوية، وهو ربا العقود الثابت بقوله ﷺ: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمنزل يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد ربي، والأخذ والمعطي فيه سواء)^(٤).

وهذا النوع من الربا لم يكن معروفاً في الجاهلية، بل هو حقيقة إسلامية وردت في مقام النهي، ولذا يقسم الجصاص الربا قسمين:

١- ربا غير اصطلاحى، وهو ربا الجاهلية عرفته اللغة، ولا مجال للريب فيه.

٢- ربا اصطلاحى، وهو الربا الذي جاء الإسلام بتحريمه^(٥).

ومع وضوح معنى الربا الجاهلي ذلك الوضوح، وهو الذي جاء بتحريمه القرآن الكريم، وجدنا ناساً يحاولون أن يشككوا الناس في حقيقته، ليحلوا بذلك التشكيك ربا المصارف، وقد سلخوا للتشكيك مسلكين:

أولهما: أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ فهموا منه أو بالأحرى حاولوا أن يفهموا الناس أن الربا المحرم هو ما يكون بمضاعفة الدين، وما دون ذلك حلال، وأهملوا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، (٨٨٩/٢)، (ح ١٢١٨) والحديث جزء من خطبة طويلة للرسول عليه السلام (بنحوه).

(٢) فتح الباري، كتاب البيوع، باب بيع الدينار بالدينار نساء (٣٨١/٤)، (ح ٢١٧٨، ٢١٧٩)، (بنحوه). صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثلاً، (١٢١٧/٣)، (ح ١٥٩٦)، (بنحوه).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٤٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً (١٢١١/٣) (ح ١٥/١٤) (بلفظه).

(٥) انظر: أحكام القرآن، الإمام أحمد الجصاص الحنفي، (١/٤٦٤، ٤٦٥)، دار الفكر.

[البقرة: ٢٧٩] مع أن قوله تعالى (أضعافاً مضاعفة) حال من الربا وهو الزيادة، أي لا تأكلوا تلك الزيادة التي تتضاعف عاماً بعد عام، فالمضاعفة في الزيادة لا في أصل الدين، وفوق ذلك فالوصف جاء مجرى الواقع من تكرار الزيادة التي تصل إلى قدر الدين أو تزيد، ثم إنه من المقرر فقهاً أن النهي إذا ورد عاماً ثم جاء نهى في بعض أفراد هذا العام لا يكون ثمة تعارض حتى يخصص العام، بل أقصاه أن بعض أفراد العام ورد فيه النهي مرتين، كما في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨].

المسلك الثاني: من مسالك التشكيك أنهم قالوا: (إن الربا المحرم هو ما قصد منه المقترض أن يستدين للاستهلاك لا للاستغلال؛ فمن يقترض لشراء حاجات لازمة لنفسه أو أهله لا يصح أن يؤخذ منه زيادة نظير الأجل، ومن اقترض ليوسع تجارته، أو ليصلح زراعته، فهو مستغل بما اقترض فالزيادة لا تكون ربا، بل هي مشاركة في الربح).

ذلك قولهم بأفواههم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وإنه ينقض ذلك الزعم أمران: أحدهما: عموم النص القرآني فهو عام في كل قرض قد جر زيادة فوق رأس المال، بدليل ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ .

ثانيهما: أن الذين كانوا يقترضون تجاراً، وكان ربا الجاهلية في مكة التي اشتهرت بالتجارة، وكان تجارها ينقلون بضائع الروم إلى الفرس والفرس إلى الروم، وكانت اليمن والشام فيهما الجلب والعرض، كما قال تعالى: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ٢، ١] فشيوع الربا في ذلك الجو التجاري يدل على أنه كان ثمة ربا استغلال، وأن ربا الاستغلال والاستهلاك كلاهما حرام.

ولا يصح أن يسمى ربا الاستغلال مشاركة في الربح؛ إلا أن أصول المشاركة أن يكون ثمة شركة في المغنم والمغرم معاً، لا أن تكون الشركة في المغنم دون المغرم^(١) .
 إن حديث الإمام -رحمه الله- عن الربا في المثال السابق فيه اعتدال وفيه ردود مقنعة وكما اعتاد الإمام فقد بدأ بالحديث عن الربا في بيان معناها اللغوي والاصطلاحي وقد دلل على معنى الربا وعلى تحريمها بالقرآن والسنة، وإجماع الفقهاء، ثم بين الفرق بين ربا الجاهلية وربا عرفه الإسلام، وقد ذكر مزاعم المشككين ورد عليهم ردوداً مقنعة وبين أن حقيقة الربا واضح وضوح الشمس، فالتجارة تقبل الربح والخسارة، وليس ثم فرق بين ربا الاستهلاك وربا الاستغلال فكلاهما حرام، والآيات في ذلك واضحة مبينة لتحريم الربا، إلا أن المشككين يريدون تحميل آيات الله ما لا تحتل.

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٣، ص ١٤١.

ثانياً: بَخْسُ الْأَشْيَاءِ:

ومعنى البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم وتباخسوا أي تناقصوا وتغابنوا فبخس بعضهم بعضاً^(١) ولما كان فيه من الظلم فقد حرمه الله عَلَيْهِ.

وقد بين الإمام أبو زهرة -رحمه الله- ضرورة وجود الأمانة في التجارة؛ لأن في ذلك ظلم للناس وأكل أموالهم بالباطل، ومثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٢، ١٨٣]. قال طيب الله ثراه: "القسطاس الميزان الذي يوزنون، ومعنى (وزنوا بالقسطاس) أي زنوا بالميزان المستقيم الذي لا يظلم في ميزانه، بل يكون في اعتدال واضح، وهو يتضمن نوعين من النهي: أولهما: ألا يكون الميزان غير منتظم في رفعه وخفضه.

والثاني: ألا يعتمد الخلل فيه، فيخفضه ويرفعه كما يريد كما يكتال ظالماً، وكما يكيل ظالماً، وإن ذلك إفساد للثقة التي هي أساس التعامل العادل، وأكل لمال الناس بالباطل، وظلم مبین، وإفساد للعلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الأموال من حيث تقديرها تنقسم إلى قسمين: ١- أموال مثلية وحداتها متحدة في القيمة إذا توافر اتحاد الجنس والنوع والصفة في جودة أو رداءة، وهذه تقدر بالكيل أو الوزن، وقد نهى سبحانه على لسان نبيه شعيب -عليه السلام- من التطفيف فيها.

٢- والقسم الثاني: أموال قيمية لا يحد قيمتها الكيل والوزن، ولكن يحد قيمتها تقويم المقومين، وهنا يجري فيها البخس والشطط، ولقد نهى سبحانه في هذا النص على البخس بأن نُقِومَ بأقل من قيمتها، وكل نقص في القيمة هو نقص في المالية فيكون فيه الظلم، وأكل أموال الناس، ولذا قال تعالى على لسان شعيب ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تتقصوا قيمة ما عند الناس...^(٢).

وعلى ذلك فإن الإمام أبا زهرة يرى أن أساس التعامل في التجارة هو الأمانة في التعامل، وعدم إنقاص الناس أشياءهم وتعيبها حتى يقل ثمنها لأن ذلك ظلم، والظلم لا يحبه الله ولا يرضاه.

(١) انظر: مفردات غريب القرآن، ص ٤٨.

(٢) زهرة التفاسير، [الشعراء: ١٨٢، ١٨٣].

وقد ذهب إلى هذا الرأي الإمام القرطبي حيث قال: "البخس النقص وهو يكون في السلعة بالتعيب والتزهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه، وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على السنة الرسل"^(١).

وهذا إعجاز تشريعي وضعه رب العباد ليكون أساس التعامل بين الناس بالعدل وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وفي ذلك حفاظ على الترابط ما بين أفراد الأمة الإسلامية.

ثالثاً: الجواهر والآلي:

تحتوي البحار على نعم كثيرة أنعمها الله -^{عز وجل}- على عباده ففيه طعام كثير، إلى جانب ما يستخرج من البحار من حلي تلبس وعن حكم لبس الجواهر، بين الإمام أبو زهرة الحكم فيها، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤] قال رحمه الله بعد الحديث عن اللحم الطري: "وإذا كان ذلك الطعام فيه منفعة مرئية طيبة، فالبحر وعاء للجواهر المختلفة، ولذا قال: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي ما يسمونه بالأحجار الكريمة من آلي وزمرد، وغيرها مما يتحلى به النساء، وبعض المرفهين من الرجال وإن لم يتشبهوا بالنساء.

وتوهم بعض المفسرين أن التحلي بالجواهر حرام، وقاسوه على التحلي بالذهب، ولكن الثابت في الآثار أن التحريم مقصور على الذهب على أنه روى أن بعض الصحابة قال: إنه لا تحريم ولكن قالوا: إن ذلك من شواذ الأقوال.

ولقد ذكر الشوكاني في (نيل الأوطار)^(٢) أنه أدرك عشرين من الصحابة لم يحرموا الذهب على الرجال، ولكن لم يذكر من هم، ولم يذكر من أسند هذا القول إلى النبي ﷺ.

ومهما يكن فإن الجواهر والآلي والزمرد والياقوت، وغيرها من الأحجار الكريمة، كالماس والكهرمان ونحوهما لم يثبت تحريمها إلا أن يتخذها عقداً كما يتخذها

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٧/٢٤٨).

(٢) انظر: نيل الأوطار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، (٧٣/٢) دار الفكر، بدون تاريخ.

النساء، فإن ذلك يكره للتشبه بالنساء" (١).

وينضح للباحثة من المثال السابق تجويز الإمام أبي زهرة التحلي بالأحجار الكريمة للرجال وكرهها لهم إذا أرادوا منها التشبه بالنساء، ورد القول على من قاس تحريم الذهب بتحريم الأحجار الكريمة بأنه ليس هناك ما يثبت تحريم الجواهر والثابت تحريم الذهب. والقول ما قاله الإمام أبو زهرة؛ لأن الذهب محرم بالنص، ولأنه خلق ثمناً ليكون عمله، وحرمة لثمنه أي لكونه نقداً تشتري به الأشياء والسلع ولذا يجوز التزين بما هو أغلى من الذهب لعدم استخدامه نقداً. وفي حديث البخاري عن رسول الله ﷺ - في حديث طويل روى عنه ﷺ : أنه بعث أواق من ذهب فقال: (أعطوها جابرًا ثم قال استوفيت الثمن قلت نعم قال الثمن والجمل لك) (٢) وهذا دليل على أن الذهب أثمان.

ونظرًا لثمنية الذهب حرم بسبب الحرص على رواج هذه العملة في الأسواق وحتى لا يحدث اضطراب في الحياة الاقتصادية.

والجواهر ليست أثماناً، والسبب في نفاستها وارتفاع أسعارها هو ندرة الحصول عليها وللصعوبات التي يواجهها الغواصة أثناء استخراجها من بطون البحار.

وقد ذهب إلى جواز استخدام النفائس وغيره من غير الذهب والفضة (وهبة الزحيلي) حيث قال: "علل الفقهاء حرمة استعمال الذهب والفضة بالسرف والخيلاء والأصح في التعليل هو كون الذهب والفضة أثمان الأشياء، والنقد المتداول، فلو أبيع استعمالها لأثر ذلك في الأسواق فيحصل الاضطراب والقلق.

ويجوز استعمال آنية غير الذهب والفضة من الأواني النفيسة كإناء ياقوت، وبلور وعقيق وزبرجد، ومرجان (٣) ونحاس، وورصاص، ونحو ذلك لأنها ليست في معنى الذهب والفضة والأصل في الأشياء الإباحة، ولأن النبي ﷺ - توضعاً من إناء نحاس (٤) (٥).

(١) زهرة النفاسير، [النحل: ١٤]

(٢) فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب من ضرب دابة غيره في الغزو (٦/٦٥، ٦٦)، (ح ٢٨٦١).
(٣) هذه مسميات لأحجار كريمة تستخرج من بطون البحار، والمرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للجب الذي يستخرج من الصدفة والمرجان أشد بياضاً، وقيل هو جوهر أحمر. انظر: لسان العرب، مادة (مرجن)، (٥/٤١٧٠).

(٤) والحديث الدال على ذلك ما رواه عبد الله بن زيد حيث قال: أتانا رسول الله ﷺ - فأخرجنا له ماء في تور من صُفْر فتوضأً والتور: الإناء، وصفر: النحاس. فتح الباري، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقذح والخشب والحجارة، (١/٣٠٢) (ح ١٩٧).

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة الزحيلي، (٣/٥٤٦)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

وبذلك يتبين أن الذهب أثمان وهو نقد والجواهر غير نقد وتبين العلة في حرمة الذهب وعدم حرمة الجواهر بدليل أن النبي -ﷺ- استخدم أواني من غير الذهب ولم يجرمها، وهذا هو الدين الإسلامي بسماحته وحكمته التشريعية.

المطلب الثالث جوانب من فقه الأحوال الشخصية

القرآن الكريم بين بالتفصيل نظام الأسرة أكثر من أي جانب آخر، حيث بين أهمية الزواج، والمحرمات اللائي لا يصح زواجهن، وكذلك بين متى يكون الطلاق، وبين عدد الطلاقات، كما أنه بين العلاقة ما بين الزوجين، وعلاقة الآباء بالأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، وبين كيفية توزيع الميراث بالعدل إلى غير ذلك.

وإن اهتمام القرآن في تفصيل الأحوال الشخصية للإنسان أكثر من أي جانب لهو لفت لأهمية دور الأسرة في إقامة مجتمع صالح، إذ إن حماية الأسرة هو حماية للمجتمع كله، لذلك ستعرض الباحثة بعض جوانب من فقه الأحوال الشخصية عند الإمام أبي زهرة.

أولاً: تزويج المرأة نفسها:

عرض الإمام أبو زهرة هذه المسألة في تفسيره ذاكراً أقوال الأئمة الفقهاء، مثال ذلك: عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] قال رحمه الله: "...إن التعبير بلفظ الإنكاح في جانب تزويج المؤمنة بالمشرك، استدلل لجمهور الفقهاء؛ بأن المرأة لا تباشر عقد زواجها بنفسها، وأنها لا تنفرد باختيار الزوج، ولو كانت بالغة عاقلة رشيدة... وهنا نبين وجه الاستدلال للجمهور ومستنده من السنة.

أما وجه الاستدلال بالآية فهو عند النهي عن الزواج من المشركة قال: (لا تنكحوا) وعند النهي عن الزواج من المشرك قال: (لا تنكحوا).

والأول العقد للنفس، والثاني العقد للغير، فذكر العقد للغير في مقام تزويج الأنثى دليل على أنها لا تتولى إنشاء العقد بنفسها، ولا يسوغ لها أن تنفرد به دون وليها، وقد أيدت ذلك أحاديث قد وردت مثل قوله عليه السلام: (لا نكاح إلا بولي) ^(١)، ومثل قوله ^(٢): (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، باطل باطل) ^(٣).

(١) فتح الباري، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، (١٨٢/٩). سنن الترمذي، كتاب نكاح عن رسول الله، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، (٣/٣٩٨)، (ح ١١٠١)، (بلفظه) قال الترمذي (حديث حسن).
(٢) سنن الترمذي، كتاب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، (٣/٣٩٨)، (ح ١١٠٢)
قال عنه الترمذي (حديث حسن).

وخالف الجمهور أبا حنيفة، وفي رواية غير أبي يوسف أنه منعه، وقد زعم أن كل الأخبار الواردة بمنع الزواج إلا بولي لم تصح نسبتها إلى الرسول، وروى أن الرسول عليه السلام قال: (الأيام أحق بنفسها من وليها)^(١) وأن التعبير بالإنكاح في الآية جرى مجرى العرف الشائع الغالب، وأن النكاح قد أسند إليها في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ولأنها تدير أموالها وتتولى العقود عليها، فأولى أن تتولى أمر زواجها؛ ولأن الولاية تثبت في الشرع لمصلحة المولى عليه، ومصالحتها في أن تكون حرة، ولا ضرر على أوليائها، إذا تقيّد الزواج بالكفاءة ومهر المثل، فلا عار يلحقهم حينئذ.

ومع أن أبا حنيفة يطلق حرية المرأة في الزواج، يستحسن أن يتولى زواجها وليها، كما هو العرف الجاري بين الناس^(٢).

في المثال السابق عرض الإمام أبو زهرة قول الجمهور بأدلته على عدم نكاح المرأة إلا بولي وعرض قول أبي حنيفة الذي خالف قول الجمهور وذكر أدلته على ذلك وهذا ما عهدناه من الإمام أبي زهرة في موضوعيته في عرض المسائل.

والإمام أبو زهرة مال إلى رأي الجمهور واستخدم كلمة ويستحسن و تعبيره هنا تعبير دقيق؛ وذلك لأنه استخدم هذا التعبير مراعاة للخلاف، ولو أنه قال يجب، فكأن هذا الأمر مجمع عليه.

وقد أيد رأي الجمهور الإمام ابن العربي حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الله أولياء المرأة من منعها من نكاح من ترضاه قال: "وهذا دليل قاطع على أن المرأة لا حق لها في مباشرة النكاح، إنما هو حق الولي، ولولا ذلك لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن منعها"^(٣).

وأيد الإمام ابن العربي في رأيه (الشيخ محمد الغروي)^(٤).
والقول ما اختاره الإمام أبو زهرة، وهو مذهب الجمهور، وهو الأقوى مستنداً، والحكمة في ذلك أن المرأة قد لا تحسن اختيار الزوج الكفء لها، فتقع في مهالك لا نهاية

(١) سنن الترمذي، كتاب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء في استئثار البكر والثيب (٣/٤٠١)، ح (١١٠٨)

روي مختصراً قال عنه الترمذي (حسن صحيح).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١٢، ص ٧٣١، ٧٣٢.

(٣) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر ابن العربي، تحقيق: علي البيجاوي (١/٢٠١)، (بتصرف)، دار الفكر.

(٤) انظر: حقوق المرأة في الزواج، الشيخ: محمد الغروي، ص ٣٦، ٣٧، دار الاعتصام.

لها، وقد لا ترى ما يراه وليها، فحفاظاً عليها وحفظاً لكرامتها، وصوناً لحقوقها، أعطى الإسلام الحق لوليها في نكاحها.

ثانياً شهادة غير المسلم:

شهادة غير المسلم على المسلم هل هي جائزة؟ أجاب الإمام أبو زهرة - رحمه الله - عن هذا السؤال، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمُ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] قال رحمه الله بعد الحديث عن الوصية وضرورة كتابتها والإنسان قوى معافي؛ لأنها من مقتضيات الإيمان: "إنه لا يتوفر العدل في كل الأحوال في الوصية، فإنه قد يكون الموت في سفر، ولا يتوافر العدل من المؤمنين، فقد يكون المصاحب للمتوفى من غير المؤمنين، أو غير العدل، ففي هذا الحال يتساهل وتقبل شهادة غير المسلمين ولذا قال سبحانه ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمُ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ ما المراد بهذا المغاير وذلك يستدعي بلا ريب تفسير (منكم).

فقد قال بعض العلماء: أن منكم معناها من قبيلتكم، أو من أقاربكم، ويكون من غيركم معناه من غير قبيلتكم، أو من غير ذوي قرابتكم، والجميع في دائرة أهل الإيمان، ويتمسك هذا الفريق بأنه لا تقبل شهادة غير المؤمن، فلا يمكن أن يكون المراد من غيركم الكافرين؛ لأن الكافر لا تقبل شهادته على المؤمن عندهم.

وقال آخرون: أن المراد بقوله تعالى: (منكم) هو أن الخطاب للمؤمنين؛ لأن السداء في الذين آمنوا لا من قبيل منهم، ولذلك يكون الإثنان اللذان من غيرهم من غير المؤمنين ومقتضى هذا التخريج أن تقبل شهادة غير المسلمين في هذا الحال وقد أجازها جمع من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، وابن سيرين^(١)، ويحيى بن يعمر^(٢)، وعكرمة^(٣)

(١) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري ثقة، عابد، كبير القدر لا يروى الرواية بالمعنى من الطبقة الثالثة مات سنة ١١٠هـ، تقريب التهذيب (١٦٩/٢).

(٢) يحيى بن يعمر البصري، ثقة فصيح، كان يرسل، من الطبقة الثالثة مات قبل المائة وقيل بعدها، المرجع السابق (٣٦١/٢) (بتصرف).

(٣) انظر: الترجمة ص ٨١ من البحث.

ومجاهد^(١)، وسعيد بن جبير^(٢)، الشعبي^(٣)، وإبراهيم النخعي^(٤)، وقتادة^(٥)، وشريح القاضي^(٦)، وهذا رواية عن أحمد بن حنبل وقد قرروا أن شهادة غير المسلم على المسلم تقبل في حال السفر، وعلى أن تكون الشهادة في وصية كما نص القرآن الكريم، وذلك لمقام الضرورة، ولمنع ضياع الحقوق ما أمكن، ولأن ذلك يشبه التحري، ويكون المراد من العدالة الاشتهار بالصدق والأمانة ومنهم من يكون كذلك، وإن أصاب الضلال اعتقاده. وثانيًا: لأن قبول شهادتهم استثناء فيقتصر على موضع الوصية، فيقتصر على مورد النص، وهو تقييد الحال بحال السفر، وتقييد الموضوع بأن يكون في الوصية... هذا ويلاحظ أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأبا حنيفة، وأصحابه لا يقبلون شهادة غير المسلم على المسلم مطلقاً في سفر أو حضر، في وصية أو غير وصية، ويظهر أنهم يسيرون على التخيير الأول^(٧).

ومن خلال المثال السابق يتضح أن الإمام أبا زهرة يميل إلى القول بجواز شهادة غير المسلم على المسلم ويسند هذا القول إلى الإمام أحمد بن حنبل وإلى جمع من التابعين ثم ذكر أن ذلك مقيد بأمرين:

أولاً: أن تكون في حال سفر. ثانياً: أن تكون الشهادة في وصية.

ولعل الحكمة من ذلك هو حماية حقوق العباد من الضياع وحفاظاً على هذه الحقوق تجوز الشهادة من غير المسلم حتى وإن أصاب الضلال اعتقاده، ولكن إذا توافر فيه الصدق والأمانة، وهذا الرأي رجحه العلماء، وكان من بينهم الإمام القرطبي^(٨).

(١) انظر: الترجمة ص ٨١ من البحث.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة، فقيه، من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسله قتل بين يدي الحجاج، سنة ٩٥هـ، ولم يكمل الخمسين. تقريب التهذيب (٢٩٢/١) انظر: الكاشف (٢٨٢/١).

(٣) انظر: الترجمة ص ٨١ من البحث.

(٤) انظر: الترجمة ص ٢١٨ من البحث.

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة، ثبت، يقال ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة ثمان عشرة ومائة، وقيل سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وخمسون سنة. تقريب التهذيب، (١٢٣/١) (رقم ٨١). طبقات المفسرين، للداودي، (٤٨/٢).

(٦) شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي، أبو أمية، مخضرم، ثقة، وقيل له صحبة، مات قبل الثمانين أو بعدها، وله مائة وثمان سنين أو أكثر، تقريب التهذيب، (٣٤٩/١)، (بتصرف).

(٧) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٢، العدد ١٠، ص ٥٢٤، ٥٢٥.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، (٣٤٩/٦، ٣٥٠، ٣٥١).

ثالثاً: تحديد النسل:

يعد الإمام -رحمه الله- تحديد النسل وضبطه من قبيل قتل الأولاد كما يعد منعه تحد لإرادة الله، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] قال رحمه الله: "والقتل المنهي عنه في الآية يشمل ما كان في عصر نزول القرآن، وما قبله من أعمال الجاهلية من وأد البنات، وما يقوم به الآن بعض الذين يمنعون النسل أو يحدونه، أو يضبطونه، أو ينظمونه، أو غير ذلك من العبارات المقلدة التي يدعون بها المسلمين، ولا يدعون إليها النصارى واليهود. روي في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود: (قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك) (١).

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] قالوا: إن في الآية نهي عن القتل وضبط النسل، أو تحديده أو تنظيمه، هو بمنع الحمل، لا بالقتل بعد أن يولد حياً، ونقول في الجواب عن ذلك: إن ذلك وأد؛ لأن النبي -ﷺ- ذكر في آخر أخبار العزل: (العزل هو الوأد الخفي) (٢) ومهما يكن فإنه محاربة لإرادة الله وتحد؛ لأن الله هو الرزاق، ومعاودة لصريح الآية (نحن نرزقهم وإياكم).

ولقد رخص الإمام الغزالي في العزل لأسباب كثيرة ولكنه قرر أمرين:

أولهما: أنه لا يجوز العزل لحال الخوف أو الفقر؛ لأن ذلك يكون مصادقة صريحة للنص القرآني، وإن الأرض لم تضق سكانها، فلم ينل من خيرات إلا بعضها القليل، وأرض المسلمين واسعة.

ثانيهما: أن العزل في أي حال رخص فيها مما لا ينبغي أي أنه لا ينبغي بالجزاء فلا تجوز بالكل والله أعلم (٣).

(١) فتح الباري، كتاب تفسير القرآن، باب (والذين يدعون مع الله إلهاً آخر) (٤٩٢/٨)، (ح ٤٧٦١) (يلفظه). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، (٩١/١) (ح ٨٦) (بنحوه).

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز العيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل، (١٠٦٧/٢)، (ح ١٤٤٢)، (بنحوه).

(٣) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٣١].

إن تحديد النسل أو تنظيمه من المواضيع الهامة التي تناولها الإمام أبو زهرة بالسبب والحديث، وبيان مخاطرها، وأنها أفكار مدسوسة من الغربيين. وهذا الموضوع أكثر الإمام الحديث عنه بشكل واضح، ومن الملاحظ في المثال السابق أنه عد ضبطه أو تحديده، أو تنظيمه، مترادفات هدفها منع الحمل، وعد العزل من قبيل وأد الأولاد، واعتمد على حديث رسول الله (العزل هو الوأد الخفي) كما عدَّ تحديد النسل وتنظيمه تحدٍ ومعاندة لإرادة الله.

وقد تناول الإمام -رحمه الله- هذا الموضوع بشكل موسع وذلك من خلال كتابه (تنظيم الأسرة وتنظيم النسل)^(١).

كما ذكر الأستاذ أبو بكر عبد الرزاق تلميذ الإمام أبي زهرة مقالة لشيخه عن هذا الموضوع وذلك من خلال كتابه (قمم إسلامية، أبو زهرة وقضايا العصر)^(٢).

ومن خلال عرض المثال السابق اتضح حرص الإمام أبي زهرة -طيب الله ثراه- على إكثار النسل في الأمة الإسلامية، ورد تأمر أعداء الإسلام على الإسلام بالحد من النسل لأنها غاية يريدون الوصول إليها بكل وسائلهم.

والباحثة توافق الإمام في دفاعه عن الإكثار من النسل المسلم، وذلك لأن الحفاظ على النسل من مقاصد الشريعة الإسلامية وحفظاً للنوع الإنساني، وإن إهداره يتنافى مع نصوص الشريعة التي تدعو إلى الإكثار من النسل والحفاظ عليه.

ولكن الباحثة تختلف مع الإمام أبي زهرة في عدة أمور وهي:

(١) معنى الحد والتنظيم:

الإمام عد التحديد والتنظيم، والضبط، بمعنى واحد، ولكن الحقيقة أن كل كلمة من هذه الكلمات لها معنى في اللغة يختلف عن الآخر:

- فمعنى حدد: من الحَدَدِ وحد الشيء منتهاه ونهايته، لأنه يرده ويمنعه من التماذي، والحد المنع^(٣).

- ومعنى ضبط: لزوم الشيء وحبسه، وحفظه بالجزم^(٤).

- ومعنى نظم: من نظمتُ اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، والانتظام

(١) انظر: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، الإمام محمد أبو زهرة، ص ٩٣، دار الفكر العربي.

(٢) انظر: قمم إسلامية (٢٠١/٣).

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (حدد) (٧٩٩/١). وانظر: مختار الصحاح، (١٢٥، ١٢٦).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (ضبط) (٢٥٤٩/٣). انظر: مختار الصحاح (٣٧٦).

الاتساق (١) .

وعلى هذا المعنى فإن الحد والضبط معناه نهاية الشيء فالحد هو منع الحمل نهائياً، وأما التنظيم فهو تنظيم الشيء باتساق لا بمنعه وإنما بأن نجعله يتسق وينتظم بعضه مع بعض .

(٢) حكم التحديد في الإسلام يختلف عن حكم التنظيم:

أ- حكم التحديد:

أقر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بالإجماع أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان من ذلك خشية إملاق، لأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، أو لأسباب غير شرعية، ولكن في حالات الضرورة يباح تحديد النسل لأن (الضرورات تبيح المحظورات) وقد وضع هذا المجلس أسباباً يحق من خلالها تحديد النسل بشرط أن تكون حالات فردية ومن هذه الأسباب:

١. أن يكون ضرر محقق ككون المرأة لا تلد إلا بعملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لا مانع شرعاً.

٢. أن يكون لأسباب شرعية أو صحية يقرها طبيب مسلم ثقة.

٣. يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على الأم إذا كان يخشى على حياتها منه بتقرير من يوثق به من الأطباء المسلمين.

وعلى ذلك فإن الدعوة إلى تحديد النسل أو منعه بصفة عامة لا يجوز شرعاً للأسباب السابقة، وأشد من ذلك في الإثم والمنع، هو إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها، وفي نفس الوقت تنفق الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير بدلاً من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير (٢) .

ب. حكم التنظيم:

قرر مجلس الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس في الكويت ما يلي:

١. لا يجوز إصدار قانون عام يحد من حرية الزوجين في الإنجاب.

٢. يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل أو المرأة وهو ما يعرف "بالتعقيم" ما

(١) انظر: لسان العرب، مادة (نظم) (٤٤٦٩/٥).

(٢) سلسلة محاضرات العلماء البارزين (رقم ٢)، فقه الضرورة وتطبيقاته المعاصرة، د. عبد الوهاب أبو سليمان ص ١٩٦، طبعة الأولى ١٩٩٣م (بتصرف).

لم تدع إلى ذلك الضرورة بمعابيرها الشرعية.

٣. يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباحة بين فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان، إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعاً بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض، بشرط أن لا يترتب على ذلك ضرر، وأن تكون الوسيلة مشروعة، وأن لا يكون فيها عدوان على حمل قائم^(١).

ومما سبق يتبين الفرق بين التحديد والتنظيم فالتحديد حرام شرعاً إلا في الحالات التي ذكرت سابقاً وفي حالات فردية.

والتنظيم جائز ويعمم على الجميع ولكن بشروط ذكرت سابقاً ولا يحق لأحد التدخل في ذلك؛ لأن هذا الأمر يعدُّ من حرية الزوجين.

(٣) تشبيه تنظيم الأسرة بالوَأد:

هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي يثيرها المانعون لتنظيم الأسرة وكان من بين هؤلاء المانعين الإمام أبو زهرة -رحمه الله- والباحثة لا توافقه في هذا التشبيه وذلك للأسباب التالية يقول عبد الرحيم مران: "إن هذا التشبيه يخرج تنظيم الأسرة من مجرد أنه مكروه أو غير مستحب أو مخالف للأولى إلى اعتباره من المحرمات الأصلية والكبائر لأن القتل في الإسلام كذلك، وهذا التوصيف مثير للقلق والإنزعاج لأنه يصور المجوزين وكأنهم يحللون ما حرم الله"^(٢).

- وقد ذهب من شبه العزل بالقتل إلى الأدلة السابقة التي ذكرها الإمام أبو زهرة واعتمدوا على حديث جذامة^(٣) عندما سئل ﷺ عن العزل فقال (إنه الوأد الخفي) وكان رد المجيزين على المانعين ما يلي:

منع الحمل لا يعدُّ وأد؛ لأن الوأد يعني الاعتداء على موجود حاصل بقتل مولود حي، فمنع الحمل قبل حدوثه لا علاقة له بالقتل ودعموا مذهبهم برأي الإمام علي حيث نفى نفياً قاطعاً أن يكون العزل قتلًا، وكان ذلك في حضرة سيدنا عمر وجماعة من

(١) سلسلة محاضرات العلماء البارزين، ص ١٩٩ (بتصرف).

(٢) تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، د. عبد الرحيم مران، ص ١١١، وما بعدها، طبعة ١٩٩٤م.

(٣) جذامة بنت وهب الأسدية، أخت عكاشة بن محيصن لأمه، صحابية لها سابقة وهجرة، وقيل إسمها جذامة بالدال. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، (٦٢/٨)، (رقم ١٠٩٧٥)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م. تقريب التهذيب، (٥٩٣/٢)، (بتصرف).

علماء الصحابة، وقد أكد الإمام علي أنه لا يكون وأداً حتى يمر الجنين في مراحل السبع، حين يصبح خلقاً آخر وقد بنى رأيه على ما جاء في سورة المؤمنون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

-أما حديث جذامة عن العزل (أنه الواد الخفي) فقد رد عليه عبد الرحيم مران وهذه الردود هي:

- أ. أنه حديث آحاد لم يروه سوى جذامة وهو مكون من جزئين جزء عن القتل وجزء عن العزل وقد سقط الجزء الخاص بالعزل من رواية الموطأ والسنن الأربع.
- ب. أحاديث إباحة العزل أكثر ورواتها أحفظ كما قال البيهقي.
- ج. إن التعبير لا يعني التحريم.
- د. إن علياً وابن عباس أنكرا صراحة أن يكون العزل وأداً ووافق عمر على ذلك، وتشبيهه العزل بالواد الخفي كقولهم (الرياء هو الشرك الخفي).
- هـ. إن الرسول -ﷺ- أنكر على اليهود زعمهم أن العزل هو المؤودة الصغرى.
- و. إن بعض الصحابة مارسوا العزل^(١) وفعل ذلك من بعدهم التابعون إلى عصر مالك حين أباح العزل بإذن الزوجة ومعنى ذلك أن حديث جذامة لم ينسخ أحاديث الإباحة^(٢).

(٤) وأما قوله إن العزل ومنع الحمل هو تحد لقدرة الله ومعاندة لصريح الآية، فأقول إن الجميع يعلم أن إرادة الله نافذة وأن الله -ﷻ- إن أراد شيئاً فلن يعجزه شيء، لقوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] فمهما استخدم من موانع الحمل بأنواعها المختلفة فإن إرادة الله -ﷻ- فوق كل إرادة.

ومما تقدم يتضح أن تحديد النسل غير جائز شرعاً إلا بشروط وبرخصة ولا يباح كقاعدة عامة تعم على الجميع؛ لأنه إذا عمم فإنه يناقض مبدأ مقررًا ثابتًا وهو المحافظة على النسل.

(١) جاء في حديث عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (كنا نعزل والقرآن ينزل) فتح الباري، كتاب النكاح، باب العزل، (٣٠٥/٩)، (ح ٥٢٠٨).

(٢) تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، ص ١١٣، ١١٤، (بتصرف).

و**خلاصة القول**: فإن هذا الفصل بين تفسير الإمام لآيات الأحكام، ومن خلال فقهه يظهر هذا الإمام العلامة وما له من باع طويل في هذا العلم الواسع وتفهمه لما يطرأ على عصره من قضايا، وإنزال الفقه على الواقع بما يخدم الدعوة الإسلامية.

الفصل السادس

قضايا الحكم والدولة في تفسير الإمام أبي زهرة

المبحث الأول: موقفه من الحكم.

المبحث الثاني: موقفه من القوانين الوضعية.

المبحث الثالث: رأيه في الجهاد.

الفصل السادس

قضايا الحكم والدولة في تفسير الإمام أبي زهرة

الشريعة الإسلامية تتصف بالشمول والصالح لكل زمان ومكان، هي تهتم بأمور الدين وشئون الدنيا حتى تكفل حياة آمنة مطمئنة للمسلمين، ولم يترك الشرع الحنيف شئون الحياة ودروبها المتداخلة دون تحديد أو تنظيم؛ بل وضع لها أسساً وضوابطاً للحكم سواء كان داخل الدولة أو خارجها حتى يتسنى لهم الحفاظ على دولتهم دون أي خطر يداهمهم ويهدد أمنهم، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام الحنيف كما يهتم بشئون الدين يهتم بشئون الدنيا؛ لأن فيها صلاح المسلمين وسعادتهم وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

والقرآن الكريم فيه كثير من الآيات التي توجه الحاكم إلى ضرورة تحكيم شرع الله، وجهاد أعداء الإسلام للحفاظ على أمن المسلمين وسلامتهم.

المبحث الأول

موقفه من الحكم

الحكم هو نظام سياسي يقوم عليه مجموعة من الأفراد يتم اختيارهم لتنظيم شئون الدولة، كما أن للدولة خصائص منها السيادة والشورى.

والإسلام لم يعط الخليفة الحكم المطلق، بأن يجمع بين يديه سلطات التشريع والإدارة والقضاء؛ وذلك لأن التشريع مصدره القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، وأما القضاء فهو بمنأى عن تدخل الحاكم حيث يمكن مسأئلته أمام القضاء شأنه شأن أي فرد في الدولة، ولذلك فقد أخذ الإسلام بمبدأ المساواة، وإقامة الحريات الفردية والاجتماعية للأفراد^(١).

والإمام أبو زهرة تأثر بالظروف السياسية التي عاصرها مما عكس ذلك بشكل

(١) انظر: أصول الفكر السياسي وتطور الأشكال المختلفة لأنظمة الحكم المعاصرة، د. فتحي الوحيدي ص ٦٢، مطابع الهيئة الخيرية بقطاع غزة، طبعة أولى ١٩٩٠م.

مباشر على تفسيره وبين حكم الإسلام فيها وقد عرض مسائل متعددة لها علاقة مباشرة بشئون الحكم الداخلي والخارجي، وعرض أسس الحكم الصالح، وبين صفات الحاكم المسلم، والعلاقات الدولية بين الدول، والسياسة الشرعية.

كما أنه اعترض ورد على أفعال قام ويقوم بها حكام المسلمين، التي يخالفون بها الشرع الحنيف وفيما يلي بعض من جوانب السياسة التي عرضها الإمام في تفسيره:

أولاً: أصول الحكم في الإسلام:

بين الإمام أصول الحكم في الإسلام من خلال القرآن الكريم، وذلك بما يلي:

(١) الشورى:

الشورى كما عرفها الدكتور عبد الحميد الأنصاري: "هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب فيها في الأمور العامة المتعلقة بها"^(١). والشورى هي الطريقة المثلى لنظام الحكم وقد تحدث العلماء عن أهميتها:

يقول الإمام القرطبي: "إن الشورى ألفة للجماعة ومسار للعقول وسبب إلى الصواب وإنها خير وبركة"^(٢).

وقال الشهيد سيد قطب: "مبدأ الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظاماً سياسياً للدولة إذ هو طابع أساسي للجماعة كلها"^(٣).

وقال الإمام محمد الغزالي: "الشورى فضيلة إنسانية"^(٤).

أما رأي الإمام أبي زهرة في الشورى فهو يعتبرها النظام المستقيم للحكم، والتي تحقق المساواة، لأن المساواة تبتدئ باحترام الكرامة الإنسانية للبشر ولا كرامة مع الاستبداد بل رق واستعباد^(٥).

وقد بين الإمام -رحمه الله- أهمية الشورى في الإسلام وقال بأنها أمرٌ إلزامي وجهه الله -ﷻ- لنبيه -ﷺ- وبالتالي فهي إلزام للمسلمين جميعاً، لأن رسولنا -ﷺ- قدوة فيجب اتباعه وقد بين ذلك أثناء تفسيره، مثال ذلك:

(١) الشورى وأثرها في الديمقراطية، د. عبد الحميد الأنصاري، ص ٤، المكتبة العصرية، الطبعة الثانية.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٣٧/١٦).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٩٢/٧)، دار الشروق، الطبعة التاسعة ١٩٨٠م.

(٤) مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٨، العدد ٧، ص ٤٧، إبريل ١٩٧٤م.

(٥) قسم إسلامية، أبو زهرة وقضايا العصر، مقالة للإمام بعنوان (الشورى الشورى) ص ٣٧ (بتصرف).

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لئن لم يهتك به عهد لآلؤنا بهم لآلئناهم لآلئناهم لآلئناهم﴾ [آل عمران: ١٥٩]. قال: "الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام، وقد التزمها النبي -ﷺ- في كل أمر كان يمس أمور المسلمين العامة، فقد استشار في غزوة بدر قبل وقوعها، واستشار في الأسارى غيباً^(١) ووقوعها، واستشار في أحد، واستشار في غزوة الأحزاب، وكان من نتائج الشورى حفر الخندق والتحصن وراءه، واستشار في القتال يوم الحديبية، والتزم أبو بكر ومن بعده عمر الشورى.

وما اضطراب حبل الأمور من بعد إلا عندما منعت أمر الشورى... وقد اتفق الفقهاء على أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام لم نجد نصاً قرآنياً وضع منهاجاً لها ولم نجد النبي -ﷺ- وضح أسسها وطرائقها، نعم إنه كان يستشير من معه من أهل المدينة وكذلك كان يفعل الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلماذا لم يُبين ذلك في كتاب أو سنة؟ والجواب عن ذلك أن منهاج الشورى تختلف باختلاف الجماعات وباختلاف الأحوال، وباختلاف الموضوعات، ولا يوجد نظام ضابط لكل ذلك، بل ترك سن النظام للناس، ولا بد أن يتعمق معنى الشورى في النظام على أن يكون أهل الشورى من ذوي العلم والخبرة، ففي أمور الحرب يستشار أهل الحرب، وفي أمور القانون يستشار الفقهاء، والمشرعون، وفي أمور العمران يستشار أهل الهندسة، ولذلك تتألف اللجان النيابية من أهل الخبرة في كل أمر من أمور العامة"^(٢).

وبعد ذكر أقوال العلماء السابقين تبين أهمية الشورى في إقامة حكم صالح، ومن المثال السابق يتضح أن الإمام أبا زهرة مؤيد لأقوال العلماء في ضرورة وجود الشورى من أجل إقامة حكم عادل، وأن الشورى أصل من أصول الحكم وهو أمرٌ إلزامي ألزم به الله رسوله -ﷺ- كما ألزم به المؤمنين من بعده، وقد أثبت التاريخ الإسلامي الآثار العظيمة التي حققتها الشورى في انتصارات المسلمين.

والشورى أصل وضعه الإسلام، ولكنه لم يضع له منهاجاً معيناً تسير عليه الدول والسبب في ذلك: أنه لا يمكن وضع نظام ثابت للشورى، لأن الأشخاص والأزمان والموضوعات تختلف من عصر إلى آخر، وقد ترك ذلك للناس حتى يستخدموها بالشكل

(١) غيباً: غيبُ الشيء عاقبته، وجئته غيبُ الأمر أي بَعْدَهُ. انظر: لسان العرب، مادة (غيب) (٣/٤٠٣).

انظر: المصباح المنير، (٢/٩٤).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٢، العدد ٩، ص ٥٢٠.

المناسب لظروفهم وهذا قمة العدل الإسلامي.

(٢) الأمانة والعدل:

العدل من صفات الحكم العادل، كما أنه أصل من أصوله، فالعدل منافع للظلم، وبه تكون المساواة بين جميع البشر.

وعلى ضرورة توفير هذا الأصل في الحكم نادى الإمام أبو زهرة -رحمه الله-

مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. قال: "الحكم أمانة في أعناق الحكام، عليهم أن يؤدوا الأمانة فيه بإقامة العدل وتوخي المصلحة، وتجنب الفساد، سواء أكان فساداً معنوياً، أم كان فساداً مادياً، والأول أعلى أنواع الفساد، والثاني أدناها، ومن أمانة الحكام ألا يشقوا على الرعية، وألا يفسدوا ضمانه، ولا يزعجهم بالتظنين والتتبع ما داموا مؤمنين مذعنين كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. وإذا كانت رعاية الأمانات وأداؤها واجباً مفروضاً على الأمة كلها حاكمها ومحكومها، وأنها متعاونة المراتب، فإن الحاكم قد اختص بواجب آخر هو العدل وهو نوع من الأمانة التي اختص بها، ولذا قال سبحانه بعد الأمر بأداء الأمانات: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾... وعدالة الحاكم الأكبر تقتضي الرفق بالرعية، وألا يعمل إلا ما فيه مصلحة، وأن يمنع الرشوة، وألا يولي أحداً من دونه لهوى أو غرض فلا يوسد الحكم لمن دونه إلا لمن هو أهل له، ولقد قال النبي ﷺ: (إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة)^(١) (٢).

ويتضح من المثال أهمية الأمانة والعدل في الحكم، إذ إن الرعية أمانة في أعناق الحكام والأمانة تقتضي فيه أن يكون عادلاً في كل شيء فلا يغلب هواه أو مصلحته على حساب الناس والعدل يتطلب منه إبعاد الفساد، وتغليب مصلحة الناس، والعدل مع جميع الناس في دولته من مسلم أو ذمي ولا يدفعه كرهه لأحد بالظلم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

(١) فتح الباري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه. (١/٤١)، (ح ٥٩)، وفي الحديث (فانتظر الساعة).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٥، العدد ٤، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) طاعة الحكام:

الطاعة لأولي الأمر واجبة هذا ما صرح به القرآن الكريم بشرط أن يكونوا مؤمنين وأن لا تكون طاعتهم في معصية الله -عز وجل- وقد بين الإمام أبو زهرة -رحمه الله- ذلك في العديد من المواضع منها:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. قال رحمه الله: "وأولوا الأمر هم الذين بيدهم الحل والعقد، ويبيدهم مقاليد الأمة التي يقومون على رعاية مصالحها وشؤونها، وإرشادها وتوجيهها، وقد قال بعض الحكماء إنهم الفقهاء والذين يستطيعون استنباط الأحكام، ولكن الأكثرين على أن ولاة الأمر هم الحكام وأهل الحل والعقد. ونلاحظ هنا أمرين:

أحدهما: أن القرآن الكريم يصرح بأن ولاة الأمر هم الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا من المؤمنين، ولذلك يقول سبحانه (منكم)، فلا طاعة مطلقاً لمن يغلبون على شئون المسلمين ممن ليسوا من أهل الإيمان، فأولئك المنحرفون من بعض أهل الهوى الذين يزعمون أنهم مسلمون، ويزعمون أن الإنجليز أيام حكمهم كانوا من ولاة الأمور الذين يوجب النص طاعتهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً وهم بهذا خارجون عن حكم الإسلام.

ثانيهما: أن الله قرن طاعة أولي الأمر بطاعة الله ورسوله، فوجب أن تكون طاعتها من جنس طاعة الله تعالى ورسوله بأن تكون في سبيل العدل ولا تخرج عن حدوده.

وإنه باقتران هذه الآية بالآية السابقة يستبين أن ولاة الأمر الذين تجب طاعتهم هم العادلون لأن الأولى أوجبت العدل، والثانية أمرت بالطاعة، فلو كانوا غير عدول لكانت الطاعة مسaire لهم على الظلم...^(١).

يتضح أن الطاعة لأولي الأمر هي طاعة الله ورسوله وهي واجبة على المؤمنين لأن معصية الحاكم هي معصية الله ورسوله، والحاكم الذي يجب طاعته يجب أن يكون حاكماً مسلماً وأن تكون طاعته فيما فيه إرضاء لله سبحانه وتعالى، والطاعة فيها اعتصام ووحدة وعدمها تفرقة وضعف وذل للمسلمين بحيث يصبحون مفرقين لا تجمعهم كلمة، ولذلك كانت الطاعة واجبة على المسلمين.

ثانياً: صفات الحاكم:

ذكر الإمام أبو زهرة -رحمه الله- صفات الحاكم العادل مستنبطاً إياها من القرآن

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٥، العدد ٤، ص ١٩٦، ١٩٧.

الكريم وذلك من خلال سورة يوسف عليه السلام، مثال ذلك:

عند تفسيره لخاتمة السورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]. قال رحمه الله: "وفي سورة يوسف صورة للحاكم العادل، تراها في أوصاف يوسف عليه السلام وأول هذه الصفات البارزة: قوة الإرادة، ومظهرها الصبر عندما تعتلج النفس بأسباب الشهوات.

وثانيهما: الأناة، وأن يضبط نفسه عند الغضب، ولا ينساق وراءه، فالحاكم الذي يسير وراء الغضب يشط، ويظلم، وقد رماه اخوته بالسرقة كاذبين عليه، معرضين عنه. ثالثهما: الثقة بالنفس، وطلب الأمر إن كان يصلحه كما قال يوسف ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥] فلم يرفض تحمل التبعة عن بينة وجدارة واستحقاق مع ذاكرة قوية مدركة، يعلم ما مضى وما حضر.

خامسها: الإخلاص لله تعالى، وعبادته وحده، فلا يشرك، فتدئين الحاكم يجعله خاضعاً لله. سادسها: أن يكون رفيقاً في معاملة الناس شفيقاً بهم، فهو كالموالي على التعميم، يعطيهم من رفقته ورفقه^(١) ما يدينهم إليه، وهكذا كان يوسف حتى وهو في سجنه ... سابعها: التأني للأمور وقد رأينا كيف أخذ الثقة في لين ومن غير إعانات من العزيز ظهر ذلك فيمن هو أعلى منصباً منه، وظهر في صغائر الأمور كما رأيت في استبقائه أخاه من غير اقتتال، بل بوضعه السقاية في رحل أخيه من غير اتهام لشخصه ثم أخذ الحكم من ألسنتهم ونفذه بقولهم^(٢).

والإمام - عليه رحمة الله - وضح صفات الحاكم العادل مستنبطاً هذه الصفات من شخصية يوسف - عليه السلام -، وهذه الشخصية تحمل صفات رائعة يجب توفرها في كل حاكم يريد الخير لدينه وشعبه ويأبى هذه الصفات تتوفر في حكامنا المعاصرين.

ثالثاً: السياسة الشرعية:

السياسة الشرعية هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال

(١) رَقْدَةٌ: الإِعْطَاءُ وَالْإِعَانَةُ. انظر: القاموس المحيط، مادة (رقد) (٣٦١/١)، وانظر: مختار الصحاح ، للجوهري، (١٠٥/١).

(٢) زهرة التفاسير، [يوسف: ١١١]

المجتهدين وبعبارة أخرى هي متابعة السلف الأول في مراعاة المصالح ومسايرة الحوادث^(١). وقد تناول الإمام الحديث عن هذه السياسة، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَالْأُمَّةَ مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] وبعد كلام مطول للإمام على تحريم الزواج من المشركات، تعرض للحديث عن الزواج من الكتابيات وقام بعرض المخاطر التي تواجه الدولة الإسلامية عند الزواج من غير المسلمة حيث قال: "بيد أنه يلاحظ في إباحة الزواج من الكتابيات أن النص القرآني المبيح خاص بالمحصنات منهن إذ قال سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] والمحصنات في أظهر التفسير هن العفيفات، فأولئك الذين يعمدون إلى المنحرفات منهن في أخلاقهن وعقولهن ولا يتخيرون خارجون عن موضع الإباحة فيما أحسب، لأن الله أحل المحصنات، وهم استحلوا المنحرفات....

الأمر الثاني: أن ولي الأمر إذا رأى خطراً على الدولة الإسلامية، أو على المجتمع الإسلامي، له أن يمنع الناس من ذلك الزواج بوضع عقوبات لمن يقدم عليه سداً للذريعة ومنعاً للشر؛ وذلك من باب السياسة الشرعية، لا من باب تحريم ما أحل الله؛ لأن الحل قائم على أصله، والمنع وارد على الضرر الذي يلحق المسلمين، إذ في ذلك من الاعتداء على جماعتهم ما فيه، كما أن أصل الأكل حلال، ولكن اغتصاب أموال الناس لنأكلها حرام للاعتداء فيه، ولذلك سارت الدولة على منع رجال السلك السياسي من الزواج من الأجنبية.

وقد علمنا أن ضباطاً في الجيش يجلسون في مناصب قد تمكنهم من معرفة سر عذته وعتاده قد تزوج بعضهم من يهوديات، فحق على الدولة أن تتحيزهم من أماكنهم، خشية على الجيش وقواده وأن تسن قانوناً يمنع ذلك في المستقبل^(٢).

كما وضح الإمام -رحمه الله- فإن الأصل الإباحة والمنع ناتج عن الضرر إذ إن الزواج بغير المسلمة لمن له منصب رفيع في الدولة هو في غاية الخطر على أمن الدولة ولذلك يجب أخذ الحيطة والحذر ومنع ذلك لمصلحة المسلمين.

(١) السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاف، ص ١٥، دار الأنصار، طبعة ١٩٧٧م. وانظر: السياسة الشرعية الحديثة، د.محي الدين قاسم، ص ٧٠، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-القاهرة- طبعة أولى ١٩٩٧م.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١٢، ص ٧٣٤.

والباحثة توافق الإمام فيما ذهب إليه؛ لأن ذلك يشكل خطراً كبيراً على الدولة وأهلها ومن معنى السياسة الشرعية نعرف أنها هي تدبير الأمور الدولة بما يحقق مصالحها ويدفع الضرر عنها بحيث لا يتعدى حدود الشرع.

رابعاً: تولية غير المسلم للمناصب السياسية:

الإسلام يرفض تولية غير المسلم في المناصب السياسية في الدولة، إذ إن المؤمن يرعى حق المؤمنين أكثر من أي شخص آخر، ولا يؤمن غير المؤمن على ذلك مثال ذلك من تفسير الإمام :

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] قال رحمه الله: "...وصدّر النداء بوصف الإيمان للإشارة إلى أن مقتضى الإيمان ألا يستعينوا بأولئك الذين كفروا بآيات الله تعالى، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، ففضية إيمانهم وكفرهم توجب ألا تؤمنوهم في خاصة أموركم، ولقد كان السلف الصالح يأخذون بذلك الهدي القرآني، فقد كان عمر -رضي الله عنه- ينهى عن اتخاذ الأعوان من أهل الكتاب وغيرهم ، فقد قال ﷺ: (لا تستعملوا أهل الكتاب ، فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم ورعيتكم بالذين يخشون الله تعالى) (١).... (لا يألونكم خبالاً) الخبال كالخيل: الاضطراب والفساد وهما متلازمان... ومعنى قوله تعالى: لا يقصرون في جهد يبذلونه لهزيمتكم ولا يمنعونكم خبالاً واضطراباً في الأمور أي لا يمنعونكم باذلين الجهد في تحقيق مقصدهم ومرادهم فساداً واضطراباً في الأمور، ليفسدوا عليكم دينكم ويقوضوا دعائم دولتكم ويخضدوا شوكتكم ، ويكون أمركم بواراً بالفتن التي يبثونها والريب الذي يثيرونها.

ولقد صدق الله تعالى كلماته، فمن وقت أن صارت بطانة الملوك والأمراء من أهل الكتاب، وأمور المسلمين فوضى تخفي الفوضى السياسية عندما يكون الأمير أو الملك قوياً، ولكن تكون في بث أفكار فاسدة، وآراء تحل الوحدة، وقد كان أول من اتخذ كتاباً من أهل الكتاب معاوية بن أبي سفيان ، وحسبك أن تعلم أنه في عهده انتشرت الإسرائيليات، والأفكار التي تثير الريب في الحقائق الإسلامية، وقد كان يوحنا الدمشقي (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٧٤٣/٣)، (رقم ٤٠٣٨).

(٢) يوحنا الدمشقي (القديس) معلم الكنيسة ولد ٦٧٥م لاهوتي سوري، حجة في أمور الدين نشأ في =

كاتب عبد الملك بن مروان^(١) وأبوه الذي كان كاتبًا لمعاوية ييئنان الأفكار الفاسدة بين المسلمين مثل ادعائهم عشق النبي لزينب بنت جحش^(٢)، ومثل إثارة الكلام في الطلاق الثلاث، بل الكلام في أصل الطلاق، وإثارتهم الكلام في أن الله متصف بصفة الكلام أو غير متصف، وأن القرآن قديم أو غير قديم، ومثل إثارتهم الكلام في الجبر والاختيار. وبذلك كانوا يحلون الوحدة الفكرية ليتسنى لهم من بعد حل القوة الإسلامية كما ظهرت النتائج من بعد^(٣).

و في المثال السابق يتضح ضرورة عدم تولية غير المسلم في مناصب الدولة لأن ذلك في غاية الخطورة وقد قدم الإمام -رحمه الله- أمثلة لأشكال الفساد الذي أشاعه من تولى المناصب من غير المسلمين لأفكار خطيرة من شأنها أن تحل الوحدة الفكرية بين المسلمين وبالتالي تغرقهم فلا يعد لهم كلمة جامعة كما هو السائد في عصرنا.

خامسًا: العلاقات الدولية:

العلاقات الدولية يُقصد بها العلاقة ما بين الدول بعضها مع بعض وللإمام كتاب بعنوان العلاقات الدولية في الإسلام^(٤) تناول فيه دعائم العلاقات الإنسانية، والعلاقات الدولية في حال السلم وفي وقت الحرب ومن الأمور التي تعرض لها في تفسيره:

(١) الميثاق والعهود:

الميثاق والعهود علاقة دولية بين المسلمين وغيرهم، ألزم الإسلام المسلمين بعدم نقضهم للعهود والمواثيق، إلا في حالة الاعتداء عليهم وقد بين الإمام -رحمه الله- ذلك:

فلما كان في سنة ١٠٠٠ هـ، الموافق ١٥٩١ م، كان يعمل أبو الهيثم الذي ورث عنه وظيفته، ثم تنحى عنها ودخل ديرًا في فلسطين، وبذل جهدًا في الدفاع عن العقيدة ضد مبيدي الصور، اشتهر بمؤلفاته اللاهوتية مات سنة ٧٤٠ م. الموسوعة الميسرة، ص ١٩٨٩ م.

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً ولد ٢٦ هـ انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه، كان جباراً على معانديه، ضببت الحروف بالنقط في أيامه، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، مات سنة ٨٦ هـ. انظر: فوات الوفيات، (٤٠٢/٢). انظر: الأعلام، (١٦٥/٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٨٦٨/٥).

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١١، العدد ٩، ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٤) العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٨٩]، [٩٠]. قال: "الاستثناء هنا منفصل بمعنى لكن وهو من الأمر بالأخذ بالنواصي، والقتل حيثما وجدوا ولا تقتلوا أحداً من هؤلاء الذين يصلون بالانتماء أو الرعية إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد موثق لا يصح النكث فيه، ولا الخروج على أحكامه، أو التمرد على مقتضاه، فهؤلاء يعاملون كالدولة التي ينتمون إليها والأقوام الذين يصلون أمورهم بهم، ولا يصح أن يقتلوا أو يؤسروا، لأن قتلهم أو أسرهم نقض للعهد الذي وثق وأكد، والله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] ويقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] وإن قوله تعالى ﴿يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ يدخل في مضمونه طائفتان:

أولاهما: طائفة تكون رعية لدولة بينكم وبينهم عهد وميثاق، فإنه لا يشترط لنجاتهم أن يخرجوا إليكم مهاجرين فإنهم آمنوا بمقتضى العهد والميثاق فإن أعلنوا الإسلام، لا يستراب في أمرهم.

والثانية: من يتصلون بعهد أو ميثاق أو ولاء ممن كان بينكم وبينهم عهد فإن لهم حكم من يكونون رعية لمعاهدكم، وإن هذا الصنف يصح أن ينطبق على من لا يظهرون الإسلام ولكن يظهرون السلام.

وهناك صنف لا ينتمي لقوم ذوي عهد، ولكنه لا يقاتل قومه لعذر عنده، ويخرج إلى المؤمنين مخلصاً لله الدين أو ملقياً بالسلام، وهم الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] (١).

والإمام بين مقصود الآيات في ضرورة الالتزام بالعهد والميثاق بين المسلمين وغيرهم واستدل بعدد من الآيات ليوضح أهمية هذه العهود كما أنه بين نوعية الطوائف التي يجب أن تكون معها هذه المواثيق والعهود.

(٢) السلم:

السلم من المسالمة والموادعة والصلح وهو أمر يفرضه الدين بالضرورة بين المسلمين، أما بين المسلمين وغيرهم فلإمام في ذلك كلام، مثال ذلك:

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٦، العدد ٢، ص ٩٠.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] قال رحمه الله: "...أما مسألة المسلمين لغير المسلمين فقد أثار القول حولها من فهم ظواهر الأمور ولم يتغلغل في بواطنها، إذ قال إن الإسلام قد أباح القتال، والقتال والسلام نقيضان لا يجتمعان، والكثرة الكبرى من فقهاء المسلمين تقرر أن الأصل في العلاقة الدولية بين المسلمين وغيرهم الحرب حتى يتقدموا بعهد أو موادة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَحِبْ لَهُا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] ذلك قول الذين فهموا الأمور بظواهرها والحقيقة أن الإسلام دعا إلى السلام وحث عليه^(١)، ومبدؤه العام التعارف بين بني الإنسان لا التناذب بينهم، ولذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فما جاء الإسلام للحرب والخصام، بل جاء بالهدى والسلام، ولكن سلام الإسلام سلام عزيز قوي، وليس بسلام ذليل خانع والسلام القوي يرد الاعتداء بمثله، ولذلك لما اعتدى المشركون على المسلمين أباح الإسلام القتال وقال سبحانه: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] فما أباح الإسلام القتال إلا لدفع الاعتداء، وليس القتال لدفع الاعتداء إلا دعوة إلى السلام القوي الفاضل، وفرق ما بين السلم العزيزة القوية، وبين الذل والخضوع، إن السلام القوي هو القدرة على رد اعتداء المعتدين إن اعتدوا، أما الذل فهو الاستسلام والخضوع للمعتدين، وما بذلك أمر الإسلام، وليس هذا من السلام في شيء، بل هو إغراء بالقتل والقتال وتمكين لظلم الظالمين.... ولقد قرر الفقهاء أن الأصل الحرب حتى يكون عهد؛ لأن الأصل بين الدول في وقت اختلافاتهم^(٢) كان الاعتداء حتى يتعاهدوا، فما كان الإسلام ليسالم وهم يحاربون^(٣).

وفي هذا المثال يخالف الإمام قول الفقهاء القائلين إن الأصل في العلاقات هو الحرب ويرى أن الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم، فإن كان هناك اعتداء

(١) للشيخ كلام مطول في هذا الموضوع ذكره في كتابه العلاقات الدولية في الإسلام، ص ٤٧ .

(٢) ذكر الإمام أبو زهرة (في وقت استتباطهم) والصواب حسب اعتقادي ما ذكرت حتى يستقيم المعنى.

(٣) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٧، ص ٣٩٩.

فالحرب خير وسيلة ، ويرى أن الإسلام دين هدى وسلام، وسلامه قوي غير ذليل يرد الاعتداء بمثله ويرفض الذل والخضوع والاستسلام.

(٣) المعاملة بالمثل^(١):

المعاملة بالمثل قانون دولي في الإسلام، خاطب الله به المسلمين في معاملة غيرهم بالمثل في السلم والحرب وقد تحدث عن ذلك الإمام أبو زهرة، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] قال رحمه الله: "أما قوله تعالى ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ، فهي تبين العلاقة الدولية، بين المسلمين وغيرهم، لأن الخطاب فيها للمسلمين مجتمعين كدولة لها نظم حاكمة، وسياسة قائمة، يبين هذا الخطاب ما يجب على دولتهم في معاملة غيرهم به في حرب أو سلم وفي منازلة أو مهادنة، فذكر الله سبحانه أن تلك المعاملة هي المعاملة بالمثل... وقوله سبحانه ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ هو القاعدة العامة للقانون الدولي في الإسلام في السلم والحرب معاً، فمن لم يعتد على المسلمين، وترك دعوة الإسلام الحق تسير في مسارها، وتستقيم على منهاجها من غير محاجزة بين الناس وبينها، فالعلاقة به سلمية خالصة، كالشأن مع النجاشي ملك الحبشة ومن اعتدى على المسلمين كانت العلاقة بينهم بقدر ذلك الاعتداء، سواء أكان الاعتداء في سلم أم ليس لبوس الحرب، وإذا عاهدتهم أحد حفظوا عهودهم إلا أن ينكث معهم ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠] ولكن الخصم إذا لم يكن له خلق قد يقع في أمور تضر بالخلق القويم، كأن ينتهك الأعراض في الحرب، أو يقتل الذرية الضععات أو الشيوخ الذين لا حول لهم ولا قوة، فهل يُعتدي بمثل اعتدائه، ويسلك المسلمون مثل مسلكه؟ هذا ما بينته الجملة الآتية وهو عدم الجواز ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾...^(٢) .

وهذا المثال يوضح عدالة التشريع الإسلامي في المعاملة بالمثل، وبقدر الاعتداء يعتدي عليهم دون زيادة على ذلك؛ لأن فيه وقوع بالظلم، ثم يتساعل الإمام في النهاية قد يعتدي على الأعراض والأطفال والشيوخ فهل نعتدي على أطفالهم وشيوخهم من باب الاعتداء بالمثل، رد الإمام أبو زهرة بعدم الجواز مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

(١) انظر: العلاقات الدولية في الإسلام، للإمام محمد أبي زهرة، ص ٨٩، ذكره الإمام بالتفصيل.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٣، ص ١٤٦، ١٤٧.

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

والباحثة تختلف معه في هذا الرأي؛ لأن العدو قد يجند نفسه وشعبه لمقاتلة المسلمين فهل يكون عدم الرد، ونحن نعرف أن اليهود يحتلون أرض فلسطين، ويقتلون أطفالهم وشيوخهم ونساءهم وشبابهم ويقتلعون زرعهم، ويقصفون منشأتهم ويحاولون تدمير كل ما يجدونه في طريقهم ولا يرحمون أحداً منهم، وهم يجندون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم على كره المسلمين وقتالهم ويغرسون في عقولهم أن أرض فلسطين أرضهم منذ مئات السنين ويجب التمسك بها مهما يكن، وكل يهودي صغيراً كان أو كبيراً، رجلاً أو امرأة، يعد غاصباً ومحتلاً لأرض المسلمين يجب قتاله وإخراجه منها، والنص القرآني في هذه المسألة واضح (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وفي ذلك قال ابن قدامة: "وإذا قاتل معهم عبيد ونساء وصبيان فهم كالرجل البالغ الحر يقاتلون مقبلين، ويتركون مدبرين، لأن قتالهم للدفع، ولو أراد أحد هؤلاء قتل إنسان جاز دفعه وقتاله، وإن أتى على نفسه؛ ولذلك قلنا في أهل الحرب إذا كان معهم النساء والصبيان يقاتلون قوتلوا وقتلوا" (١).

وعلى ذلك من باب المعاملة بالمثل إن اعتدوا على الأعراض والضعفاء من الشيوخ والأطفال والنساء يجب الرد عليهم وذلك من أجل الدفاع سواء كان في حالة حرب أو احتلال.

وخلاصة القول في هذا المبحث إن الإمام أبا زهرة كان يهتم بإدخال السياسة في تفسيره وإنزالها على أرض الواقع وهذا مما لا شك فيه يبين تأثير الظروف السياسية المحيطة به، وقد حاول نقض الواقع، ورفضه للاستبداد والظلم، ونقضه لأفعال الحكام، وتوجيهه إلى ضرورة تحكيم شرع الله حتى يسود العدل والخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

(١) المغني، للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة، (١١٠/٨) مكتبة الرياض الحديثة.

المبحث الثاني موقفه من القوانين الوضعية

الشريعة الإسلامية شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وعلى اختلاف العصور والأجناس لأنها من رب العالمين، وقد أنزل الله -ﷻ- القرآن الكريم، وهو كتاب عام شامل لكل متطلبات الحياة قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والله -ﷻ- له الحاكمية، وله حق التشريع على عباده، ولا يجوز لأحد أن يشاركه في ذلك، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم لتؤكد على أنه ليس لأحد حق التشريع غيره ومن يفعل ذلك فهو كافر فاسق ظالم فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] وقال تعالى فيمن يتحاكمون لغير الله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وقد نص القرآن على حكم من لم يرض بحكم الله -ﷻ- يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

والقوانين الوضعية هي قوانين يضعها البشر لتحل محل القانون الإلهي، يظنون أنهم باستطاعتهم أن يضعوا قوانين جديدة تصلح للأفراد بحجة أن الإسلام لا يصلح لكل زمان ولا يواكب تطورات الحضارة؛ ولكن نرد عليهم بأن قوانينهم قوانين واهية ضعيفة لا توفي بحاجات البشر ولا تصلح لتنظيم حياتهم؛ لأن القرآن معجز في ذاته يصلح لتنظيم حياة الأفراد على مر الأزمان فلا يحق لأحد حق التشريع ولا سن القوانين، ومن يستبدل شريعة غير شريعة القرآن فإنه بحكم القرآن كافر.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "إن الحكم لا يكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته إذ الحاكمية من خصائص الألوهية، سواء ادعى هذا الحق فرد أو طبقة أو حزب، أو هيئة أو أمة أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية، ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته، وادعاها، فقد كفر بالله كفرًا بواحًا، ويصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة حتى بحكم هذا النص وحده" (١).

(١) النص هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]. في ظلال القرآن

وعلى ذلك فإن الحاكمية من خصائص الألوهية، و لها ارتباط بعقائد المسلمين فلا يجوز انكارها.

أما عن موقف الإمام أبي زهرة من القوانين الوضعية فهو يرى أن تحكيم شرع الله -عز وجل- في الأرض ضروري لما فيه من صلاح للناس جميعاً، ويدعو بكل جرأة وصراحة إلى أن يعود المسلمون إلى تحكيمها بدلاً من القوانين الوضعية القاصرة.

ولعل من القوانين التي ردها والتي مرت في الفصل سابقاً مسألة (تحديد النسل).

فقد رد الإمام بكل قوة هذه المسألة التي لها أبعاد سياسية من قبل أعداء الإسلام.

والإمام لم يخل تفسيره من الحث على التحاكم بشرع الله ونبذ القوانين الوضعية

التي أدت بالمسلمين إلى المهالك، مثال ذلك:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] قال طيب الله ثراه: "...ويجب التنبية إلى أن التحاكم إلى النبي بعد وفاته هو التحاكم إلى كتاب الله وسنة النبي، فيجب أن يعلم كل من يسمي نفسه مسلماً أن الله تعالى يقرر أنه لا يؤمن من لا يتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، ثم لا يجد ضيقاً في حكم الشرع، بل يرضى به، وينقاد له انقياداً ظاهراً وباطناً.

وإذا كان ذلك ما يقرره الشرع، فليعلم المسلمون اليوم مكانهم من الإيمان، وقد ارتضوا حكم القوانين الأوروبية بدل كتاب الله وسنة رسوله، وإذا دعوا إلى حكم الله ضاقت صدورهم حرَجًا وعلموا ولم يسلموا، بل يناوئون ويعاندون، إذ هم يؤمنون بما عند الأوروبيين أكثر من إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

٢. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠] قال رحمه الله: "... وقد كان النهي عن اتباع أهوائهم فيه إشارة إلى أن الحكم إما أن يكون بما أنزل الله تعالى وأعلمه بحكمته وهدايته، وإما أن يكون اتباعاً لأهواء الناس ورغباتهم، وذلك لأن القوانين البشرية تتبع الأعراف الإجتماعية

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٥، العدد ٦، ص ٣٢٩.

للناس، وما تَوَاطَئُوا عَلَيْهِ، وما ارتضوه لذات أنفسهم، وقد يكون ظلمًا طَبَقِيًّا، وقد يكون هضمًا لحقوق ذوي الحقوق التي اكتسبها بما ينمي ثروة الجماعة ويزيد خيراتها، وشرع الله مخالف لحكم الهوى والشهوى، وهو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال... إننا نرى في عصرنا بعضًا من هذا الصنف، فلا تزال تطلع على طائفة منهم يقولون إن التشدد في الأخذ بأحكام القرآن وما جاء به محمد - ﷺ - ينفّر الناس من الإسلام، ويبعدهم منه، وإننا لنسمع كلام هؤلاء وليسوا من غير المسلمين، بل المسلمون تتلوى بذلك ألسنتهم، فمنهم من ينفّر من تحريم الإسلام للربا، لأنه ضد الاقتصاد، ومنهم من يمنع إقامة حدود الله، ويقولون إن ذلك يتنافى مع الحضارة، فينفّر الناس من الإسلام، يرددون ذلك في مجالسهم، ويقولون وهم على الأرائك متكئون، ويغمزون في القول لمن يتشدد، وجاراهم مع الأسف بعض من يتكلمون باسم العلم الإسلامي ولا حول ولا قوة إلا بالله... ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.. وإنه لا وسط بين حكم الجاهلية وحكم القرآن؛ لأن القرآن هو العدل وهو النظام، وهو المساواة في الحقوق والواجبات لا يعفي من حكمه شريف، ولا حاكم وليس فيه من ذاته مصونة لا تمس بل الجميع أمام الله تعالى سواء وأما حكم غير القرآن ففيه التفاوت بالطبقات، وفيه السيطرة التي لا يسوغها منطق ولا عدل، ولا نظام، وفيه أكل أموال الناس بالباطل كالربا وسائر أنواع السحت، وقد قال بعض التابعين (من حكم بغير الله فهو حكم الجاهلية)^(١).

وقد جاء في التفسير الأثري لابن كثير المحدث والمؤرخ ما نصه: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند في شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات، والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيزخان)^(٢) الذي وضع لهم الباسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (٦٤/٢)، وهو قول الإمام الحسن البصري.

(٢) جنكيزخان: ولد عام ١١٦٢م، في إقليم دولون بندق (بلاد فارس) سلطان التتار ومنشئ الإمبراطورية المغولية هز بفتوحاته أركان الدول جميعاً فباين الصين والبحر الأسود، توفي عام ١٢٢٧. المنجد في اللغة، ص ١٧٤، (بتصرف).

رسوله^(١) .

وما أشبهه الباسق الذي وضعه جنكيزخان بقانون نابليون وما جاء بعده من قوانين ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ القدير^(٢) .

يتضح من المثالين السابقين رفض الإمام أبي زهرة الاحتكام بالقوانين الوضعية ومطالبته بضرورة تحكيم شرع الله ، وقد لام -رحمه الله- على المسلمين؛ لأنهم ارتضوا الحكم بهذه القوانين القاصرة واعتبروا أن التشدد في أحكام الإسلام يتنافى مع الحضارة وينفر الناس منه، وقد بين الفرق بين القانون الإلهي والقانون الوضعي وبين العدل الإلهي في هذا القانون الذي لا يظلم أحدًا والقول ما اختاره الإمام أبو زهرة. وبتنفيذ هذه القوانين الوضعية في بلاد المسلمين يكون أعداء الإسلام قد نجحوا في مهمتهم وهي إبعاد المسلمين عن دينهم ويا ليت المسلمون يفهمون ذلك.

وخلاصة القول من هذا المبحث إن القرآن الكريم ينص على ضرورة الاحتكام بشرع الله لما فيه من العدل والخير للناس جميعًا والاحتكام بغير شرع الله خروج عن الدين.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٦٤).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٥، ص ٢٧٣.

المبحث الثالث رأيه في الجهاد

الجهاد في الإسلام فرض على المسلمين فهو في أصله فرض كفاية بالحال الذي لا تهاجم به الأمة ولا تستباح فيها حمى الديار، فإن دخل العدو جزءاً من الأرض الإسلامية كان الجهاد فرضاً عينياً على كل مسلم باستطاعته حمل السلاح، وتوأم الأمة كلها إن لم تجاهد في تحرير هذه الأرض الإسلامية.

وقد جاء في القرآن الكريم نصوص قرآنية كثيرة تحث على الجهاد، ومحاربة أعداء الإسلام، وإعداد العدة لمحاربتهم قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وكذلك حث الله -ﷻ- المؤمنين بعدم ترك المعركة والفرار منها لما فيه من الضرر الكبير الذي يلحق بالمسلمين قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] .

وقد ضمت السنة النبوية مجموعة من الأحاديث التي بينت فضل الجهاد قال عليه السلام: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)^(١) وإن عدة الجهاد الصبر والإيمان يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

والجهاد يجب أن يكون خالصاً لله -ﷻ- فلا يبتغى منه شهرة ولا مال ولا منصب، بل يكون الهدف منه رفع كلمة الله في الأرض وجعلها الكلمة العليا. ورأي الإمام أبي زهرة -طيب الله ذكراه- في الجهاد رأي نابع من إنسان يخاف على أرض الإسلام ويدعو المسلمين جميعاً إلى الجهاد بأموالهم وأنفسهم، كما أنه يعدُّ الجهاد الآن فرض عين بعد أن استباح الأعداء أرض المسلمين وقتلوا أبناءهم وشيوخهم وأطفالهم، وينادي الإمام كثيراً بهذا الأمر ويدعو المسلمين إلى الاستيقاظ من

(١) فتح الباري، كتاب الجهاد، باب فضل رباط في سبيل الله (٨٥/٦)، (ح ٢٨٩٢).

نومهم العميق وتحرير مقدساتهم الإسلامية من أيدي اليهود وقد أشار إلى ذلك من خلال عدة مقالات^(١) له: حيث قال: "...إن اليهود المتفرقين في بقاع الأرض يجتمعون على باطلهم، ويتآزرون، ويشدون علينا بنكاية قاتلة، وهم في أشتات الأرض لا يتجاوزون بضعة عشر مليوناً، فهل نعجز ونحن عدداً يبلغ خمسين وسبعمئة مليون، ومنا دول قائمة ذات سلطان، إننا نحن نعجز أنفسنا، وشر من في الأرض من يستخذي وهو القوي، ويستكين وهو القادر، لقد استضحكوا وهم يدخلون بيت المقدس، وسخروا من أتباع محمد النبي المجاهد - عليه الصلاة والسلام - فاجعلوا ضحكهم بكاءً، وقلوا لهم بلسان الفعال ﴿قَالَ إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

أيها المسلمون هذا دينكم يحاولون أن يفسدوه، وهذه أرضكم يعيشون فيها فساداً، وهذه مقدساتكم قد دنسوها، وهذه أعراضكم قد هتكوها، وهذه نفوسكم قد ذبحوها، فلماذا أنتم ساكتون لا تعملون، إلا أن تكونوا قد رضيتُم بالذنية في دينكم والذل لكم وإخوانكم، إن صوت الخلود يناديكم في كتاب الله العزيز الحكيم. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُمَّهَاتُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥] ألا فكونوا أنصار الله ونصراءهم تتالوا العزة، وتقوموا بحق الإيمان، وإلا فبطن الأرض خير لنا من ظهرها"^(٢)

وبعد هذا العرض لرأي الإمام في الجهاد، وحثه للأمة على النهوض لنصرة دينها وتحرير مقدساتها من دنس الأعداء وضرورة مناصرتهم لإخوانهم المستضعفين تعرض الباحثة بعض الأمثلة من تفسير الإمام أبي زهرة:

أ. وجوب الجهاد:

يعد الإمام أبو زهرة - رحمه الله - الجهاد فرض عين إذا وجد في أرض الإسلام من يطاها من الأعداء، فيجب على الأمة استردادها وجهاد الكفار عليها، مثال ذلك:

(١) انظر: مقالة بعنوان (عدة الجهاد الصبر والإيمان) للإمام محمد أبي زهرة مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٨ ص ٤٨٣، وانظر: مقالة بعنوان (الجهاد الآن فرض عين) مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٣، العدد ١، ص ٢٠، وانظر: مقالة بعنوان (المسجد الأقصى) لواء الإسلام، السنة ٢٣، العدد ٩، ١٠، ص ٤٧٦.

(٢) مقالة بعنوان (الجهاد الآن فرض عين) لواء الإسلام السنة ٢٣، العدد ١، ص ٢٣، ٢٤.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] قال رحمه الله: "إن هذه الآية فيها فرضية القتال، وظاهرها أنها تفرض الجهاد على جميع الناس القادرين عليه، وقد قال بعض العلماء لهذا: إن الجهاد فرض عين على القادرين عليه، ولقد قال عليه السلام: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية)^(١) .

وقد قال بعض العلماء: إن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين... وقد أجمع العلماء على أنه إذا نزل العدو بساحة البلاد وجب القتال على كل المسلمين كل بمقدار قدرته، وقد ابتلى الله أكثر البلاد الإسلامية بالعدو نزل بساحتها، فالجهاد حق على كل مسلم حتى لا يكون فيها عدو متحكم وتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين^(٢) .

وعلى ذلك فالإمام يرى أن الجهاد واجب على كل مسلم حتى لا يكون في أرض الإسلام عدو غاشم متحكم وتكون الغلبة والعزة للإسلام والمسلمين.

ب. ضروب الجهاد:

للجهاد ضروب وأنواع ولا يقتصر الجهاد على القتال فقط بل هناك أنواع أخرى قد ذكرها الإمام أبو زهرة أثناء تفسيره، مثال ذلك :

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] قال: "إن الجهاد تنوع ضروبه، وتختلف أساليبه، فقد يكون بالسيف لإعلاء كلمة الله، ورد الأعداء عن أهل الإيمان وقد يكون ببذل المال لنصر الدين والحق، وإعلاء كلمة أهل الإيمان، وقد يكون باللسان ببيان الحقائق الإسلامية، وتأليب الناس على المشركين، وقد قال عليه السلام (جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم)^(٣) .

وإن الجهاد في الحق يوجب على المجاهد ألا يخشى غير الله، ولذلك وصف الله سبحانه أولئك المجاهدين بأنهم (لا يخافون لومة لائم) أي لا يخافون قط من أي لائم كائنًا

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من بات ولم يغزو ولم يحدث نفسه (١٥١٧/٣) (ح ١٩١٠)

(بنحوه). سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد، (٨/٦)، (ح ٣٠٩٧) (بنحوه).

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ٩، ص ٥٤٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد باب كراهية ترك الغزو، (١٠/٣)، (ح ٢٥٠٤) (بنحوه).

من كان...^(١) .

يتضح من المثال السابق ميادين الجهاد كما بينها الإمام -رحمه الله- فهو جهاد بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة، وجهاد مسلح لقلع شوكة المعتدين وهو أظهر ميادين الجهاد وباب من أبواب الجنة كما اعتبره الإمام أبو زهرة^(٢) .
والإنفاق في سبيل الله من ميادين الجهاد؛ لأنه يمد الجند بالمال وإمدادهم بالمال هو إمداد بالأسلحة وأدوات الحرب وفي كل هذه الميادين جهاد في سبيل الله ﷻ.

ج. إعداد الجند:

يطالب الإمام أبو زهرة بزيادة الاهتمام في إعداد وتربية الجند، ويدعو إلى تدريبهم بالقدر الممكن على أساليب الحرب بكل أشكالها.
والإمام -رحمه الله- ينادي بالأخذ بعين الاهتمام بالتربية الدينية بجانب التربية العسكرية لما لها من أهمية في حياة الجند، وفي ذلك يقول الإمام أبو زهرة: "ولمناسبة تربية الجند، وقوادهم أقول إن الدراسات الدينية مهملة كل الإهمال في الكليات العسكرية، مع أن الروح الدينية دافعة وكنا نود أن تكون هناك دراسات لحروب النبي -ﷺ-، ومقام القواد والجند في الإسلام والروح التي يقاتلون بها، والهمة التي يصلون بها على أعدائهم والأسباب التي كانت بهداية الله تعالى يتجهون إليها"^(٣) .

وعن إعداد الجند للأساليب الحربية بين الإمام رحمه الله ذلك:

١. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ السَّلَّةِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: "هذا أمر تكليفي وهو فرض كفاية على الأمة الإسلامية ويجب على الأمة كلها أن تتعاون في إعداد هذه القوة بالدربة، والتعليم والرمي، وكل ما يربي الجند القوي، فلا بد من التربية على جندية، وإعداد عدة القتال، وذلك بالمستطاع بل بأقصى ما يستطيع... ومن القوة الحصون، والمنجنيق^(٤) وهكذا كل ما يكون سبباً للقوة، ومنها في الماضي النار الإغريقية ولم تكن معروفة عند العرب، وإن

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٧، ص ٤٠٠.

(٢) انظر: تفسير الإمام أبو زهرة لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢]. زهرة

التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٨، ص ٥١٨.

(٣) مقالة الإمام (عدة الجهاد الصبر والإيمان)، ص ٤٨٨.

(٤) المنجنيق: القذاف التي ترمى بها الحجارة. انظر: لسان العرب، مادة (مجلق)، (٥/٤١٤٢).

وجدت في الحروب الإسلامية.

فكل قوة مستطاعة يجب على الأمة أن تتضافر على إيجادها، وإلا أثمت كلها، ولم ينح من الإثم فقيرها وغنيها ولا قويها وضعيفها، فالقادر بقدرته والضعيف بلسانه^(١).

٢. وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥] قال رحمه الله: "والآية تشير إلى وجوب إعداد الشباب في الأمة للجهاد، بأن يتربوا منذ طفولتهم على أساليب الحرب والنزال، فإنه لا يسوغ استنفار طائفة إن حملت السلاح لا تستطيع الضرب، ولذلك وردت الآثار بتعليم الشباب الرماية، والدربة على القتال، ويعد ذلك ضروريًا من ضروريات التعليم الديني.

وإذا كان الإسلام قد منع العكوف في الصوامع للعبادة وحدها فقد أمر الأمة كلها بالجهاد في سبيله والاستعداد له، وقد قال ﷺ: (رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله)^(٢)^(٣). ويتضح من المثالين السابقين ضرورة إعداد الشباب بالتدريب على أساليب الحرب ومعداته لأنه يعد ضرورة من ضروريات التعليم فلا يمكن عقلاً لأمة إن هجم عليها العدو وتوفر لديها معدات الحرب عدم قدرتها على رد العدو فلذلك يجب على الدولة الاهتمام بتجنيد الشباب وإعدادهم الإعداد المناسب.

ذكر الدكتور محمد هيكل فوائد لأهمية إعداد الجند للمعارك الحربية ومن هذه الفوائد:

١. توفير الكفاية القتالية للجيش.
٢. تحقيق الجاهزية القتالية أي الاستعداد القوي للقتال في أية لحظة كلما تطلب الأمر ذلك.
٣. تقليل الخسائر في الأرواح والمعدات في الحرب.
٤. التدريب يمنح المقاتل ثقة بنفسه، وبسلاحه مما يعزز فيه الروح العسكرية والإرادة القتالية^(٤).

(١) زهرة التفاسير، [الأنفال: ٦٠].

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والحث عليه (٥٦٥/٤) (ح ٣١) (بنحوه)، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها، (٧٩/٢)، (ح ٣٦١) (بنحوه) قال عنه المحقق (إسناده ضعيف جدًا) مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٦، العدد ٦، ص ٣٤٣.

(٤) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، (١/٢، ٨٩١، ٩٨٢)، (بتصرف)، (رسالة=

وهذه فوائد مهمة تعود بالنفع والفائدة على المسلمين كما أنها تمكنهم من القتال بكفاءة عالية متخذين بالأسباب متوكلين على الله واثقين بنصر الله لهم.

د. الفرار من أرض المعركة:

الفرار من الحرب هو قمة الهزيمة والخذلان إذ به ضياع للنصر، ويشكل خطراً على أمن المسلمين والله -عز وجل- يشدد وينكر هذه الفعلة الشنعاء كما أنه يرهب المسلمين من خلال الآيات القرآنية من القيام بها. والإمام -رحمه الله- يقبح هذه العمل ويصوره بصور شنيعة ينفّر منها المسلمين ويبين مدى فظاعة هذا الجرم، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] قال رحمه الله: "بين الله تعالى أن أول النصر الثبات، وألا يفر من الميدان، ولذا شدد سبحانه وتعالى في منع الفرار؛ لأن الفرار أول الهزيمة؛ ولأنه خور في العزيمة، ولأنه والصبر نقيضان لا يجتمعان ولا معذرة في فرار قط، ولأن يُقتل الرجل وهو مُقبل بصدرة خيراً من أن يقتل وهو مدبر بظهره....وعبر سبحانه وتعالى عن النهي من الفرار بقوله تعالى ﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ ومعنى تولى الدبر أن يتركوا ظهورهم للسيوف تضرب في أديبارهم، وذلك منظر هو أقبح المناظر وأقبح تصوير للفار من الميدان يضرب السيف في دبره وبقاه، وإن من يقتل في صدره لا يُقتل إلا بعد أن يُقتل من الأعداء، أما من يُقتل في ظهره فإنه يذهب... وقد يكون الفرار من أمرٍ ضروري إذا كان العدو أغلب، ولكن الفرار لا يكون بتولي الأديبار بل يكون بتدبير الإنسحاب، بل يكون بالتراجع من غير أن يولوا ظهورهم للأعداء يضربون في أديبارهم... وإن الفرار في الزحف من أكبر الكبائر فقد قال ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)^(١).

= (دكتوراه) طبعة أولى ١٩٩٣م، دار البيارق- بيروت.

(١) (فتح الباري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]

(٣٩٣/٥) (ح ٢٧٦٦) (بنحوه).

وقد تكلم العلماء في الفرار فأجازوه بعضهم إذا كان العدو كثيفاً، والمؤمنون قلة، وهم مأكولون لا محالة، ونحن لا نجيز تولي الأديبار مطلقاً، لأنه يمكن من رقاب المؤمنين، وإذهاب للباس، ولكن نجيز التراجع المنظم كما فعل القائد العظيم خالد. إن تولي الأديبار للمؤمنين تمكين من القتل الرخيص وليس هو التراجع الحكيم، لأن التراجع يحمي صدره والمولي الأديبار يمكنهم من ظهره" (١).

وهكذا نرى إصرار الإمام أبي زهرة -رحمه الله- بعدم جواز الفرار من المعركة مطلقاً ومهما كانت الظروف وقد وافق الإمام بذلك رأي الإمام ابن العربي إذ قال "إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا ولا تعطوهم أديباركم حرم الله ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد" (٢). وقد ذهب إلى ذلك أيضاً الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن (٣).

وعلى ذلك فإن الإمام أبا زهرة يجيز التراجع والإسحاب دون تولي الأديبار؛ لأن الفرار قد نهى عنه لما فيه من تمكن الأعداء.

وخلاصة القول: إن الظروف السياسية التي عاصرت الإمام وأحاطت به قد أثرت عليه بشكل واضح مما عكس ذلك على تفسيره، وقد قام -رحمه الله- بنقد الواقع السياسي الذي يعيش به المسلمين، ونقد الحكم السياسي المستبد الظالم الذي يهدر حق المسلمين كما أن الشيخ أبا زهرة -رحمه الله- لا يجد بديلاً لشرع الله -عز وجل- حتى يحكم في الأرض وقد بين حكم من لم يرض بحكم الله.

والجهاد أمرٌ فرضه علينا الإسلام فهو في أصله فرض كفاية ولكن إذا استبيحت الديار وهتكت الأعراض وقتل الشيوخ والأطفال فإن الأمة الإسلامية تأثم على عدم جهادها وتحريرها لأرض الإسلام إذ إن الجهاد حينئذ يكون فرض عين على كل مسلم قادر على حمل السلاح.

وفي النهاية أقول: إن هذه بعض من الجوانب السياسية التي تعرض لها الإمام أبو زهرة في تفسيره، وهذا أمرٌ يحمد عليه ويضاف إلى ميزان حسناته، حيث إنه أضاف إلى تفسيره ميزة جديدة وهي صفة المعاصرة وتطبيق مشاكل العصر على أرض الواقع فجزى الله شيخنا خير الجزاء لما أفاد به الأمة الإسلامية.

(١) زهرة التفاسير، [الأطفال: ١٥، ١٦].

(٢) أحكام القرآن أبي بكر محمد بن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي (٨٤٣/٢) دار الفكر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٣٨٠/٧).

الفصل السابع

التفسير الإصلاحي الإجتماعي

عند الإمام أبي زهرة

المبحث الأول: التفسير الإصلاحي .

المبحث الثاني: التفسير الإجتماعي .

المبحث الثالث: موقفه من دعاة الإصلاح الديني .

الفصل السابع

التفسير الإصلاحي الإجتماعي

عند الإمام أبي زهرة

القرآن الكريم شاملٌ لصالح الدنيا وسعادة الآخرة ولا عجب أبدًا أن يكون ملاذ المصلحين ودستور الحاكمين، ومنار المهتمين إليه فمنه يستمد قواعد الإصلاح الإجتماعي وأساسه وإليه يأوي الحاكمون ويستمدون منه أصول الحكم الإسلامي، ويأوي إليه المهتمون ينعمون بفيه ظلالة وأمن جواره.

والقضايا الاجتماعية لا تكاد تحد ولا تعد بدءًا من الحكومة الإسلامية والقواعد التي تقوم عليها ومرورًا بالوحدة الإسلامية، والحرية الفردية والسياسية ثم إصلاح العقائد من الأوهام والخرافات، ثم قضايا التربية الإسلامية، والإلتزام بمبادئه التهديبية كالصدق والأمانة والصبر وما يهذب النفس الإسلامية ويصبغها بمثله ومبادئه ثم قضايا الخمر والزنا والسرقة وبيان أثارها وأضرارها على المجتمع^(١).

وسوف تعرض الباحثة بعض الجوانب الإصلاحية، وبعض الجوانب الاجتماعية التي تناول الحديث عنها الإمام أبو زهرة في تفسيره والتي تثبت أنها سلوك وعمل للإمام حتى صارت أساسًا من أسس تفسيره بل صفة تطلق عليه.

المبحث الأول

التفسير الإصلاحي

تعريف التفسير الإصلاحي:

الصالح ضد الفساد، من صَلَحَ، يَصْلَحُ، وَيَصْلُحُ، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصْلِحٌ في أعماله وأموره وقد أصلحه الله^(٢).

والتفسير الإصلاحي: هو تفسير الآيات التي تدعو إلى إصلاح الجوانب الحياتية في حياة المسلمين وتغيير واقعهم إلى الأفضل^(٣).

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، (٢/٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩).

(٢) انظر: لسان العرب، (٣/٢٤٧٩).

(٣) لمحات في علوم القرآن ومناهج المفسرين، د. محمد الصباغ، ص ٢١٣، (بتصرف)، بدون طبعة.

وهناك مدارس ظهرت في العصر الحديث تدعو إلى هذا النوع من التفسير، مثل مدرسة أبي الأعلى المودودي، ومدرسة الشهيد سيد قطب، التي نادى بالتزام طريقة السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم والعيش في ظلاله وفهم معانيه فهمًا يتفق مع أسس ومبادئ العقيدة الإسلامية، مع التركيز على الجانب التربوي الذي يظهر في سلوك الفرد والأسرة والمجتمع.

وساعد ذلك على تولد الرغبة الأكيدة عند زعماء الإصلاح والدعاة إلى الله في إصلاح الواقع المظلم الذي خلفه الإستعمار في سائر بلاد المسلمين (١).

والإمام أبو زهرة اعتنى بإصلاح الأفراد وبإصلاح الأسرة ومن ثم إصلاح المجتمع لذلك قسمت الباحثة منهجه في التفسير الإصلاحي إلى عدة نقاط متمثلة فيما يلي:

أولاً: دعوته لإصلاح الفرد:

اعتنى الإسلام بالفرد المسلم ووضع أسسًا ومقوماتٍ تصلح هذا الفرد وتؤهله على إقامة أسرة صالحة وبالتالي يقوم المجتمع الصالح وهذه الأسس كثيرة في القرآن الكريم وقد اهتم الإمام أبو زهرة في بيان أهمية هذه الأسس في حياة الفرد، مثال ذلك:

(١) طهارة النفس:

طهارة النفس هي الطهارة من الشرك والضلال، وإخلاص النية لله -عز وجل- وقد بين الإمام أبو زهرة ذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧، ٨٩] قال رحمه الله: "الواء عاطفة والجملة التماس من الله تعالى ألا يخزيه يوم البعث، وذات البعث لا خزيان فيه إنما الخزي يوم الحساب ويوم تشهد عليهم أعضاؤهم بما فعلوا، وتتطق أعمالهم بما ارتكبوا، ولا ننسى أن الدعاء من خليل الله، وكيف يتصور أن يخزيه الله تعالى وهو رسوله، ولكن لفرط إحساسه بحق الله تعالى يظن في نفسه القصور، ومعه الخزي، فإن دقة الإحساس تجعله يستصغر حسناته في جنب الله تعالى العزيز الحكيم، وكلما قرب الإنسان من الله تعالى أحس بقصوره، ولا يحس بعظمة ما فعل، ويحسب أنه من المقصرين لا من المقربين.

وبين سبحانه وتعالى على لسان خليله الصافي نفسه وقلبه فقال ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (يوم) بدل أو عطف بيان من (يوم يبعثون) أي أنه في هذا اليوم لا ينفع المال

(١) انظر: مناهج المفسرين، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

ولا البنون اللذان هما عز هذه الحياة الدنيا وزينتها كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] فالمال والبنون للفخر بهما من أهل الدنيا.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ القلب السليم هو القلب الخالي من أوشاب^(١) الوهم والشهوة والضلال، والاستثناء هنا يصح أن يكون متصلاً بأن يكون من عموم نفي النفع بالمال والبنون إلا من كان ذا مال وبنين وأعطى المال حقه، وربى البنين وأحسن تربيتهم فكانوا له عملاً صالحاً دائماً، لأنه (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)^(٢)، فمع المال والولد ينفع الإنسان إذا أتى الله بقلب سليم من كل المفاسد في الدنيا.^(٣)

ويتضح من المثال السابق كيف تكون طهارة النفس كما بينها الإمام أبو زهرة، وذلك بالابتعاد عما يغضب الله -عز وجل- وانتفاء القلب من أدران الشهوة والضلال والتقرب إلى الله وعدم التعلق بالدنيا وبذلك يخلو قلبه من المعاصي.

(٢) اجتناب سوء الظن:

الظن كما عرفه الأصفهاني اسم لما يحصل عن أمارة ومتمى قويت أدت إلى العلم، والظن في كثير من الأمور مذموم لقوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: ٣٦]^(٤). والظن في الغالب يكون دون التأكد من الشيء ويكون ظناً سيئاً وتتبع أمور المسلمين بما ليس عند الإنسان من أسباب العلم ويُعتبر من الظن وقد بين ذلك الإمام أبو زهرة، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

(١) الأوشاب: جمع وشب، والأوشاب والأوباش من الناس هم الضروب المتفرقون والأوباش من الناس هم الأخلاط والسفلة ووبش الكلام رديئه وأوشاب الوهم، وشوائبه ورديئه من الشهوة والضلال. انظر: المعجم الوسيط، مادة (وشب) ومادة (وبش)، (١٠٥٠/٢، ١٠٧٥). مختار الصحاح، مادة (وشب)، ص ٧٢٣، (بتصرف).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٣/١٢٥٥)، (ح ١٤٤) (بنحوه). سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب الوقف، (٣/٦٥١، ح ١٣٧٦) (بنحوه) قال الترمذي (حسن صحيح).

(٣) زهرة التفاسير [الشعراء: ٨٧، ٨٩].

(٤) انظر: المفردات، ص ٣٢٠.

كُلُّ أَوْلِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿ [الإسراء: ٣٦] .

قال: "القفو معناه التتبع وأصله ما يؤدي إلى الكذب أو القذف أو البهتان، ومنه القائف وهو المتتبع للأثار، وأصله القياس وهو العلم بالحدس والتخيير وإلا كان كما يعبر الشافعي والظن الذي لا يبنى على أساس علمي وقد قال: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] . والآية تنهى عن أن يتبع ما ليس عنده أسباب للعلم به أو ما ينافيه العلم الصحيح، والوقائع البيّنة كشهادة الزور وقذف المحصنات، وتتبع عورات المؤمنين ليعلمنها، وقد سترها الله تعالى عليهم. وقد قال ﷺ: (من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردة الخيال^(١) حتى يأتي بالمخرج^(٢))^(٣)...^(٤)

وفي المثال السابق بين الإمام أبو زهرة معنى الوقوف على الشيء بغير علم، وهو الظن الذي فيه كثير من التوهم والخيال وعدم التأكد من الحقيقة وبين آثاره السيئة على الفرد من صفات وأخلاق وما يتبعه من أذى للمؤمنين نتيجة تتبع عورات المسلمين وهذا أمر نهى عنه الإسلام.

واعتبر الشهيد سيد قطب أن هذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، ويشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، وأنه يجب التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها فإن ذلك دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم^(٥) .

(٣) الإعراض عن اللغو:

اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن رؤية وفكر، وقد يسمى كل كلام قبيح لغواً قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبأ: ٣٥] ، ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به ومنه اللغو في الأيمان لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

(١) ردة الخيال: الطين والوحل الكثير، انظر: لسان العرب، (١٦٢٤/٢، ١٦٢٥).

(٢) المخرج: موضع الخروج ويقال خرج مخرجاً حسناً، انظر: المرجع السابق (١١٢٥/٢).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٨٢/٢) (بنحوه) وهو جزء من حديث طويل.

(٤) زهرة التفاسير، [الإسراء: ٣٦] .

(٥) في ظلال القرآن، (٢٢٢٧/٤) (بتصرف).

[البقرة ٢٢٥] (١). وهذه الصفة الذميمة تحدث عنها الإمام أبو زهرة في تفسيره وبين آثارها السيئة على الفرد، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] قال: "وإن سماع اللغو من القول يهون في النفس الأمور الخطيرة، ويجعلها في حال عبث ولهو ومع الإكثار من سماع اللغو تنمى النفس انمياغاً، ولا تقوى على تحمل مشاق التكاليف الشرعية وما تقتضيه من صبر، وضبط نفس، ولا يكون رجلاً نافعاً أبداً وتقدّم (عن اللغو) يفيد أهمية الإعراض عن اللغو وأنه لا يعرض إلا عن اللغو، لتكون كل نفس للجد من الأمور والمشاركة في الأعمال النافعة، والإعراض يفيد البعد عن اللاعن وعن مجالسهم ألا فليعتبر الذين يجعلون حياتهم لهواً ولعباً وعبثاً" (٢).
ويتضح من المثال خطورة اللغو على الإنسان وأثار سماع هذا اللغو والإكثار منه، ويؤدي إلى التهاون في التكاليف الشرعية.

ثانياً: دعوته لإصلاح الأسرة:

اعتنى الإمام أبو زهرة بالأسرة ومحاولة إصلاحها واعتبرها تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات ويدخل في هذا الأجداد والجداات وتشمل أيضاً فروع الأبوين.
الزواج هو أساس العلاقة بين الرجل والمرأة؛ وقد حث الشرع عليه حيث لم توجد شريعة حثت على الزواج كما حث الإسلام عليه وذلك لأن الزواج عماد الأسرة، والأسرة الثابتة القوية عماد المجتمع (٣).
ولذلك فهو يهتم بالأسس التي تحافظ على قيام الأسرة المسلمة بأحسن صورها ومن هذه الأسس:

١. الحث على الزواج والإنجاب:

وقد أمرنا الله ﷻ في كثير من الآيات بالزواج لما فيه من مودة ورحمة وسكينة بين الزوجين لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

(١) انظر: المفردات، ص ٤٥٥.

(٢) زهرة التفاسير [المؤمنون: ٣].

(٣) انظر: تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٦٢.

والإمام -طيب الله ثراه- بين أهمية الزواج والحرص على الإنجاب حفاظاً على النوع الإنساني، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ^(١) لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال: "في هذه الآية يشير الله سبحانه وتعالى إلى ثلاثة أمور:

أولها: بيان أن المقصود من الزواج ليس هو قضاء الوطر وإشباع الشهوة، فإن ذلك كما يكون في زواج شرعي يكون في المسافدة الحيوانية، إنما المقصد هو النسل وبقاء هذا الإنسان في الوجود على أكمل وجه، وتهذيب النشء بين أبويه وفي أحضانها لتمتد غرائزه وتهذب طبائعه، وتستيقظ ينباع الخير فيه.

وثاني هذه الأمور: أن ما يكون بين الزوجين اللذين جمعهما الله بكلمة الشرع وحكمه هو الأنس الروحي مع المتعة الجسدية وإن ذلك ليقضي زوال الكلفة، وأن يكون بينهما من المباشطة ما تسهل معه الحياة، ويكون في البيت تخفيف أعبائها، واستجمام القوى، ليستطيع تحمل تكليفاتها.

وثالث هذه الأمور: أن الدين يجب أن يكون مسيطراً، ويجب أن تكون العدالة قائمة، والمودة حاکمة فيما بين الرجل والمرأة.

وقد أشير إلى الأمر الأول بقوله تعالى (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) وأشير إلى الأمر الثاني بقوله تعالى: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) وأشير إلى الأمر الثالث بقوله تعالى ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ويتضح من المثال السابق كما يرى الإمام أبو زهرة أن القصد من الزواج هو حفظ النسل وبقاء النوع الإنساني وتهذيبه بطريقة سليمة بين أحضان والديه يكفل له حياة صالحة، ثم إن حكمة الشرع بالزواج هو الأنس الروحي مع المتعة الجسدية وتحمل كل منهما أعباء الأسرة وهذا كله يكون الدين مسيطراً عليه حيث تقام العدالة والمودة ما بين الزوجين.

والباحثة تختلف مع رأي الإمام في أن القصد من الزواج النسل؛ لأن القصد من الزواج بالدرجة الأولى هو الإحصان وحماية النفس من الفواحش، ثم يأتي بعد ذلك حفظ

(١) حرت: أصل الحرت: الزرع، أي هن للولد كالأرض للزرع. تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة ص ٨٤، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٩٧٨م.

(٢) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٦، العدد ١، ص ١٠-١١.

النسل وبقاء النوع الإنساني.

وقد وافق الإمام سيد قطب الإمام أبا زهرة في تفسيره لهذه الآية وعد هذه الآية لونهاً من ألوان العلاقة الزوجية وأن هذه الآية توضح أهداف وغايات هذا الزواج وهو الحرث؛ لأنها مناسبة إخصاب وتوالد ونماء، فأتوا حرثكم في موضع الإخصاب لتحقيق غاية الحرث وهدفه، واتجهوا إلى الله تعالى بالعبادة والتقوى^(١).

(٢) الإحسان إلى الوالدين:

أمر الله -ﷻ- بالإحسان إلى الوالدين حتى تقوم أسرة سالحة. وقد بين ذلك الإمام أبو زهرة -رحمه الله- في تفسيره، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: ٣٦]. قال: "إن الإشراف في كل صورة يضعف الضمير، والإيمان بالله يقوي الضمير، وإن أول مظاهر قوة الضمير التي توجد في عبادة الله وحده، البر بالناس، لذا عقب طلب البر والإحسان بالنهي عن الإشراف فقال تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾.

وقد قرن الله سبحانه وتعالى النهي عن الإشراف بالإحسان إلى الوالدين ومن وليهما، وقد جاء في آيات أخرى ذكر الإحسان بالوالدين فقط بعد النهي عن الإشراف، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ لأن أحق من يستحق الإرضاء بعد الله الوالدين ولا يستحق غيرهما بعد الله الشكر ولذا قال تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] وقال ﷻ: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين)^(٢).

والإحسان إلى الوالدين بالصحبة الكريمة وسد حاجتهما، والقول الحسن، وعدم التملل في حياتهما إن بلغا الكبر، وتعبا تعب الشيخوخة، وصارت حياتهما عبئاً على أولادهما ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٣) [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٢٤٢)، (بتصرف)

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين، (٤/٣١١، ٣١٠)، (ح ١٨٩٩)، (بنحوه). لم يحكم عليه الترمذي.

(٣) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٤، العدد ٩، ص ٥٣٥.

ويتضح من المثال السابق أن الإحسان للوالدين يكون نتيجة للإيمان القوي والإحسان بالصحبة الكريمة وعدم الضجر منهما، والقول الكريم، والدعاء لهما بالرحمة وكل هذا فيه إصلاح للأسرة، لأن الابن إذا فعل ذلك لوالديه، اقتدى به أبناءه، وعاملوه نفس المعاملة.

ثالثاً: دعوته لإصلاح المجتمع:

إصلاح المجتمع مسئولية كل فرد ومسئولية القائمين على الدولة وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن المنكرات كالجرائم التي تؤثر على الجسد فإن لم تمرضه أضعفت مقاومته ليسهل لها التغلب عليه ولهذا كان من أولى مهمات الدولة الإسلامية إقامة مجتمع إسلامي فاضل^(١).

وقد اعتنى الإمام -رحمه الله- بإصلاح المجتمع في تفسيره من خلال عدة أمور منها.

(١) تخلص المجتمع من الفساد وأهله:

الفساد كما عرفه الأصفهاني هو خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً أو كثيراً ويزاده الصلاح ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة^(٢) وقد بين الإمام -رحمه الله- خطر الفساد:

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُلِكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] قال: "في هذه الآية الكريمة بيان الغاية التي تغياها من يريد أن يخدع الناس، فهو يخدعهم ليتمكن لأهوائه وشهواته، وإذا تمكنت الأهواء والشهوات واندفع الشخص في اجتراعها، يشتر عسلها^(٣) من غير دين رادع ولا حكم زاجر سرى الفساد في جسم الأمة كما يسري الداء العضال في جسم المريض وبذلك يهلك الحرث والنسل، أي يهلك الزرع والحيوان، وفيهما جماع حاجات بني الإنسان، فما من أمر يحتاج إليه الإنسان في مقومات جسمه إلا كان من الحيوان أو من النبات وهلاكها كناية عن الخراب العام، والضيق الشديد، والفساد المستحکم وضياع المصالح... وفي التعبير بهلاك الحرث والنسل بسبب استحكام الشهوات وسيطرة أهل الأهواء إشارة كما

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ١٣٥، ١٣٦، مؤسسة الرسالة- بيروت، طبعة ثالثة ١٩٨٧م.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١، (بتصرف).

(٣) يشتر عسلها: يقال للعاسل الذي يأخذ العسل من موضعه من الخلية، انظر: لسان العرب، مادة (عسل)، (٣/٢٩٤٥).

قلنا إلى عموم الفساد في المدائن والقرى وبين أهل الزرع وسكان البوادي، أي بيان عموم الشر للحاضرة والبادية لأن هلاك النسل رمز لهلاك ما يقوم عليه البادية وما به قوام حياتها، إذ إن رأس مال البادية النعم من الإبل والبقر والغنم وأخواتها، وقيام الثروة في سواد الأرض الزرع وما تنتجه الأرض فإذا هلك الأمران بسبب استحكام الأهواء والشهوات، فقد عم الفساد، وهلك العباد^(١).

وكما هو واضح في المثال السابق فإن الفساد أمر مستكره من رب العباد، ومن العباد لأن فيه هلاك للبشر وللحراث والنسل والإمام أبو زهرة اتفق مع الإمام ابن كثير في رأيه عن هذا المنافق حيث قال: "هذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث، وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما"^(٢).

وعلى ذلك فإن إصلاح المجتمع بما فيه من فساد ضروري لإقامة مجتمع صالح.

(٢) الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة وسيلة جيدة للدعوة والإصلاح وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن من وسائل الإمام - رحمه الله - في الدعوة والإصلاح وهي من منهج رسول الله للدعاة إلى الحق، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ٢٥] قال رحمه الله: "أمره سبحانه أن يدعوهم بالحكمة والموعظة وأن يجادلهم والتي هي أحسن فقال تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالطريقة التي هي أحسن في التوصل إلى الإقناع، فإن لم يكن إقناع فتقريب فإن لم يكن تقريب لا يكن نفي، فهو يبين لهم الحق في غير مخاشنة وإن خاشنوه وفي غير غضب وإن غاضبوه، فالنبي لا يغضب ولكن يهدي فلا يفاجؤهم بما لا يحبون، بل يأتيهم بالحق مما يحبون ما دام لم يكن باطلاً، ولا يكون جافياً في قول أو خلق، ولا يكون غليظاً بادي الغلظة بل يكون ودوداً بادي المودة، من غير أن يكون مدهاناً في حق، فإن المشركين يودون أن يكون مدهاناً في الحق

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (١/٢٣٤).

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] (١).

يتضح من المثال السابق أن أسلوب الإمام في إصلاح الأفراد هو الإقناع بالموعظة والمجادلة الحسنة بأسلوب مرن من غير غلظة أو جفاوة ولا شك أن هذا أسلوب ناجح في الإصلاح يقول الشهيد سيد قطب: "وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب من غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، والجدل والتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترزيل له وتقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة... والداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والإهداء إليها في سبيل الله لا سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر" (٢).

(٣) ضرورة التزام النظام وحفظ الأمن:

النظام في الدولة أمر ضروري لاستقرار الحياة فيها، والإخلال بالأمن يشعر بالخوف وعدم اطمئنان الإنسان على حياته.

رأي الإمام أبي زهرة في هذه المسألة رأي جميل بين فيه خطورة الإعتداء على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم وكذلك بين خطورته على أمن الدولة الإسلامية، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْأُخْرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] قال: "هذا النص الكريم بين جريمة كبيرة وهي جماع لعدة جرائم، وهي جريمة الذين يحاربون النظام القائم ويخرجون جماعات ذات قوة وشكيمة ويرتكبون جرائم القتل والنهب والسرقة، لا في خفية بل في إعلان، معنصمين بقوة مانعة لهم، وقد اتفقوا جميعاً على ارتكاب القتل والسرقة وتهديد الأمنين... وإن أولئك الذين يحاربون النظام وعقوبتهم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ إلى آخر الآية الكريمة هم الذين يعبر عنهم

(١) زهرة التفاسير [النحل: ١٢٥].

(٢) في ظلال القرآن، (٢٢٠٢/٥).

في الفقه بقطاع الطريق وهم كالعصابات التي تغير على المصارف، ونحوها في أوروبا وأمريكا، وتزعج الأمن فيهما، ويسمى فعلهم قطع طريق ويسمى حرابة، ويُعون له بذلك في الفقه الإسلامي، والعقوبة المذكورة في النص الكريم خاصة بهم... إن المكان الذي يتخذ قطاع الطريق يجب أن يكون في داخل الدولة الإسلامية لأنهم من رعاياها، ولأن قطع الطريق على جماعة المسلمين من غير المسلمين هو الحرب الحقيقية، وليس هو الحرابة التي تتلاقى معها في الاشتقاق وتختلف عنها في حقيقتها فإن الحرب قد اختلفت بمدافعة الأعداء من خارجها.

أما هذه فقد اختلفت بمحاربة الفساد في داخلها، والحرابة بهذا المعنى الخروج على المارة لأخذ المال لا على سبيل المغالبة، ولو بالقتل على وجه يمنع المرور، ويقطع الطريق سواء أكان القطع بسلاح أم بغيره، مثل العصا والحجر والخشب ونحوها، لأن قطع الطريق يكون بكل ذلك^(١).

وفي المثال السابق تبين خطورة هذه الجريمة التي تحمل في طياتها جرائم متعددة ذات خطورة ووحشية وهي جريمة الحرابة أو ما يسمى بقطاع الطرق فإن ضررها على الدولة بتهديد أمن الناس وحياتهم وذلك بارتكابهم جرائم القتل والسلب والنهب والسرقة، ولخطورة هذه الجريمة على الأمن العام للدولة وإخلالها بالنظام فقد وضع الله -ﷻ- لها عقوبة القتل والصلب ردعاً لمتل هذه الجريمة ومنعاً لمحاولة تكرارها في المجتمع المسلم. وعن خطورة هذه الجريمة يرى المراغي أن هذا النوع من العدوان محاربة لله ورسوله، لأنه اعتداء على الحق والعدل الذي أنزله الله على رسوله ولما فيه من عدم الإذعان لدينه وشرعه في حفظ الحقوق كما قال تعالى في المصريين على أكل الربا: ﴿فَأَذِنُوا لِمَنْ بَحَرَبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] فإن لم يدعوا لأحكام الشريعة يعدوا محاربين لله ورسوله ويجب على الإمام الذي يقيم العدل ويحفظ النظام، أن يقاتلهم على ذلك فعل كما أبو بكر بمانعي الزكاة، حتى يفيئوا ويرجعوا إلى أمر الله ومن رجع في أي وقت يقبل منه ويكف عنه، وقوله ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي يسعون فيها سعي فساد أي مفسدين لما صلح من أمور الناس في نظم الاجتماع وأسباب المعاش^(٢).

(٤) الحذر والحيلة من الإشاعات:

الإشاعة هي الخبر الذي ينشر بين الناس وقد يكون هذا الخبر صادقاً وفي الغالب

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٦، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) تفسير المراغي، (١٠٥/٢)، (بتصرف).

يكون كاذبًا.

والإشاعة لها خطر كبير على الفرد وبالتالي على المجتمع لأن فيها استباحة لأعراض الناس وأسرارهم بل قد تؤثر هذه الإشاعة على أمن الدولة بكاملها لذلك قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] إذن يجب أخذ الحيطة والحذر من كل خبر يتلقاه الإنسان وعدم مساعده الفساق بنشر هذه الإشاعات والتروي فيها والتأكد من مصدرها.

والإمام وضع خطر هذه الإشاعات على المجتمع، مثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] قال الإمام أبو زهرة: "الأمر هنا هو الخبر الذي يكون له شأن إذا أشبع وأذيع، ويتعلق بأمن المسلمين أو بث الرعب والخوف فيهم، وقد كان بعض ضعاف المسلمين يشيعون أخبارًا عن السرايا التي يرسلها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وينشرونها بين المؤمنين، قد يكون فيها أمن وسلامة، ولكن ربما يكون من الخير عدم إذاعتها، أو هي غير صادقة في ذاتها وقد يكون في هذه الأخبار إزعاج، وإلقاء بالذعر بين المؤمنين، وفي إذاعتها توهين للقوة، وبث لروح الخذلان..... ولذلك فسر الزمخشري في أحد وجهين:

(أذاعوا به) فعلوا الإذاعة أي قاموا بالإذاعة وتولوها^(١)، ولم يكن ذلك عن عدم احتراس بل كان إشاعة مقصودة، ويترتب على ذلك مفسد بإلقاء الذعر، أو الإطمئنان الكاذب الذي قد يؤدي إلى الإستماتة والسكون، وقد تصل تلك الأخبار إلى الأعداء فيأخذون الأهبة، ويأخذون المؤمنين على غرة منهم.

وإن هذه الأخبار لها مضارها الشديدة في الحروب، وقد لاحظها المسلمون في الماضي والحاضر، أما الحاضر: فهو فيما نرى من إشاعة الأكاذيب في أحوال الدول الإسلامية والعربية بعضها عن بعض، وتعتمد نشر هذه الأخبار ليشيع قول السوء بينها، وقد يثير العدو هذه الأخبار ليفت^(٢) في عضد العرب والمسلمين ويوقع الفرقة بينهم .

وأما في الماضي فإننا نقل كلمة عالم جليل عاش في عهد الحروب الصليبية

(١) الكشاف، (٥٤٧/١) ذكره الإمام بالمعنى.

(٢) يفت: من فت الرجل الخبز فتًا، والفتات بالضم: ما تفتت من الشيء والفت الدق والكسر بالأصبع والشق في الصخرة والمعنى الفرقة والضعف بين المسلمين . انظر: المصباح المنير (١١٤/٢). انظر:

القاموس المحيط ، مادة (فت)، ص ١٥٣ .

التترية وهو ناصر الدين أحمد بن المنبر^(١) فهو يقول في كتابه (الإنتصاف) تعليقا على هذه الآية: (في هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع، وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل سرايا والمناضلين الأعداء، والمقيمين في نحر العدو وما أعظم المفسدة في لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم خيرا أو غيره، ولقد جربنا ذلك في زماننا منذ طرق العدو المخذول البلاد، طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه، وعجل الله للمسلمين الفتح وأنزل عليهم السكينة والنصر)^(٢).

وإنه من الحق على المؤمن أن يتحرى صدق الخبر وجواز إذاعته من أهل الخبرة وأصحاب الأمر ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾... وهنا نجد النص قد ذكر من يرجع إليهم فذكر (الرسول) أولاً، (وأولي الأمر) ثانياً... وإن هذا أدب عام ونظام مستمر في حياة الرسول -ﷺ- وبعد وفاته، فيرجع إليه في حياته، ويستعان بذوي الإتصال الوثيق به من كبار المؤمنين الذين لا يخرجون عن رأيه، وبعد وفاته يرجع إلى أولياء أمر المؤمنين من الحكام العادلين، والعلماء النابهين المخلصين الذين يدركون الحقائق، ويعرفون المصالح العامة حق المعرفة"^(٣).

وعن خطورة الإشاعة يقول الشهيد سيد قطب: "الصورة التي يرسمها هذا النص هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي لم تألف نفوسهم النظام ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة، لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف، وأن كلمة عابرة، وقلنة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال..."^(٤).

وكما وضع الإمام أبو زهرة في المثال أن الإشاعة تعمل على تخلخل المجتمع أي

(١) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم، ناصر الدين بن المنبر الإسكندراني المالكي، ولد ٦٢٠هـ من علماء الإسكندرية وأدبائها من مؤلفاته (ديوان خطب) و(تفسير حديث الإسراء) على طريقة المتكلمين و(الإنتصاف من الكشاف)، توفي ٦٨٣هـ. انظر: فوات الوفيات، (٥٥/١). الأعلام، (٢٢٠/١) (بتصرف).

(٢) الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لابن المنبر المطبوع بهامش الكشاف للزمخشري، (١/٥٤٧).

(٣) زهرة التقاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ١٥، العدد ١٢، ص ٦٧٨، ٦٧٩.

(٤) في ظلال القرآن، (٧٢٣/٢).

مجتمع كان، وخصوصًا المجتمع المسلم لأن هذا هدف من أهداف أعداء الإسلام، يحاولون إشاعة الرعب بين الناس، ويحاولون تشتيت شملهم حتى يتفرقوا ويستطيعوا القضاء عليهم وكسر شوكتهم وكان ذلك قديمًا وحديثًا.

المبحث الثاني التفسير الإجتماعي

التفسير الاجتماعي هو تفسير الآيات التي تقوم على تنظيم المجتمع الإسلامي، الذي يُولف بين القوى الإنسانية وينظم العلاقات على أسس قوينة من العدل والحق والمودة والإسلام دين ينظم علاقة العبد بربه على أساس أن أشد قربة إلى الله أن يحسن إلى خلق الله تعالى وألا يسيء إليهم، فإن الإساءة إلى الخلق إساءة إلى الخالق وإيذاء العبد يُعد عن الرب، ولذلك كان هناك علاقة ما بين العبادة والتعامل مع الناس ولذلك فإن كل عبادات الإسلام تؤدي إلى تأليف إجتماعي يقوم على الفضيلة والخلق المستقيم^(١).

إن الحياة الإجتماعية التي عايشها الإمام أبو زهرة فيها ألوانٌ شتى من الإنحراف والبعد عن الدين؛ لذلك فإنه كثيراً ما يتعرض للحديث عن المجتمع ومشكلاته، وعد الرجوع إلى الدين فيه حل لمشكلات المجتمع وله مؤلفات إجتماعية منها: (تنظيم الإسلام للمجتمع)، وكتاب (المجتمع الإنساني في ظل القرآن) هذا إلى جانب العديد من المقالات الإجتماعية والتي منها:

(المجتمع القرآني)^(٢) و (دور العبادات في قيام مجتمع فاضل)^(٣) ، ومقال بعنوان: (العدل، المودة، والتسامح، أسس يقوم عليها المجتمع المسلم)^(٤) ، ومقال بعنوان: (الوحدة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية)^(٥).

والإمام -رحمه الله- اعتنى في تفسيره بالتفسير الإجتماعي وحاول حل مشكلات المجتمع بالرجوع إلى الدين لأنه أساس التعامل بين البشر وقد فسر الآيات التي عرض فيها حكمة التشريع في النواهي والأوامر الإجتماعية ومثال ذلك:

أولاً: بيان الإضرار المترتبة على كتم الشهادة:

كتم من الكتمان وهو ستر الحديث^(٦) ، وكتمان الشهادة، عدم قول الحق سواء، امتنع الشاهد عن قول الشهادة أو أخفى بعضاً منها.

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع، للإمام محمد أبي زهرة، ص ١٥، (بتصرف).

(٢) انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ١١، ص ٦٨٥. والعدد ١١ من نفس السنة، ص ٧٥٠.

(٣) انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة ٢٠، العدد ٤، ص ٢٢٠.

(٤) انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة ٢١، العدد ٤، ص ٢٢٥.

(٥) انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة ١٩، العدد ٨، ص ٤٩٤.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٤٢٨.

وقد عد الإمام أبو زهرة الشهادة من الأمانات التي يجب أداؤها؛ لأن في كتمها ضرر يلحق بالآخرين وبالتالي في علاقة المسلمين بعضهم مع بعض، مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] قال رحمه الله: "بين سبحانه في النص السابق وجوب أداء الأمانة عامة؛ ولأن الكلام في الديون وطرق توثيقها كانت دالة على وجوب أداء الأمانة في الديون خاصة.

وفي هذا النص الكريم بين نوعاً من الأمانات يجب أداؤه، وأداؤه أشد وجوباً، وأغلب تكليفاً وهو أمانة الشهادة، فإن العلم بصاحب الحق أمانة في عنق العالم به يجب أداؤها عند طلب ذلك منه أمام القضاء أو أمام غير القضاء، وإن هذه الأمانة كانت أغلب الأمانات؛ لأنها تتاطب بها الحقوق، وانتظام المعاملات، وقيام المجتمع على أساس من الثقة وتبادل المنافع لهذا قال تعالى (ولا تكتُموا الشهادة) وكتمان الشهادة ألا يقول ما عاين، بأن يمتنع عن الذهاب إلى مجلس القضاء مطلقاً، أو يذهب ويقول لا أعلم، فإن ذلك فوق أنه كتمان كذب، أو يقول بعض ما يعلم، والأداء، أن يقول كل ما يعلم حيث طلب إليه أن يقول ولا يترك شيئاً مما يعلمه متصلاً بموضوع الشهادة"^(١).

ويتضح بالمثال السابق أهمية قول الحق وشهادة الحق وعدم كتمانها؛ لأن في كتمانها ضرراً يلحق في حقوق الأفراد، والشهادة أمانة في عنق الشاهد يجب أداؤها بكل حق، حتى لو نتج عن قوله لها بضرر.

ويرى القرطبي أن كتمان الشهادة يترتب عليها ضرر بالآخرين وكان النهي مخافة ضياع الحق، وخص القلب بالذكر إذ الكتم من أفعاله وإذ هو المضغة التي بصلاحتها يصلح الجسد^(٢).

ثانياً: بيان الأضرار الاجتماعية للخمر:

الخمر له أضرار في جوانب متعددة من هذه الأضرار: أضرار اجتماعية تلحق بالفرد ثم بالمجتمع فهي تبدأ بشيء وبسيط تنتهي بفعل الفواحش والردائل في المجتمع وقد نبه على الضرر الاجتماعي الإمام أبو زهرة - رحمه الله - تناول الحديث عن هذا الضرر بشكل واضح وطويل، مثال ذلك:

(١) زهرة التفسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٨، العدد ٥، ص ٣٣٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٤١٥/٣)، (بتصرف).

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: "وحسبها ضرراً أمران لا شك في وجودهما ولا ريب في أنهما يترتبان عليهما:

أولهما إضعاف صوت الضمير، ولا شيء يضر في الإجتماع أكثر من موت الضمير أو إضعافه، لأن الخلق الإجتماعي الذي يترتب عليه الإلف والائتلاف بين الناس أساسه الحياء، والإحساس بسلطان الجماعة لائمة ومهذبة، وتبادل الشعور بينه وبين غيره، ثم النفس اللوامة، وإن الكأس تذهب بكل هذا، تذهب بالحياء والحياء خير كله، (وإذا لم تستحي فاصنع ما شئت)^(١)، ويندفع الشخص في مخالفة الجماعة غير هياب ولا وجل وكثيراً ما يكون القصد الأول من الشرب خرق حجاب الحياء لينطلق بالقول والفعل بما يليق... ثانياً الأمرين اللذين يترتبان على الشرب بلا مرأى: ذهاب الرشد أو إضعاف الإدراك ووزن الأمور وزناً صحيحاً؛ وإنا والله لنعجب لأولئك الذين يرضون الضلال بدل الرشد والغفلة بدل الصحو... ولكن الفوضى الخلقية التي صار عليها الناس اليوم جعلتهم يغفلون عن هذه الحقائق المقررة الظاهرة، ويلتفتون إليها، بل لقد ذهب بعضهم إلى المغالاة فزعم أنها ضرورية للمدنية اليوم، فإن الآلام النفسية قد اشتدت والمحن قد كثرت ولا دواء لهذا الداء إلا بالخمير؛ فهي اليوم دواء لا داء، وإنها علاج المجتمع ذلك قولهم بأفواههم، وذلك تفكيرهم في أهوائهم.

ونحن نقول إنها تناسب مدنيته وهي خاصة من خواصها، لأنها مدنية اتسمت بالرديلة، وصارت شعارها، فكان من المناسب أن تكون الخمر دواءها؛ لأن الدواء يكون من جنس الداء، وأم الخبائث هي التي ترأم^(٢) الخبائث، وتكنفها وتحوطها وترعاها، فلا عجب إذا رأينا التفكير المعكوس هو الذي يدافع عن الخمر، ولا بد أن قائله قاله ورائحتها تنبعث من فيه.

من ذا الذي يقول إن تفاقم الرذائل داع للانغمار فيها؟ إنه كلما تفاقم الشر وجب جمع العزائم لمحاربتة وإن المحن النفسية إذا اشتدت وجب تقوية الوجدان الخلقى، والضمير الخلقى، وتربية الناس على ضبط النفس والصبر الجميل، وإيقاظ النزوع الديني، والعزاء الروحي، أما إذا تألمت النفس وقوي الضمير واشتد اللوم النفس فأخذ المتألم

(١) جزء من حديث ورد في فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب بينما امرأة ترضع ابنها...، (٦/٥١٥)، ح (٣٤٨٤).

(٢) ترأم: من رأم ورأمة منعه ورأم القدر كمنع أصلحه. انظر: القاموس المحيط، مادة (رأم)، (٤/١١٧).

الكأس ليخنتفي الألم وليضعف صوت الضمير فإنه كالجندي يفر من مواطن الجهاد، وميدان العمل، إلى أن يكون في موضع الهَمَل، فهل يرضي كريم لإنسانيته بتلك المنزلة الهون، فيميت أدميته ويقتل خلفه، ويذهب بمروءته ورشده، ويكون ملهى الصبيان يتلعب بكرامته الغلمان، أو على الأقل يعمل على أن يفسد تقديره ووزنه للأمور، لأن معرفتها على حقيقتها تؤلمه، وهل يذهب بأسباب المحن غفلته عنها وابتعاده عن الإحساس بها! كلا إنه يتردى في الخمر من محنة إلى محنة فغفلته عن المحنة بالخمير تدفعه إلى ثانية ثم إلى ثالثة، وهكذا تتوالى عليه المحن بها، حتى يضيع نفسه وأهله وأولاده، وأصحابه ولا يبقى معه إلا إخوان الشر ودعاة الفساد^(١).

وضح الإمام أبو زهرة في المثال السابق أضرار الخمر الإجتماعية، والنتائج المترتبة عليه، كما يقول الشيخ محمد عبده: والخمر له أضرار أخرى في التعامل في وقوع الخصام والنزاع بين السكارى وبين من يعاشرهم ويعاملهم حتى تصبح عداوة وبغضاء وهذه علة التحريم من أكثر العلل في نظر الدين لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١] ومن أضرارها إفساء السر وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة وخصوصاً إذا كان يتعلق بأمن الدولة وهذه الجريمة تؤدي إلى جرائم أخرى مثل الزنا والقتل^(٢).

ثالثاً: أدوات الهدم في المجتمع:

كما أن المجتمع له أسس يقوم عليها ويتقوى بها ليكون مجتمعاً قوياً متماسكاً، فلكذلك هناك أدوات تعمل على هدم البناء الاجتماعي فتجعله ضعيفاً هشاً.

والإمام -رحمه الله- وضح خطورة هذه الأدوات على المجتمع المسلم وأنها تتخر

في عظم المجتمع كما ينخر السوس في الخشب، ومثال ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] قال رحمه الله أثناء تفسيره لهذه الآية عن العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى: "هذه هي التي أمر الله تعالى بها، وعليها يقوم المجتمع الصالح وبعد ذلك نهى سبحانه عما يخرّب ذلك المجتمع وينخر في عظام المجتمع الحمى فقال تعالى: (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ).

(١) زهرة التفاسير، مجلة لواء الإسلام، السنة ٥، العدد ١١، ص ٦٦٧، ٦٦٨.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، (٣/٣٢٧، ٣٢٨)، (بتصرف).

نهى عن أمور ثلاثة هي أدوات الهدم في البناء الإجتماعي:
وأولها: الفحشاء: وهي بمعنى الزيادة والإفراط فيها، وكل المعاصي فيها إفراط في الزيادة
عن مقتضى الفطرة. ويقول البيضاوي في تفسير الفحشاء: (هي الإفراط في متابعة القوى
الشهوية كالزنى فإنه أقبح أحوال الإنسان)^(١).

ونقول إن الفحشاء تشمل كل متابعة للهوى الجامح الخارج عن حدود الاعتدال
كشرب الخمر والقمار والزنى، ومجاوزة الحد في أي أمر من أمور الشهوة حسياً أو
معنوياً.

والمنكر: هو ما تنكره العقول المستقيمة ويخرج به المرء عن حد المعقول كقول الزور
والبهتان والإفراط في الاستهانة بحقوق غيره، والانديفاع وراء غضب جامح يخرج عن
حد المعقول إلى حد ما ينكره المجتمع ويتجافاه، ويقطع المودة وينقض ما أمر الله تعالى
به أن يوصل.

والبغي: هو الاعتداء على الناس، والتجبر والاستعلاء عليهم، وأن يمنعهم حقوقهم ويأخذها
بغير حق، وإن ذلك من آثار الوهم بأنه من صنف أعلى من صنفهم...^(٢)

إن أدوات الهدم التي ذكرها الإمام أبو زهرة أدوات خطيرة فإن المنكر والفحشاء
والبغي فيه اعتداء على حقوق الناس وفيه إفراط في ارتكاب المعاصي.

وقد وافق الإمام أبو زهرة في تفسيره لمعنى المنكر والفحشاء والبغي عبد الحميد
كشك حيث فسّر الفحشاء: ما يشعر بما فحش وعظم من الذنوب بحيث تجاوز كل لباقة.

والمنكر: ما تنكره الأنواق السليمة ولا يقره العرف الصحيح.

والبغي: تجاوز الحد وترك العدل والإنصاف مما يترتب عليه الظلم وأكل أموال الناس
بالباطل^(٣).

رابعاً: الاستئذان:

الاستئذان هو أدب من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين وأمرهم
باحترام حرمة البيوت، وستر عوراتهم والاستئذان قبل الدخول والتسليم على أهلها.

وقد اعتنى الإمام أبو زهرة بهذا الجانب من الآداب حيث أظهر الحكمة التشريعية

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص ٣٦٤.

(٢) زهرة للتفسير [النحل: ٩١]

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (٢٠٧٤/٣)، المكتب المصري الحديث.

في الاستئذان، مثال ذلك:

عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧] قال: "النداء للذين آمنوا وفي ذلك إشارة إلى ما يطلبه سبحانه من خواص أهل الإيمان وهو الأدب الذي يناسب إيمانكم وهو عدم التهجم على الأسر وتكشيف أستارها وتحاشي إزعاجها، وتستأنسوا أي تطلبوا الأئس بأهلها وتزيلوا الوحشة التي تحدثها المفاجأة والسين والتاء للطلب، وقالوا إن معنى (حتى تستأنسوا) حتى تستأذنوا وقيل إن ثمة قراء قرءوا حتى تستأذنوا) (١) .

ونقول إن الاستئناس أدق التعريف وأدل على الاستعلام، لأن الاستئذان الإذن المجرد ويتحقق الإجابة بالإذن، أما الاستئناس فطلب الأئس وإزالة الوحشة وذلك لا يتحقق بمجرد الإذن بل لا بد لتحقيقه من إيجاد الألفة، وهو يتضمن في تحقيق طلب الإذن والاستجابة بالإذن فعلاً، وإن هذا يتضمن في معناه ومغزاه النهي عن التجسس والتحسس (٢) وظن السوء وأنه يجب أن يظن خيراً... والبيوت الظاهر أنها ليس الدور إنما هي محل البيات حيث تكون العورات مظنة أن تكون مكشوفة غير مستورة فإذا كانت الدار ذات بيوت في كل بيت منها سكن حيث الاستئناس والسلام واجبين... وفي الحق أن الاستئناس والتسليم لثلاثة أسباب:

أولها: أن يكون صاحب البيت ليس على حال يصح للقاء واستقبال الناس.
وثانيها: احترام الملكية، سواء أكانت ملكية عينية بأن تكون البيوت ملكه، أو ملكية منفعة إذا كان مؤجراً.
وثالثها: إزالة وحشة المفاجأة (٣) .

ومن خلال تفسير الإمام أبي زهرة يتضح أهمية الاستئذان في حياة المؤمنين، لأن فيه يتحقق الستر وحفظ عورات المسلمين وقد وضع الإمام -رحمه الله- تعريفاً دقيقاً للاستئذان والاستئناس مفرقاً بينهم بأن الاستئذان: هو الإذن، والاستئناس: هو طلب الإئس

(١) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح شلبي، (١٠٧/٢، ١٠٨) القاهرة، ١٩٩٩م، وهي قراءة لابن عباس، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير.

(٢) التجسس: شبه التسمع والتبصر، والتجسس البحث عن العورة، وتجسست الخبر وتحسسته بمعنى واحد. انظر: لسان العرب، مادة (حسس)، (١/٨٧١).

(٣) زهرة التقاسير [النور: ٢٧]

وإزالة الوحشة ولا يتحقق ذلك بالإذن المجرد بل لا بد من إيجاد الألفة ويتم ذلك بالاستجابة للإذن والرأي ما ذهب إليه الإمام أبو زهرة لأسباب:

١. جاء في (لسان العرب) أن الاستئذان بمعنى الاستعلام^(١).
- والاستئناس خلاف الإحاش وأنس الشخص واستأنسه أحسنه ورآه ونظر إليه واستأنست استعلمت، فكلاهما بمعنى الاستعلام^(٢).
٢. الاستئناس خلاف الاستيحاش وهو من الأنس (بالضم) لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس^(٣).
٣. والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أي حتى تستعلموا أ يطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسيحه وتكبيره وتحميده، وتتحنح^(٤) لحديث أبي أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ : (قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستئذان قال يتكلم الرجل تسيحة وتكبيراً وتحميده ويتحنح ويؤذن أهل البيت)^(٥).

وعلى ذلك يتضح الفرق بين الاستئذان والاستئناس من خلال كلام الإمام أبي زهرة ومن خلال كلام المفسرين وأهل اللغة.

وقد بين - رحمه الله - الحكمة من الاستئذان والاستئناس في إزالة الوحشة ووجود الألفة وحفظ العورات لأن في ذلك حفظ للمؤمنين.

وقد قال الزمخشري: "الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر^(٦) على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من إطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيره، فلا بد من أن يكون برضاه"^(٧).

(١) انظر: لسان العرب، (٥١/١).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٥٠/١).

(٣) انظر: الكشاف (٩٥/٣).

(٤) النسفي، (١٣٩/٣) (بتصرف).

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستئذان، (١٢٢١/٢) (ح ٣٧٠٧).

(٦) الدامر: من دَمَّرَ بمعنى هلك، والداخل بغير إذن. انظر: المعجم الوسيط، (٢٩٦/١).

(٧) الكشاف، (٥٩/٣).

المبحث الثالث موقفه من دعاة الإصلاح الديني

الدعاة إلى الله هم جند الله في الأرض يعملون على تحقيق الهدف الذي من أجله خلق الإنسان ألا وهو عبادة الله -وَعَلَى- لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وإن الحرب لسحق الإسلام تدور رحاها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وقد لحق بالدعاة إلى الله كثيرٌ من الآلام والمحن، وبرغم من ذلك فقد أبى المسلمون نسيان ربهم وفيهم لا تزال بين الانقراض الآلام جماعات غفيرة تعلن بقاءها على الإسلام واستمساكها بكتابه وسنة رسوله، وإن المدافعين لم يستكينوا ولن يضعفوا حتى يوصلوا دعوتهم إلى الناس (١) .

والإمام أبو زهرة -رحمه الله- كان موقفه من دعاة الإصلاح الديني موقف كل مسلم يخاف على دينه ويحب أن يرى الإسلام منتشرًا في جميع البقاع، كما أنه يرفض اعتراض طريق الدعوة الإسلامية ويدعو إلى ترك الدعاة لممارسة عملهم .
وقد أشار إلى ذلك من خلال تفسيره، مثال ذلك:

١ . عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال رحمه الله: "ذكر الله سبحانه وتعالى أولاً الاقْتتال الذي هو النتيجة لهذا الاختلاف للإشارة إلى بيان أسوأ أحوال الاختلاف وليبين للناس ما يتعرض له الدعاة إلى الحق من تعرضهم للقتل والقتال وللإشارة إلى أنه سبحانه وتعالى قادر على إزالة الاقْتتال..."(٢) .

٢ . وعند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] قال: "ومن الفتنة في الدين أن يُمنع الداعي إلى الحق من الدعوة إليه، وأن يُمنع تعريف الناس بهذا الحق وكان الناس يفتنون في دينهم بعد دعوة محمد -صَلَّى- إلى الحق فكانوا في مكة يفتنون، وقتل في الشام من أسلم من العرب، وحيل بين الدعوة الإسلامية، وأن تصل إلى الناس والقتال يستمر إلى أن يزول سببه، وأن

(١) هموم الداعية، محمد الغزالي، ص ٩٨، دار البشير، طبعة ثانية، ١٤٠٥، (بتصرف).

(٢) مجلة لواء الإسلام، السنة ٧، العدد ٥، ص ٢٦٧.

يكون الدين كله لله تعالى بأن يطلب الرجل الدين خالصًا لا إرهابًا ولا ضلالًا، بل يعتقد ما يعتقد مخلصًا لله طالبًا وجه الله والحق لا يبتغي سواه^(١).

وينضح بالمثلين السابقين حرص الإمام أبي زهرة على ضرورة تبليغ الدعوة لدعوتهم والصعوبات التي تواجه الدعوة في طريقهم واعتبر الإمام -رحمه الله- أن منع الداعي من تبليغ دعوته هو من الفتنة في الدين، والباحثة تميل إلى ما يميل إليه الإمام أبو زهرة.

وجملة القول: فإن الإمام أبا زهرة اعتنى بالقضايا الإصلاحية والاجتماعية التي يتعرض لها المسلمون والتي بها صلاح دنياهم وآخرتهم ، هذا إلى جانب أنه كان ينزل هذه القضايا على واقع عصره مما يدل دلالة لا شك فيها على العصر الاجتماعي الذي كان يعيشه الإمام أبو زهرة والذي كان يحاول جاهدًا إصلاحه من خلال الرجوع إلى الدين، فإن الدين هو خير ما يصلح به العيش في كل زمان ومكان. وقد حرص -كرمه الله- على الدعوة إلى ترك الدعوة لمزاولة دعوتهم لما فيها من صلاح للناس وتبليغ للدعوة. فرحم الله الإمام رحمة واسعة.

(١) زهرة التفسير ، [الأفعال: ٣٩] .

الخاتمة

نتائج البحث وتوصياته

بعد هذه الدراسة المستوفاة لمنهج الإمام أبي زهرة في التفسير، أود أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وذلك؛ ببيان ما للمفسر وما عليه:
أولاً: ما للمفسر:

- (١) البيئة العلمية الجيدة إذا توفرت فإنها تعمل على صقل المواهب وتمييزها بصورة جيدة وتتيح لهم الفرصة للانطلاق، ومثل هذه البيئة وفرت للإمام أبي زهرة لذلك أخرجت عالماً، فقيهاً، مفسراً.
- (٢) كثرة مؤلفاته وتنوعها مما يدل على تبحره بالعلم.
- (٣) منهج الإمام أبي زهرة في التفسير بالمأثور، منهج سليم سار فيه على طريقة السلف من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين.
- (٤) اهتم الإمام بعلوم القرآن المتنوعة اهتماماً واضحاً ويظهر ذلك من خلال ما يأتي:
أ. اهتمامه بالقراءات القرآنية وتوجيهها اهتماماً كبيراً واعتماده في الغالب على المتواتر فيها.
ب. اهتم بأسباب النزول، وذكره لأكثر من رواية لسبب النزول.
ج. رفضه للإسرائيليات والموضوعات التي ردها الشرع والعقل، وهذا منهج يجب أن يسير عليه كل مفسر.
د. اهتم بالربط بين الآيات القرآنية وبين السور اهتماماً واضحاً.
- (٥) أجاز التفسير بالرأي المحمود، وظهر ذلك جلياً في تفسيره.
- (٦) يُعد الإمام عالم عصره بلا شك، ويُعد أول من صاغ نظرية الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، كما يُعد من شوامخ الفقه الإسلامي.
- (٧) تميز تفسيره بخاصية النظامية وعنايته بترتيب المعلومات وتنظيمها.
- (٨) اهتم بإبراز السياق والنظم القرآني، وبيان وجوه البلاغة بأنواعها المختلفة لبيان وجه الإعجاز البياني من خلال آيات الله ﷻ.
- (٩) بيان وجه الإعجاز التشريعي في الأحكام القرآنية على وجه يظهر فيه حكمة

التشريع الإسلامي في سن هذه الأحكام وأهميتها.

١٠) ذكر وجوه الإعجاز المختلفة في تفسيره وأولها اهتماماً واضحاً، وجوّز التفسير العلمي ضمن قواعد وضوابط معينة حتى لا يتعارض مع القرآن الكريم وذلك بأن يكون قانوناً لا ينقض بعد ذلك وهو معتدل في رأيه وهذا هو الرأي الصحيح للتفسير العلمي الجائز.

١١) عرض عقيدة التوحيد، ودافع عنها ضد الملحدين والكافرين وسار على نهج الأشاعرة وعرض عقيدة اليهود والنصارى عرضاً يتسم بالموضوعية، وكان يثبت أقواله من كتبهم الأصلية كالتوراة والإنجيل.

١٢) نقل عن مجموعة من الكتب الأساسية والمتنوعة واستدل بها في تفسيره.

١٣) تميز تفسيره بالمعاصرة وانزال أحكام القرآن على الواقع وقد لمست ذلك في تفسيره للجانب الفقهي الذي عالج فيه قضايا استحدثت، وكان منهجه في الفقه معتدلاً لم يستطرد فيه كغيره من المفسرين وتميز بنقائه من شوائب العصبية المذهبية وعد جميع المذاهب أفضل الطرق للتفسير الفقهي الذي يميز بين الطيب والخبيث والذي فيه حفظ لتراث الأمة الإسلامية. كما إنه كان يرجح حسب الدليل ويعتني بالرد على الشبه التي تسيء للشريعة الإسلامية.

١٤) اهتم بالرد على التفاسير المنحرفة من خلال تفسيره كما أنه ناقش العلماء والمفسرين الذين اختلف معهم ورد عليهم دون تجريح أو استهانة وهذه من أخلاق مفسري كتاب الله.

١٥) أضاف الإمام أبو زهرة إلى تفسيره الجانب السياسي في بيان أصول الحكم وأهمية الجهاد من أجل تحرير أرض الإسلام، ورفض أفعال الحكام من ظلم وطغيان كما أنه رفض الاحتكام لغير شرع الله من القوانين التي وضعها البشر بحجة أنها لا تصلح لإقامة العدل بين البشر، وأنزل ذلك على الواقع وبين الواقع السياسي الذي يعيشه المسلمون في الوقت الحاضر.

١٦) اهتم بالتفسير الإصلاحي والاجتماعي، وقضايا المجتمع المعاصرة وحاول إصلاح المجتمع المسلم مما أصابه بسبب البعد عن الدين وركز على الفرد والأسرة ومن ثم إصلاح المجتمع، ورأى أن التمسك بالدين والأخلاق فيه الخير والصلاح للأمة الإسلامية مما أصابها.

١٧) تجنب التكرار مما لا فائدة منه، وكان يشير إلى ما سبق الحديث عنه.

ثانياً: ما يؤخذ على المفسر:

- ١) قلة المراجع التي أحال إليها الإمام كما أنه كان ينقل عن الكتب ولم يحل إليها وينقل عن المفسرين ويقول قال المفسرون، قال بعض التابعين، وأحياناً نادرة بعد الرجوع إلى المصدر لا أجد ما أحال إليه.
- ٢) عدم عزو الآيات القرآنية إلى سورها إلا قليلاً جداً، وهذا أمر يتعب القارئ كثيراً في البحث والرجوع إلى السورة والآية.
- ٣) عدم تخريجه للأحاديث النبوية غالباً، وكان أحياناً يقول: قال ﷺ ثم يذكر الحديث، وأحياناً أخرى يذكر الحديث دون قول قال ﷺ ويذكر ضمن السياق وكذلك الآيات القرآنية، دون الإشارة إلى ذلك.
- ٤) ذكر بعض الأحاديث الضعيفة التي استدلت بها في تفسيره.
- ٥) رفض الإمام أبو زهرة القول بأن في القرآن منسوخ ورفض نوعين من النسخ وهما:

أ- نسخ للقرآن للقرآن.

ب- نسخ السنة للقرآن.

وكان هذا الرفض هو المحور الأساس للاختلاف مع الجمهور، مع أن كل الأدلة تدلل على وجود النسخ في القرآن.

٦) عد بعض صفات الله من المجاز ورفض قبولها على الحقيقة، مع أن الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية تثبت هذه الصفات ولكن لا ندري كيف تكون.

٧) اعتماده على فتاوى ضعيفة مثل تنظيم النسل وتحديدده والذي عده أمراً واحداً وأن بها وأداً واعتبر حكمها واحداً وكذلك عدم تجويزه للاعتداء على نساء وأطفال وشيوخ العدو إذا اعتدوا على المسلمين من باب التقوى.

التوصيات

- ١) ضرورة الإسراع في طباعة هذا التفسير ليتمكن طلاب العلم من الاستفادة منه.
- ٢) أوصي وسائل الإعلام بضرورة الاهتمام في تخصيص حلقات تلفزيونية للحديث عن علم الإمام أبي زهرة، وتخصيص حلقات خاصة في ذكرى وفاته لبيان ما له من

فضل وعلم على الأمة الإسلامية.

٣) كل فصل من الفصول التي ذكرتها الباحثة في البحث تصلح لأن تكون موضوع بحث مستقل يمكن لطلاب العلم الكتابة عنه من تفسير الإمام أبي زهرة .

وأرجو أن أكون بهذا البحث قد وفقت في اتباع الحق فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي وأسأل المولى جل وعلا أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

فهارس
فهارس
فهارس
فهارس
فهارس

- ١ . فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ . فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ . فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٤ . فهرس المراجع .
- ٥ . فهرس الموضوعات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَاللَّهُ يَسِّرُهَا وَيُعَسِّرُهَا
 وَيُنزِّلُهَا وَيُصْعِقُهَا
 وَيُنزِّلُهَا وَيُصْعِقُهَا

* سورة البقرة *

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢١	١٧٧	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي...
٧٤	٧٠	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...
٨٩	٩٦	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...
١٠٦، ١٠٧	١١٥، ١١٤، ١٠٢، ١٠٠	مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...
١٧٧	١٩٤	لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ...
١٨٠	١٠٦	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ...
١٩٤	٢٥٧	فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا...
١٩٦، ١٩٧	٢١٣، ١٤١، ١٢٩، ١٢٨	وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...
٢٠٤	١٣٥، ٧٣	وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...
٢٠٥	٢٧٨	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ...
٢٠٨	٢٥٦، ٢٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا...
٢١٣	١٤٨	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...
٢١٤	١٤٨	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ...
٢١٥	١٦٢	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...
٢١٦	٢٦٥	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ...
٢١٩	٢٨٧، ٦٤، ٢٢٦	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...
٢٢١	٢٥٢، ٢٣٥، ١٦٧	وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى...
٢٢٢	٩٠، ٨٣	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ...
٢٢٣	٢٧٦	نَسَأُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَأْتُوا...
٢٢٤	٧٩	وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ...
٢٢٥	٢٧٩، ١٨١	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي...
٢٢٦	٧٧	لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصُ...
٢٢٨	١٠٣	وَالْمُطَلَقَاتِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...
٢٣٠	٢٣٦	فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ...

٢٣٦	٢٣٢	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَعْنَ أَمْحَلَهُنَّ . . .
١٠٤	٢٣٤	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ . . .
٨١	٢٣٥	عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ . . .
٩١	٢٣٦	لَا حُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ . . .
٢٣٠	٢٣٨	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ . . .
١٠٣	٢٤٠	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ . . .
١٢٤	٢٤٣	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا . . .
٩١	٢٤٩	فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي . . .
٢٩٢	٢٥٣	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ . . .
١٨١ ، ١٥١	٢٥٥	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . . .
٧١	٢٥٧	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ . . .
٨٣	٢٧١	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ . . .
٢٢٣ ، ٩٤	٢٧٢	لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ . . .
٢٨١ ، ٢٢٨	٢٧٩	وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ . . .
٢٨٦	٢٨٣	وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا . . .
١٩٤ ، ١٧٨	٢٨٥	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ . . .
١٩٠	٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . . .

* سورة آل عمران *

١١٩ ، ١١٨	٧	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ . . .
١٥٩	٢١	فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . . .
١٥٢	٢٧	تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ . . .
١٥٠	٢٨	لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ . . .
١٦٣	٣٠	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ . . .
٩٤	٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي . . .
١٩٥	٣٦	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي . . .
٦٣	٥٥	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . . .
١٤٠	٦٠ ، ٥٩	إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ . . .
١٨٠ ، ١٥١	٦٤	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ . . .
٨٧	٧٣	قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى . . .
١٤٦	٨٣	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ . . .

٩٥	٨٦	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا...٠٠٠
٢٥٣	١١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا تَتَّخِذُوا...٠٠٠
٢٢٩	١٣٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...٠٠٠
٨٨	١٣٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...٠٠٠
١٨٨	١٤٥	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ...٠٠٠
١٨٩	١٥٤	قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ...٠٠٠
٢٧٩ ، ٢٤٨	١٥٩	فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ...٠٠٠
١٩٢	١٧٩	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...٠٠٠
١٤٣	١٨٤	وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ...٠٠٠
٢٦٣	٢٠٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا...٠٠٠

* سورة النساء *

٨٩	١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي...٠٠٠
١٤٩ ، ١٠٦	١١	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ...٠٠٠
١٠٩	١٦ ، ١٥	وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ...٠٠٠
٢٧٧ ، ١٧٧ ، ٤٧	٣٦	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...٠٠٠
٩١	٤٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ...٠٠٠
٨٢	٥٤	أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ...٠٠٠
٢٤٩	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...٠٠٠
٢٥٠	٥٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...٠٠٠
٢٥٩	٦٠	يُرِيدُونَ أَنْ يُتَخَّكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ...٠٠٠
٢٦٠	٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى...٠٠٠
٢٦٤	٧٥	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...٠٠٠
١٣٤	٧٧	أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ...٠٠٠
٢٨٢	٨٣	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ...٠٠٠
٢٥٥	٩٠-٨٩	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ...٠٠٠
٩٦	٩٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ...٠٠٠
٢٦٧	٩٥	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ...٠٠٠
١٤٤	١١١	وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ...٠٠٠
٨٦	١٣٥	وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ...٠٠٠

١٩٤	١٣٦	مَنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ...
١٦١	١٤٨	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ ...
٢٠٧	١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ...
٩٩	١٦٠	فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ ...
١٨٣	١٦٤	وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ...
١٦٣	١٦٩، ١٦٨	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ ...
١٧٩	١٧١	إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...
١٤٣	١٧٤	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ...

* سورة المائدة *

٢١٤، ١٤٧، ٨	٢	وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ...
٦٤	٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ...
٢٥٢، ١٦٧، ٦٤	٥	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ...
٢١٧، ٢١٥	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ...
٢٤٩، ٧٨، ٦٥	٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ ...
٢٠١، ٧٠	١٣	فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ...
١٤٣	١٥	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ...
٢٠٢	١٧	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ...
١٢٥	٢٣	قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ...
٢١٧	٣٣	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ...
١٨٩	٤٠	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ ...
١٩٧، ١٩٠	٤١	وَمَنْ بَرِدُ اللَّهُ فَمَنْ تَمَلَكَ لَهُ ...
٢٥٩	٤٥	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...
٢٥٩	٤٧	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...
٢٦٠، ٩٣	٥٠، ٤٩	وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...
٧١	٥١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ...
٢٦٥	٥٤	يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ ...
٢٠٣، ١٨٢	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُوفَةٌ غَلَّتْ ...
١٥٣	٦٩	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ ...
٢٠٣	٧٣	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ...
٢٨٨	٩١	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ ...

٢٨٨	١٠٦	يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ...
٦٣	١٠٩	يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا ...
٨٧	١١٥	قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ...
١٣٠	١٢٠	لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ...

* سورة الأنعام *

١٢٩	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ...
١٢٩، ٨٨	٢٣	ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ...
٢٥٩، ١٦٩	٣٨	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ ...
١٦٢	٤٣	وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ مَا كَانُوا ...
١٩٣	٥٠	قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ ...
٦٣	٦٠	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ...
١٤٤	١٢٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُخْزَوْنَ ...

● سورة الأعراف *

١٩٧، ١٤٨	٣٨	قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ ...
١٨٤	٥٤	ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...
١٤٤	٨٦	وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ...
١٩٣	١٨٨	وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ ...

● سورة الأنفال *

٢٦٨، ٢٦٣	١٦، ١٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ ...
١٥٩	٣٥	فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ...
٢٩٢	٣٩	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ...
٢٦٦، ٢٦٣	٦٠	وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...
٢٥٦، ٢٢٤	٦١	وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ ...
١٠٨	٦٦	فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ ...

● سورة التوبة *

١٤١	٥	وَأَخَذُوا مِنْهُمْ مِائَةَ مِائَةٍ وَأَقْرَبُوا مِائَةً مِائَةٍ
٢٢٣	١٨، ١٧	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ
٢٢١	٢٨	يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ
١٤٩	١٠١	وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا
٢٦٣	١١١	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

● سورة يونس *

١٣١	١	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
٢٧٣	٣٦	وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا
٢٦	٤٩	لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ

● سورة هود *

١٧١	٧	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
١٥٥	١٣	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ
١٩٣	٣١	وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ
٢٦٤	٣٩، ٣٨	قَالَ إِنْ تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
١٦٥	٨٥	وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَأَلْفَاظٍ بِالْقِسْطِ
١٦٦	٨٦	بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
١٤٠	١٠٩	فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ

* سورة يوسف *

١٣٨	٢	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
٢٥٩	٤٠	إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا
٢٥١	٥٥	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
١٨٤	١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ
٢٥١	١١١	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي

● سورة الرعد *

١٢٢	٢، ١	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
١٧٧	١٥	وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

١٨٧	٢٦	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ...
١١٣، ٩٨	٣٩	يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ...

* سورة إبراهيم *

١٥٧	٢٤	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ...
٧٦	٢٦	وَمَثَلِ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ...
٨٢	٤٤	أُولَئِكَ تَكُونُوا آفْسَاسُكُمْ مِنْ قَبْلُ ...

* سورة الحجر *

٨٦	٩	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا ...
٧١	١٦	وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ...
١٩٦	٣٥، ٣٤	قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ...

● سورة النحل *

٢٣٢	١٤	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا ...
١٢٠	٤٤	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ ...
٧٢	٦٥	وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...
١٧٣	٦٩	يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ ...
٢٨٨	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...
٢٥٥	٩١	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ...
١١٣، ١٠٠، ٩٩	١٠١	وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ...
١٠٨	١٠٣	وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ ...
٧٣	١١٦	وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ ...
٢٧٩	١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ ...

● سورة الإسراء *

١٤١، ١٢٧	٨	عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ ...
٢٧٧، ٧٤	٢٤-٢٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...
١٨٢	٢٩	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ...
٢٣٩	٣١	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ...
٧٢	٣٢	وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ...

٢١٩	٣٣	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ...
٢٥٥	٣٤	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي ...
٢٧٤	٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...
١٥٥	٨٨	قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ ...
١٩١	٩٧	وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهْرِ الْمُهْتَدِي ...

• سورة الكهف *

١٣٠	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ ...
٢٧٣	٤٦	الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...

• سورة مريم *

١٥٨	٤	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ ...
١٣٥	٥٦	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ...
١٧٩	٩٣	إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...

* سورة طه *

١٨٤، ١٢٢	٥	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ...
١٨٦	١٣-١١	فَلَمَّا آتَاهَا نُورِدِي يَا مُوسَى ...
٢٠٤	٩٧	وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ ...
١٤٩	١١١	وَعَتَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ...

* سورة الأنبياء *

١٧٠	١٦	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ...
٤	١٠٥	أَنَّ الْأَرْضَ يَرِيئُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ...

* سورة الحج *

٨١	٣٠	ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ...
٢٦٣، ٢٥٦	٤٠، ٣٩	أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ...
١٤٠	٥٥	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ ...
٢٦٢، ٢٨	٧٨	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ...

* سورة المؤمنون *

٢٧٥	٣	وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝
٢٤٣	١٤-١٢	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ ۝
١٤٩	٣٦	هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝

* سورة النور *

١٦٠، ١٠٩	٢	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ ۝
١٦٦	٤	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ ۝
٢٩٠، ٨٤	٢٧	يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا ۝
٧٧	٣٠	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ۝
٢١٤	٣١	وَلْيَضْرِبِينَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۝
١٤٣	٣٥	اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝
٢٢٢	٣٧، ٣٦	فِي بُيُوتِ أَذُنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ ۝
٧٢	٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ ۝

* سورة الفرقان *

١٨٧	٢	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝
١٧١	٥٣	وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا ۝

* سورة الشعراء *

١٣٢	٢، ١	طسّم ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۝
٢٧٢	٨٩-٨٧	وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝
٢٣١	١٨٣، ١٨٢	وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝
١٣٨	١٩٥-١٩٣	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝
٢٤٦	٢١٥	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ ۝

* سورة النمل *

١٩٦	٤	إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۝
١٨٤	٤١	قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ ۝
٥١	٧٥	وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۝

* سورة القصص *

٢٧٤	٥٥	وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ...
١٨١	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ...

* سورة الروم *

٢٧٥	٢١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ...
-----	----	--

* سورة لقمان *

٢٧٧	١٤	أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ...
-----	----	---

* سورة السجدة *

١٤١	٢٣	فَلَاتَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ...
-----	----	---

* سورة الأعراف *

٧٣	٣٦	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ ...
١٨٧	٣٨	وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ...
٩١	٤٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ...

* سورة يس *

٦٨	١٢	وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلٌّ ...
----	----	--

* سورة فصلت *

١٣٨	٣	كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ قُرْآنًا ...
١٣٢	٢٦	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا ...
٧٠	٣٤	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ...
١٤١	٥٤	أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ...

* سورة الشورى *

١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ٤٧ ١٨٤، ١٨٢	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ...
١٩٤	١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ ...
٢٤٦	٣٨	وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...

* سورة محمد *

١٧٧	١٩	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...
-----	----	---

* سورة الفتح *

١٢٠، ١٢١، ١٨١، ١٨٢	١٠	يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ...
١٥٧		

* سورة العجرات *

٢٨٣	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ...
٢٤٩	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا ...
٢٥٦	١٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ ...

* سورة ق *

٧١	٦	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ...
----	---	---

* سورة الذاريات *

٢٩٢	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ...
-----	----	--

* سورة الطور *

١٥٥	٣٤	فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ ...
-----	----	--

* سورة النجم *

١١٦	٤، ٣	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ...
٢٧٤	٢٨	وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ...

* سورة الرحمن *

١٧١	١٩	مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ...
-----	----	--

* سورة الحديد *

٤٧	٣	هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ...
----	---	--

* سورة الحشر *

١١١	٧	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ...
-----	---	---

* سورة الجمعة *

١٤٧	١٠،٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ...
-----	------	--

* سورة الطلاق *

١٨٧	٣	إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ...
١٠٠	٤	وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَهْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ ...

* سورة المائدة *

٧٢	٥	وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...
----	---	---

* سورة القلم *

٢٠	٤	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ...
٢٨٠	٩	وَكُذِّبُوا لَوْ تَدْرِكُونَ مِيدَانَهُمْ ...

* سورة القيامة *

٨٥	١٨	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ...
----	----	--

* سورة المرسلات *

١٨٧	٢٣	فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ...
-----	----	--

* سورة النبأ *

٢٧٤	٣٥	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ...
-----	----	---

* سورة التکویر *

٢٣٩	٩،٨	وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ...
٢٤٣،١٩٠	٢٩	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...

* سورة الأمل *

١٨٧	٣٠٢	وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...
-----	-----	--

* سورة قريش *

٢٣٠	٢٤١	لإيلاف قريش ...
-----	-----	-----------------

فهارس
الاحاديث
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الرقم	الحديث	رقم الصفحة
١.	اجتنبوا السبع الموبقات قيل . . .	٢٦٨
٢.	أحب العمال إلى الله أدومها . . .	٧٨
٣.	إذا مات ابن آدم انقطع عمله . . .	٢٧٣
٤.	إذا وسد الأمر لغير أهله . . .	٢٤٩
٥.	اسقه عسلاً . . .	١٧٤
٦.	إذا لم تستح فاصنع ما شئت . . .	٢٨٧
٧.	أعطوها جابراً ثم قال . . .	٢٣٣
٨.	أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم . . .	٢٢٤
٩.	أن تجعل لله نداً وقد خلقك . . .	٢٣٩
١٠.	ألا إن ربا الجاهلية موضوع . . .	٢٢٩
١١.	إن الله أعطى كل ذي فرض فرضه . . .	١٠٦
١٢.	أن تؤمن بالله و ملائكته و رسله . . .	١٨٧
١٣.	إن أبغض الرجال إلى الله الألد . . .	٧٤
١٤.	إن خياركم أحسنكم أخلاقاً . . .	٢٠
١٥.	إنما الربا النسئية . . .	٢٢٩
١٦.	إنما الأعمال بالنيات . . .	٢١٦
١٧.	إنما هي أربعة أشهر وعشر . . .	١٠٤
١٨.	إني والله لا أحلف على يمين . . .	٧٧
١٩.	أي المؤمنين أعجب إيماناً . . .	٧٤
٢٠.	إياكم وخضراء الدمن . . .	٧٥
٢١.	إياكم والجلوس على الطرقات . . .	٧٧
٢٢.	أيما امرأة نكحت بغير إذن . . .	٢٣٥
٢٣.	الأيام أحق بنفسها من وليها . . .	٢٣٦
٢٤.	بتكلم الرجل تسبيحه وتكبيره . . .	٢٩١

ب	بلغوا عني ولو آية . . .	٢٥.
٧٥	تخيروا لنطفكم فإن العرق . . .	٢٦.
١١٠	خذوا عني خذوا عني . . .	٢٧.
٢٦٥	جاهدوا المشركين بأنفسكم . . .	٢٨.
٢٢٩	الذهب بالذهب والفضة . . .	٢٩.
ب	رب مبلغ أوعى من سامع . . .	٣٠.
٢٦٣	رباط يوم في سبيل الله . . .	٣١.
٢٧٧	رضا الرب من رضا . . .	٣٢.
٢٦٧	رهبانية أمتي الجهاد . . .	٣٣.
٧٦	عليكم بالصدق فإن الصدق . . .	٣٤.
٢٣٩	العزل هو الواد الخفي . . .	٣٥.
٢١٦	عمداً فعلته . . .	٣٦.
٩٦	فهلا شققت عن بطنه . . .	٣٧.
١٨٧	كل شيء بقضاء الله وقدره . . .	٣٨.
٨	كل معروف صدقة و إن من . . .	٣٩.
١٤٧	كنت نهيتكم عن زيارة القبور . . .	٤٠.
٢٣٥	لانكاح إلا بولي . . .	٤١.
٧٧	لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى . . .	٤٢.
٧٥	لم تكن سيئة الخلق حين . . .	٤٣.
٧٤	ما من حجر و لا مدر . . .	٤٤.
٨٤	ما خلفت وراءك لأهلك . . .	٤٥.
٢٧٤	من قفا مؤمناً بما ليس فيه . . .	٤٦.
٢٦٥	من مات ولم يغز مات . . .	٤٧.
٧٨	و الله لئن يلج أحدكم بيمينه . . .	٤٨.
٧٨	يا عبد الرحمن بن سمرة . . .	٤٩.

فهرس (الاعلام) المصنف جازي

رقم الصفحة	الاسم	الرقم
٢١٨	إبراهيم بن سويد النخعي	.١
٥٧	إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج	.٢
٣٣	أحمد إبراهيم إبراهيم	.٣
٤٢	أحمد فتحي سرور	.٣
٣٥	أحمد السيد الكومي	.٤
٤٧	أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية	.٥
٥٦	أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص	.٦
٢٨٣	أحمد بن محمد بن منصور بن المنير	.٧
١٥٢	أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندي	.٨
٢٠٥	أرتوس	.٩
٢١٥	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد	.١٠
٨١	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي	.١١
٥٥	إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي	.١٢
١٢٦	برهان الدين البقاعي	.١٣
٢٠٧	برنابا	.١٤
٢٤٢	جذامة بنت وهب الأسدية	.١٥
٢٦١	جنكيزخان	.١٦
٣٣	حسن منصور	.١٧
٢١٨	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	.١٨
٣٦	حمزة الدعبس	.١٩
٥٤	الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني	.٢٠
١٥	رفاعة بن بدوي بن رافع الطهطاوي	.٢١

٣٦	زكريا البري	.٢٢
١٥١	زهير بن أبي سلمى	.٢٣
٨١	زيد بن أسلم أبو أسامة العدوي	.٢٤
٢١٨	سعيد بن المسيب بن هزن	.٢٥
٢٣٨	سعيد بن حبير الأسدي	.٢٦
١٦	سلامه موسى	.٢٧
٥٩	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	.٢٨
٣٦	سيد قطب بن إبراهيم	.٢٩
٢٣٨	شريح بن الحارث بن قيس الكوفي	.٣٠
٣٧	صلاح عبد القادر	.٣١
١٥٣	ضابيء بن الحارث بن أرطأة	.٣٢
٥٧	طنطاوي جوهرى	.٣٣
٨١	عامر بن شراحيل الشعبي	.٣٤
٢١٨	عبد الله بن نكوان أبي الزناد	.٣٥
٥٦	عبد الله بن عمر بن محمد أبو الخير الببيضاوي	.٣٦
٦١	عبد الله بن محمد بن علي الهروي	.٣٧
٤٠	عبد الحليم الجندي	.٣٨
٣٣	عبد الحكيم بن محمد	.٣٩
٣٧	عبد العزيز موسى عامر	.٤٠
٢٥٤	عبد الملك بن مروان بن الحكم	.٤١
٣٣	عبد الوهاب خير الدين	.٤٢
١١٥	عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاف	.٤٣
١٥١	عدي بن الرقاع بن يزيد	.٤٤
٢١٨	عطاء بن أبي رباح أسلم	.٤٥
٨١	عكرمة بن عبد الله	.٤٦
٥٨	علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدارقطني	.٤٧
١٤١	علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي	.٤٨
٦١	علي بن محمد بن حبيب الماوردي	.٤٩

٦٠	عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه	.٥٠
٦٤	الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي	.٥١
١٠	قاسم محمد أمين	.٥٢
٢٣٨	قتادة بن دعامة السدوسي	.٥٣
٢٠٣	قسطنطين الأول بن قستانش	.٥٤
٢١٥	الليث بن سعد بن عبد الله	.٥٥
٨١	مجاهد بن جبر	.٥٦
٦١	محمد بن أبي بكر ابن قيم	.٥٧
٥٥	محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي	.٥٨
٥٩	محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني	.٥٩
٩٩	محمد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني	.٦٠
٥٥	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	.٦١
٥٩	محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني	.٦٢
٤٠	محمد حلمي مراد	.٦٣
٥١	محمد الخضر حسين	.٦٤
٣٤	محمد الخضري	.٦٥
٥٥	محمد رشيد رضا	.٦٦
٢٣٧	محمد بن سيرين الأنصاري	.٦٧
٤٠	محمد عبد المنعم خفاجي	.٦٨
٥٦	محمد عبده بن حسن	.٦٩
٣٢	محمد عاطف بركات	.٧٠
٥٧	محمد بن عمر أبو عبد فخر الدين الرازي	.٧١
٣٤	محمد عفيفي عبد الله	.٧٢
٣٤	محمد المهدي عبد الله	.٧٣
٣٧	محمد الغزالي	.٧٤
٤٠	محمد بن محمد الغزالي أبو حامد	.٧٥
٦٠	محمد بن مكرم بن منظور	.٧٦
١٤٢	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد	.٧٧

٦٠	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي	.٧٨
٥٧	محمود بن عبد الله بن محمود الأوسي	.٧٩
٥٤	محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري	.٨٠
١٤١	معمر بن المثنى أبو عبيدة	.٨١
٨١	نافع بن جبير	.٨٢
١٤٢	يحيى بن زياد الفراء	.٨٣
٢٣٧	يحيى بن يعمر البصري	.٨٤
٢٥٤، ٢٥٣	يوحنا الدمشقي	.٨٥

فهرس (المرآة) مجمع (المصنوع) دار الفكر

١. أبو زهرة عالماً إسلامياً، د. ناصر الدين وهدان، شركة ناس للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
٢. ابن تيمية حياة عصره، الإمام محمد أبو زهرة دار الفكر .
٣. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
٤. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، مؤسسة الرسالة.
٥. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
٦. الإحسان في تقريب ابن حبان ، تأليف محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .
٧. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، دار الفكر.
٨. أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر .
٩. أحكام القرآن، عماد الدين الكيا الهراس (ت ٥٠٤هـ) دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.
١٠. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، دار إحياء الكتب العربية.
١١. الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية، د. زكريا سليمان بيومي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٩٩١ م .
١١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود العمادي، دار الفكر .
١٢. أسباب النزول، لأبي الحسن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي ١٩٦٨ م
١٣. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.
١٤. الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، د. حسن أحمد محمود، دار الفكر .

- ١٥ . الإسلام اليوم وغداً، الشيخ محمد أبو زهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية.
- ١٦ . الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر - القاهرة.
- ١٧ . أصول التفسير وقواعده، الشيخ عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .
- ١٨ . أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ م .
- ١٩ . أصول الفقه، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .
- ٢٠ . أصول الفقه، الشيخ محمد الخضري، المكتبة التجارية، القاهرة.
- ٢١ . أصول الفكر السياسي، د. فتحي الوحيدوي، مطابع الهيئة الخيرية بقطاع غزة، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
- ٢٢ . الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥ م .
- ٢٣ . أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
- ٢٤ . الإعجاز العلمي في الإسلام محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية .
- ٢٥ . إعجاز القرآن، د. فضل عباس، المكتبة الوطنية .
- ٢٦ . إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمد عزور، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
- ٢٧ . الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م .
- ٢٨ . الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، دار الثقافة - بيروت .
- ٢٩ . أنباء الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين القفطي، دار الفكر العربي، طبعة أولى ١٩٩٦ م .
- ٣٠ . بحوث في الربا، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- ٣١ . السبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، شيخ الإسلام محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة - بيروت .

٣٢. البرهان في علوم القرآن، الإمام برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٣٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت.
٣٤. بلاغة الكلمة والجملة والجمال، د. منير سلطان، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٣٥. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٩٩١م.
٣٦. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتاب العربي بيروت.
٣٧. تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية، د. أحمد الشربيني، الهيئة العامة للكتاب.
٣٨. تاريخ العرب الحديث، د. جمال بيضون، دار الأمل، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٣٩. تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، د. حلمي محروس إسماعيل، مؤسسة شباب الجامعة.
٤٠. تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث، د. عبد العزيز نوار، دار الفكر.
٤١. تاريخ مصر الحديث مع فذلكة منذ فجر تاريخ مصر القديم، جرجي زيدان، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
٤٢. تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، جورج يانج، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
٤٣. تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، محمد صبري، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
٤٤. تاريخ وسياسات التعليم الحديث في مصر، د. شكري عباس حلمي، د. إيهاب السيد إمام، طبعة ١٩٩٦م.
٤٥. تاريخ مصر الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة.
٤٦. التحرير والتتوير، الإمام الطاهر ابن عاشور، دار سخنون- تونس، طبعة ١٩٩٧م.
٤٧. تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ)، دار الفكر العربي.

- ٤٨ . تطور مصر، مارسيل كولومب، مكتبة مدبولي.
- ٤٩ . التعليم الحديث ، د. شيل بدران، المكتبة التربوية.
- ٥٠ . تفسير غريب القرآن ، أبي محمد عبد الله بن قتيبة، دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٧٨م
- ٥١ . تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة طبعة ثانية.
- ٥٢ . تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار الحديث.
- ٥٣ . تفسير القرآن العظيم، الإمام عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز - الرياض، طبعة أولى ١٩٩٧م.
- ٥٤ . التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية-طهران، الطبعة الثانية.
- ٥٥ . تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر.
- ٥٦ . التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة ١٩٩٥م .
- ٥٧ . تقريب التهذيب، الإمام ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
- ٥٨ . التلخيص في علوم البلاغة، الإمام جلال الدين القزويني الخطيب، دار الفكر العربي .
- ٥٩ . تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، د. عبد الرحيم مران، طبعة ١٩٩٤م .
- ٦٠ . تنظيم الأسرة و تنظيم النسل، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- ٦١ . تهذيب اللغة، أبي منصور محمد الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القومية العربية ١٩٦٤م.
- ٦٢ . تيسير مصطلح الحديث، د. أحمد هاشم، طبعة أولى ١٩٨٢م، بدون دار نشر.
- ٦٣ . الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الكاتب العربي، طبعة ١٩٦٧م.
- ٦٤ . جامع البيان في تفسير القرآن، شيخ الإسلام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الحديث ١٩٨٧م.
- ٦٥ . الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، دار البيارق- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٦٦. حجة القراءات، لأبي زرعة ابن زنجلة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .
٦٧. حقوق المرأة في الزواج، الشيخ محمد بن الغروي، دار الاعتصام .
٦٨. دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، د. بديع شريف وآخرون، دار اقرأ.
٦٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار الجيل - بيروت.
٧٠. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والمشبهة، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: الشيخ محمد الكوثري، المكتبة التوفيقية.
٧١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، طبعة ١٩٧٨م .
٧٢. الدليل العام للجامعات العربية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٧٣. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر .
٧٤. ذكر أسماء التابعين من بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٥م .
٧٥. روح المعاني، شهاب الدين محمود الأوسي، دار الفكر، طبعة ١٩٧٨م .
٧٦. سبل السلام، الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، مكتبة عاطف، القاهرة.
٧٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للإمام الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٧٨. سلسلة محاضرات العلماء البارزين، فقه الضرورة وتطبيقاته المعاصرة، د. عبد الوهاب أبو سليمان، طبعة ١٩٩٣م .
٧٩. سنن ابن ماجه، الحافظ محمد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٨٠. سنن أبو داود، للإمام أبي داود سليمان السجستاني (ت ٢٧٥هـ) دار الفكر.
٨١. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: إبراهيم عوض، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
٨٢. سنن الدارمي، الإمام عبد الله بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، دار إحياء السنة النبوية.

٨٣. السنن الكبرى، الإمام أحمد بن علي النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البذاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
٨٤. السنن الكبرى، للإمام البيهقي، تحقيق: د. محمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
٨٥. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
٨٦. السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاف، دار الأنصار، طبعة ١٩٧٧م.
٨٧. السياسة الشرعية الحديثة، د. محي الدين قاسم، المعهد العالمي للفكر السياسي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٨٨. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٩٧٠م.
٨٩. الشافعي عصره وحياته وآراؤه الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٩٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
٩١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: د. أحمد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
٩٢. شرح العقيدة الطحاوية، الإمام ابن أبي العز الحنفي الطحاوي، المكتب الإسلامي، طبعة ثانية ١٩٨٤م.
٩٣. شرح فتح القدير، الإمام كمال الدين محمد بن همام الحنفي (ت ٨٦١هـ)، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
٩٤. الشورى وأثرها في الديمقراطية، عبد الحميد الأنصاري، المكتبة العصرية بيروت، طبعة ثانية.
٩٥. الصحاح تاج العربية وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.
٩٦. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

٩٧. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٩٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، دار مكتبة الحياة.
٩٩. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين التميمي الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلوة، دار الرفاعي طبعة ١٩٨٣م.
١٠٠. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، طبعة سادسة.
١٠١. طبقات الشعراء، أبي محمد عبد الله الدينوديز، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، طبعة الثانية ١٩٨٥م.
١٠٢. طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الكتب العلمية.
١٠٣. طبقات المفسرين، شمس الدين محمد الداودي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة أولى ١٩٨٣م.
١٠٤. العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، الشيخ محمد أبو زهرة، مجمع البحوث الإسلامية.
١٠٥. العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٠٦. علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم بيروت، طبعة أولى ١٩٨٠م.
١٠٧. علوم القرآن، د. عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
١٠٨. فاروق وسقوط الملكية في مصر، د. لطيفة سالم، مكتبة مدبولي، طبعة أولى ١٩٩٦م.
١٠٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) المكتبة السلفية.
١١٠. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني المكتبة العصرية، طبعة أولى ١٩٩٥م.
١١١. الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، طبعة ثالثة ١٩٨٩م.
١١٢. فقه السنة، د. محمد سعيد البوطي، طبعة سادسة.
١١٣. فوات الوفيات، محمد الكبتي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت.
١١٤. في رحاب التفسير، الشيخ عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.

- ١١٥ . في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب، دار الشروق، طبعة تاسعة ١٩٨٠م.
- ١١٦ . فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي، دار الفكر، طبعة ثانية ١٩٧٢م .
- ١١٧ . القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل- بيروت.
- ١١٨ . القرآن و إعجازه التشريعي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي .
- ١١٩ . قمم إسلامية، أبو بكر عبد الرزاق، دار الاعتصام، القاهرة .
- ١٢٠ . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب التسعة، الإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، طبعة أولى ١٩٨٣م.
- ١٢١ . الكتاب، لأبي بشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب.
- ١٢٢ . الكشاف، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ-)، ويليه الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة- بيروت .
- ١٢٣ . الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.
- ١٢٤ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاجي خليفة، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٤م .
- ١٢٥ . كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩١م.
- ١٢٦ . لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م .
- ١٢٧ . لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف .
- ١٢٨ . لسان الميزان، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- ١٢٩ . مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار العلم دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
- ١٣٠ . مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة ١٩٩٠م .
- ١٣١ . المجتمع الإسلامي في ظل القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر الإسلامي .
- ١٣٢ . مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل الطبرسي، مكتبة دار الحياة - بيروت.
- ١٣٣ . مجموع رسائل الإمام الغزالي، للإمام أبي حامد الغزالي، بدون دار نشر.

١٣٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م
١٣٥. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر الإسلامي .
١٣٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام أبي الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، القاهرة ١٩٩٩م
١٣٧. المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبد السلام الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
١٣٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفيحاء بيروت.
١٣٩. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الإمام عبد الله الياضي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٣م .
١٤٠. مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
١٤١. المستدرک على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي.
١٤٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار المعرفة.
١٤٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعالم ابن محمد الفيومي، دار الفكر العربي.
١٤٤. مصر قبل عبد الناصر، د. عبد العظيم رمضان، الهيئة العامة للكتاب .
١٤٥. مصر المجاهدة في العصر الحديث، عبد الرحمن الرافي، دار الهلال.
١٤٦. المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي، د. مصطفى زيد، (رسالة دكتوراه) دار الفكر العربي، طبعة أولى ١٩٥٥م .
١٤٧. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.
١٤٨. المصنف الحديث في أسباب النزول، إعداد: عبد الله إسماعيل، مكتبة آفاق فلسطين، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .
١٤٩. المصنف في الأحاديث والآثار، للإمام عبد الله بن أبي شيبه الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
١٥٠. معالم تاريخ مصر الحديث، د. شوقي الجمل، د. عبد الله إبراهيم، دار الثقافة .

١٥١. معاني القرآن، للكسائي، إعداد: عيسى شحاته عيسى علي، دار قباء .
١٥٢. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .
١٥٣. المعجزة الكبرى (القرآن)، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٨ م .
١٥٤. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة.
١٥٥. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية .
١٥٦. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٩ م.
١٥٧. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار التراث العربي، ومكتبة المتنبّي- بيروت.
١٥٨. المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثانية .
١٥٩. معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمع وترتيب: يوسف سركيس، مكتبة الثقافة الدينية.
١٦٠. المغني، لأبي محمد ابن قدامه (ت ٦٢٠هـ) مكتبة الرياض الحديثة.
١٦١. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
١٦٢. المقاصد الحسنة، محمد السخاوي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .
١٦٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
١٦٤. المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله، لأبي عمر الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م .
١٦٥. مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية ١٩٩٦ م.
١٦٦. من بلاغة القرآن، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .
١٦٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .
١٦٨. المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق بيروت.

١٦٩. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الإمام شمس الدين ابن الجزري، دار الكتب العلمية.
١٧٠. الموافقات في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة- بيروت .
١٧١. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غريال، دار النهضة- لبنان ١٩٨١م .
١٧٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ-)، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر .
١٧٣. ناسخ القرآن ومنسوخه، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: حسن الدراني، دار الثقافة العربية ١٩٩٠م .
١٧٤. النسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .
١٧٥. النشر في القراءات العشر، للإمام محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ-)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
١٧٦. نصب الراية لأحاديث الهداية، الإمام جمال الدين الزيلعي (ت ٧٧٢هـ-) المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٩٧٣م .
١٧٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
١٧٨. النهضة الإسلامية في سير أعلامها النبلاء، د. محمد رجب البيومي، طبعة ١٩٩٧م .
١٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ-)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية- بيروت.
١٨٠. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ-)، دار الفكر .
١٨١. هموم الداعية، الشيخ محمد الغزالي، دار البشير، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
١٨٢. وفيات الأعيان، شمس الدين ابن خلكان (ت ٦٨١هـ-)، دار الثقافة .

* مجلات وملتقيات :

١٨٣. الأزهر ، القاهرة، العدد ٥، أغسطس ١٩٧٤م . والعدد ٨، مايو ١٩٨٤م.
 ١٨٤. الأمة ، قطر، العدد ٥، مارس ١٩٨١م .
 ١٨٥. حضارة الإسلام، دمشق، العدد ٣، جمادى الأولى ١٣٩٤م.
 ١٨٦. دراسات عربية وإسلامية، القاهرة، عام ١٤١٢هـ .
 ١٨٧. الرسالة الإسلامية، العراق، العدد ٥، يونيو ١٩٧٤م.
 ١٨٨. لواء الإسلام، مصر، هناك مجموعة كبيرة من الأعداد في تفسير القرآن للإمام
 أبي زهرة تم إثباتها في البحث وهي:

- السنة ٥، العدد ٣، ذو القعدة ١٣٧٠هـ - أغسطس ١٩٥١م.
 السنة ٥، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٧٠هـ - سبتمبر ١٩٥١م.
 السنة ٥، العدد ٥، محرم ١٣٧١هـ - أكتوبر ١٩٥١م.
 السنة ٥، العدد ٦، صفر ١٣٧١هـ - نوفمبر ١٩٥١م.
 السنة ٥، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٧١هـ - ديسمبر ١٩٥١م.
 السنة ٥، العدد ٨، ربيع الآخر ١٣٧١هـ - يناير ١٩٥٢م.
 السنة ٥، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧١هـ - فبراير ١٩٥٢م.
 السنة ٥، العدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٧١هـ - مارس ١٩٥٢م.
 السنة ٥، العدد ١١، رجب ١٣٧١هـ - مارس ١٩٥٢م.
 السنة ٥، العدد ١٢، شعبان ١٣٧١هـ - إبريل ١٩٥٢م.
 السنة ٦، العدد ١، رمضان ١٣٧١هـ - مايو ١٩٥٢م.
 السنة ٦، العدد ٢، شوال ١٣٧١هـ - يونيو ١٩٥٢م.
 السنة ٦، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٧١هـ - أغسطس ١٩٥٢م.
 السنة ٦، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٧٢هـ - نوفمبر ١٩٥٢م.
 السنة ٦، العدد ١١، رجب ١٣٧٢هـ - مارس ١٩٥٣م.
 السنة ٦، العدد ١٢، شعبان ١٣٧٢هـ - إبريل ١٩٥٣م.
 السنة ٧، العدد ١، رمضان ١٣٧٢هـ - مايو ١٩٥٢م.
 السنة ٧، العدد ٣، ذو القعدة ١٣٧٢هـ - يوليه ١٩٥٣م.
 السنة ٧، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٧٢هـ - أغسطس ١٩٥٣م.

- السنة ٧، العدد ٥، محرم ١٣٧٣هـ - سبتمبر ١٩٥٣م.
- السنة ٧، العدد ٦، صفر ١٣٧٣هـ - أكتوبر ١٩٥٣م.
- السنة ٧، العدد ٨، ربيع الآخر ١٣٧٣هـ - إبريل ١٩٥٤م.
- السنة ٧، العدد ١٢، شعبان ١٣٧٣هـ - إبريل ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ١، رمضان ١٣٧٣هـ - مايو ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ٣، ذو القعدة ١٣٧٣هـ - يولييه ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ٥، محرم ١٣٧٤هـ - سبتمبر ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٧٤هـ - نوفمبر ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ٨، ربيع الآخر ١٣٧٤هـ - ديسمبر ١٩٥٤م.
- السنة ٨، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧٤هـ - يناير ١٩٥٥م.
- السنة ٩، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٧٤هـ - يولييه، أغسطس ١٩٥٥م.
- السنة ٩، العدد ٥، محرم ١٣٧٥هـ - أغسطس، سبتمبر ١٩٥٥م.
- السنة ٩، العدد ٦، صفر ١٣٧٥هـ - سبتمبر، أكتوبر ١٩٥٥م.
- السنة ٩، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٧٥هـ - أكتوبر، نوفمبر ١٩٥٥م.
- السنة ٩، العدد ١١، رجب ١٣٧٥هـ - فبراير ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ١، رمضان ١٣٧٥هـ - إبريل ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ٢، شوال ١٣٧٥هـ - مايو ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ٣، ذو القعدة ١٣٧٥هـ - يونيه ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ٥، محرم ١٣٧٦هـ - أغسطس ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ٨، ربيع الثاني ١٣٧٦هـ - نوفمبر ١٩٥٦م.
- السنة ١٠، العدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٦هـ - يناير ١٩٥٧م.
- السنة ١١، العدد ٢، شوال ١٣٧٦هـ - مايو ١٩٥٧م.
- السنة ١١، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧٧هـ - ديسمبر ١٩٥٧م.
- السنة ١٢، العدد ١، رمضان ١٣٧٧هـ - إبريل ١٩٥٨م.
- السنة ١٢، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٧٧هـ - يولييه ١٩٥٨م.
- السنة ١٢، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٧٨هـ - أكتوبر ١٩٥٨م.
- السنة ١٣، العدد ٢، شوال ١٣٧٨هـ - إبريل ١٩٥٩م.

- السنة ١٣، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧٩هـ - نوفمبر ١٩٥٩م.
- السنة ١٤، العدد ١، رمضان ١٣٧٩هـ - فبراير ١٩٦٠م.
- السنة ١٤، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ - أكتوبر ١٩٦٠م.
- السنة ١٤، العدد ١١، رجب ١٣٨٠هـ - ديسمبر ١٩٦٠م.
- السنة ١٥، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٨٠هـ - مايو ١٩٦١م.
- السنة ١٥، العدد ٦، صفر ١٣٨١هـ - يوليو ١٩٦١م.
- السنة ١٥، العدد ١٠، جمادى الثاني ١٣٨١هـ - نوفمبر ١٩٦١م.
- السنة ١٥، العدد ١١، رجب ١٣٨١هـ - ديسمبر ١٩٦١م.
- السنة ١٥، العدد ١٢، شعبان ١٣٨١هـ - يناير ١٩٦٢م.
- السنة ١٦، العدد ٢، شوال ١٣٨١هـ - مارس ١٩٦٢م.
- السنة ١٦، العدد ٥، محرم ١٣٨٢هـ - يونيو ١٩٦٢م.
- السنة ١٦، العدد ٦، صفر ١٣٨٢هـ - يوليو ١٩٦٢م.
- السنة ١٦، العدد ١٢، شعبان ١٣٨١هـ - يناير ١٩٦٢م.
- السنة ١٧، العدد ١، رمضان ١٣٨٢هـ - يناير ١٩٦٣م.
- السنة ١٧، العدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٣هـ - أغسطس ١٩٦٣م.
- السنة ١٧، العدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٣هـ - أكتوبر ١٩٦٣م.
- السنة ١٨، العدد ٥، محرم ١٣٨٤هـ - مايو ١٩٦٤م.
- السنة ١٨، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٨٤هـ - يوليو ١٩٦٤م.
- السنة ١٨، العدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٤هـ - أغسطس ١٩٦٤م.
- السنة ١٨، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٤هـ - سبتمبر ١٩٦٤م.
- السنة ١٨، العدد ١١، رجب ١٣٨٤هـ - نوفمبر ١٩٦٤م.
- السنة ١٩، العدد ٢، شوال ١٣٨٤هـ - فبراير ١٩٦٥م.
- السنة ١٩، العدد ٥، محرم ١٣٨٥هـ - إبريل ١٩٦٥م.
- السنة ١٩، العدد ٦، صفر ١٣٨٥هـ - يونيو ١٩٦٥م.
- السنة ١٩، العدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٥هـ - يوليو ١٩٦٥م.
- السنة ١٩، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٥هـ - أغسطس ١٩٦٥م.
- السنة ١٩، العدد ١١، رجب ١٣٨٥هـ - أكتوبر ١٩٦٥م.

- السنة ٢٠، العدد ٢، شوال ١٣٨٥هـ - يناير ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٨٥هـ - إبريل ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ٥، محرم ١٣٨٦هـ - إبريل ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ٦، صفر ١٣٨٦هـ - مايو ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٨٦هـ - يونيو ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٦هـ - أغسطس ١٩٨٦م.
- السنة ٢٠، العدد ١٠، جمادى الثانية ١٣٨٦هـ - سبتمبر ١٩٦٦م.
- السنة ٢٠، العدد ١١، رجب ١٣٨٦هـ - أكتوبر ١٩٦٦م.
- السنة ٢١، العدد ٤، ذو الحجة ١٣٨٦هـ - مارس ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ٥، محرم ١٣٨٧هـ - إبريل ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ٦، صفر ١٣٨٧هـ - مايو ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ٧، ربيع الأول ١٣٨٧هـ - يونيو ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ٨، ربيع الآخر ١٣٨٧هـ - يوليه ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٧هـ - أغسطس ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ - سبتمبر ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ١١، رجب ١٣٨٧هـ - أكتوبر ١٩٦٧م.
- السنة ٢١، العدد ١٢، شعبان ١٣٨٧هـ - نوفمبر ١٩٦٧م.
- السنة ٢٢، العدد ١١، رجب ١٣٨٨هـ - أكتوبر ١٩٦٨م.
- السنة ٢٢، العدد ١٢، شعبان ١٣٨٧هـ - نوفمبر ١٩٦٧م.
- السنة ٢٣، العدد ١، رمضان ١٣٨٨هـ - نوفمبر ١٩٦٨م.
- السنة ٢٣، العدد ٥، محرم ١٣٨٩هـ - مارس ١٩٦٩م.
- السنة ٢٣، العدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٩هـ - يونيو ١٩٦٩م.
- السنة ٢٩، العدد ٣، ذو الحجة ١٣٩٤هـ - ديسمبر ١٩٧٤م.
- السنة ٣١، العدد ٣، ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٨٩هـ - نوفمبر،
ديسمبر ١٩٧٧م.

١٨٩. المجتمع، العدد ١٩٧، إبريل ١٩٧٤م.

١٩٠. المسلمون، الأردن، العدد ١، السنة ١.

١٩١. الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي بالجزائر، المجلد الثاني، يوليو ١٩٧٣م، منشورات التعليم الأصلي و الشؤون الدينية .
١٩٢. الهلال، العدد ٣، مارس ١٩٧٤م . والعدد ٥، مايو ١٩٧٤م .

فهرس الموضوعات

	اهداء
أ	شكر وتقدير
ب	المقدمة
ج	أهمية البحث
ج	أسباب اختيار الموضوع
ج	الدراسات السابقة
د	أهداف البحث
د	منهجية البحث.
و	المصطلحات والرموز التي وردت في البحث
و	الصعوبات التي واجهت الباحثة
ح	خطة البحث
تمهيد	
(٥٢-١)	أبو زهرة عصره وحياته
٢	المبحث الأول: عصر الإمام أبي زهرة
٢	المطلب الأول: الحالة السياسية
٨	المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية
٨	أولاً: الجانب الاجتماعي
١٢	ثانياً: الجانب الاقتصادي
١٤	المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية
١٨	المبحث الثاني: حياته الشخصية
١٨	المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته
١٨	أولاً: اسمه ومولده
١٨	ثانياً: نشأته
٢٠	المطلب الثاني: صفاته وأخلاقه

- ٢٠ أ. غزارة علمه
- ٢١ ب. قوة حفظه وذاكرته
- ٢٢ ج. إخلاصه في طلب العلم
- ٢٣ د. الشجاعة في قول الحق
- ٢٤ هـ. الصبر على الشدائد
- ٢٤ و. الدعاية الهادفة
- ٢٥ ز. الهيبة
- ٢٦ المطلب الثالث: وفاته
- ٢٩ المبحث الثالث: حياته العلمية
- ٢٩ المطلب الأول: رحلته العلمية
- ٣٢ المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه
- ٣٢ أولاً: شيوخه:
- ٣٢ ١. الأستاذ: محمد عاطف بركات
- ٣٣ ٢. الشيخ أحمد إبراهيم
- ٣٣ ٣. الشيخ: حسن منصور
- ٣٣ ٤. الأستاذ: عبد الحكيم بن محمد
- ٣٣ ٥. الأستاذ: عبد الوهاب خير الدين
- ٣٤ ٦. الأستاذ: محمد الخضري
- ٣٤ ٧. الأستاذ: محمد عفيفي
- ٣٤ ٨. الأستاذ: محمد المهدي
- ٣٥ ثانياً: تلاميذه:
- ٣٥ ١. الدكتور: أحمد السيد الكومي
- ٣٦ ٢. حمزة الدعبس
- ٣٦ ٣. زكريا البري
- ٣٦ ٤. الإمام سيد قطب
- ٣٧ ٥. الدكتور: صلاح عبد القادر
- ٣٧ ٦. الدكتور: عبد العزيز موسى عامر
- ٣٧ ٧. الدكتور: محمد الطيب النجار

٣٧	٨. الشيخ محمد الغزالي
٣٩	المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
٣٩	أولاً: مكانته العلمية
٣٩	ثانياً: ثناء العلماء عليه:
٣٩	١. زكريا البري
٤٠	٢. د. عبد الحليم الجندي
٤٠	٣. د. عدنان زررور
٤٠	٤. د. محمد حلمي مراد
٤٠	٥. د. محمد عبد المنعم خفاجي
٤١	٦. الشيخ محمد الغزالي
٤٢	المطلب الرابع: آثاره العلمية
٤٣	أ. الأدب
٤٣	ب. الاجتماع ونظام الإسلام
٤٤	ج. التفسير وعلوم القرآن
٤٤	د. سلسلة الأئمة المجتهدين
٤٤	هـ. السيرة النبوية
٤٥	ز. الفقه وأصوله
٤٥	ح. القانون
٤٥	ط. موضوعات متفرقة
٤٧	المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي
٤٧	أولاً: عقيدته
٤٨	ثانياً: مذهب الفقهي
٥٠	المطلب السادس: اهتمام الإمام أبي زهرة بالتفسير وعلوم القرآن
٥٠	أولاً: تفسير القرآن
٥٢	ثانياً: علوم القرآن

الفصل الأول

(٥٣ - ٦٦)

مصادره في التفسير

- ٥٤ المبحث الأول: المصادر التي أحال إليها
- ٥٤ أ. كتب التفسير وعلوم القرآن
- ٥٨ ب. كتب الحديث
- ٥٩ ج. الفقه وأصوله
- ٦٠ د. كتب اللغة والبلاغة
- ٦١ هـ. الكتب الثقافية الإسلامية
- ٦٣ المبحث الثاني: المصادر التي نقل عنها الإمام ولم يحل إليها

الفصل الثاني

(٦٧ - ١٣٦)

منهج الإمام أبي زهرة في التفسير النقلى

- ٦٨ المبحث الأول: منهجه في التفسير بالمأثور
- ٦٨ تعريف التفسير بالمأثور
- ٧٠ المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن
- ٧٠ ١. بيان معنى كلمة قرآنية بما ورد في آية أخرى
- ٧٠ ٢. الاستدلال بالقرآن على تعدد المعاني للكلمة القرآنية الواحدة
- ٧١ ٣. تفسير آية بما يناظرها في آيات أخرى
- ٧٢ ٤. بيان ما أجمل في آية وفصل في أخرى
- ٧٢ ٥. تفسير آية بما يناظرها في آيات أخرى في مسألة فقهية
- ٧٣ المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة
- ٧٣ أولاً: منهجه في قبول الحديث في التفسير بالمأثور
- ٧٣ ١. اهتمامه بما ورد من الأحاديث في كتب الصحاح والسنن
- ٧٤ ٢. الاستدلال بالحديث دون بيان سنده أو درجته ومصدره غالباً
- ٧٥ ٣. الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أحياناً
- ٧٦ ثانياً: منهج الإمام أبي زهرة في تفسير القرآن بالسنة
- ٧٦ ١. بيان معنى كلمة قرآنية من خلال الحديث

- ٧٦ .٢ تفسير الآية بحديث
- ٧٧ .٣ تفسير القرآن بالسنة لبيان حكم فقهي
- ٧٨ .٤ الاستدلال بحديث لبيان حكم بياني
- ٨٠ المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين
- ٨١ .١ بيانهم لمعاني الكلمات القرآنية
- ٨٢ .٢ الاستدلال بأقوالهم في تفسير الآيات القرآنية
- ٨٣ .٣ الاستدلال بتفسيرهم للأحكام الفقهية ومناقشتهم والترجيح بينهم
- ٨٣ .٤ استئناسه بعمل الصحابة في تفسير القرآن
- ٨٥ المبحث الثاني: منهجه في علوم القرآن
- ٨٥ المطلب الأول: القراءات القرآنية
- ٨٥ أولاً: تعريف القراءات
- ٨٦ ثانياً: قبول القراءة عند الإمام أبي زهرة
- ٨٦ ثالثاً: منهجه في عرض القراءات القرآنية
- ٨٦ .١ عرض القراءة ونسبتها إلى راويها وتوجيهه لها أحياناً
- ٨٦ .٢ عرض القراءة دون نسبتها إلى قارئها والحكم عليها أحياناً مع التوجيه.
- ٨٧ .٣ عرض القراءة دون التوجيه أحياناً
- ٨٧ .٤ عرض القراءة التي فيها زيادة أو نقص بعض حروفها مع توجيهها.
- ٨٨ .٥ استشهاده بأقوال المفسرين في القراءات
- ٨٩ .٦ تأكيده على أن قراءات القرآن لا تخضع لقواعد النحاة
- ٩٠ .٧ توجيهه للقراءات التي يترتب على اختلافها اختلاف فقهي
- ٩١ .٨ استشهاده بالقراءات الشاذة أحياناً
- ٩٣ المطلب الثاني: أسباب النزول
- ٩٣ تعريف أسباب النزول
- ٩٣ منهجه في أسباب النزول
- ٩٣ .١ استعراضه لسبب النزول بعد شرح الآية وبيان مفرداتها أحياناً
- ٩٤ .٢ عدم ذكره لسند الرواية في سبب النزول غالباً

- ٩٥ .٣. نقل أسباب النزول من كتب التفسير
- ٩٦ .٤. تعدد الروايات و السبب واحد
- ٩٨ المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ
- ٩٨ أولاً: تعريف النسخ
- ٩٨ ثانياً: أدلة وقوع النسخ
- ٩٩ ثالثاً: موقف الإمام أبي زهرة من النسخ
- ١١١ النتائج التي توصلت إليها الباحثة في موضوع النسخ
- ١١١ أدلة اثبات النسخ في القرآن
- ١١١ .١. اللغة
- ١١٢ .٢. القراءات
- ١١٢ .٣. أسباب النزول
- ١١٣ .٤. مناقشة أدلة المانع للنسخ
- ١١٧ المطلب الرابع: المحكم والمتشابه
- ١١٧ أولاً: تعريف المحكم
- ١١٨ ثانياً: موقف الإمام أبي زهرة من المحكم والمتشابه
- ١١٨ .١. تبيينه لمنهج السلف في المحكم والمتشابه
- ١٢٠ .٢. المتشابه يقع في آيات الصفات لا الأحكام التكليفية
- ١٢٣ المطلب الخامس: الإسرائيليات
- ١٢٦ المطلب السادس: المناسبات
- ١٢٦ أولاً: تعريف علم المناسبة
- ١٢٧ ثانياً: منهج الإمام أبي زهرة من علم المناسبة
- ١٢٧ .١. علاقة اسم السورة بالسورة
- ١٢٧ .٢. المناسبة بين فقرات الآية
- ١٢٨ .٣. المناسبة بين الآيات المتسلسلة في سورة واحدة
- ١٢٩ .٤. مناسبة فواتح السور مع خاتمة ما قبلها
- ١٣١ المطلب السابع: الحروف المقطعة في أوائل السور
- ١٣١ منهج الإمام أبي زهرة في تفسير الحروف المقطعة
- ١٣٤ المطلب الثامن: المبهمات

١٣٤ أولاً: تعريف المبهم

١٣٤ ثانياً: موقف الإمام أبي زهرة من المبهم في القرآن

الفصل الثالث

(١٣٧-١٧٥) منهجه في التفسير بالرأي

١٣٨ تعريف التفسير بالرأي

١٣٨ المبحث الأول: القضايا اللغوية عند الإمام أبي زهرة

١٤٠ المطلب الأول: عنايته ببيان معاني المفردات اللغوية واشتقاقها

١٤٠ ١. اعتماده على كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني غالباً

١٤١ ٢. ذكره للاختلاف اللغوية حول الكلمة التي يبنى عليها أحكام فقهية متعددة

١٤٣ ٣. بيان أصل الكلمة اللغوية، ومدلولها المعنوي، واستعمالات القرآن لها

١٤٤ ٤. بيان المعنى اللغوي للكلمة القرآنية أحياناً

١٤٦ المطلب الثاني: موقفه من المسائل النحوية والصرفية

١٤٦ ١. الاعتدال في عرض المسائل النحوية

١٤٧ ٢. إعراب الآية والإتيان بنظيرها في الإعراب من القرآن و السنة

١٤٧ ٣. نقله لأقوال العلماء واختلافاتهم في المسائل النحوية أحياناً

١٤٩ ٤. تعرضه للمسائل الصرفية أحياناً

١٥١ المطلب الثالث: استشاده بالشعر

١٥١ ١. استشاده بالشعر لبيان معنى الكلمات القرآنية

١٥٢ ٢. الاستدلال بالشعر لتفسير آية

١٥٣ ٣. الاستدلال بالشعر على توجيه رأي في الإعراب

١٥٥ المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند الإمام أبي زهرة

١٥٦ المطلب الأول الإعجاز البياني

١٥٦ تعريف الإعجاز البياني

١٥٦ منهجه في بيان الإعجاز البياني

١٥٧ أولاً: وجوه البلاغة

١٥٧ ١. التشبيه

١٥٧	٢ . الاستعارة
١٥٨	٣ . الكناية
١٥٩	٤ . المجاز
١٦٠	٥ . التقديم والتأخير
١٦٠	ثانياً: الأساليب البيانية
١٦١	١ . الحرف القرآني
١٦١	٢ . الكلمة القرآنية
١٦٢	٣ . الجملة القرآنية
١٦٣	٤ . الفاصلة القرآنية
١٦٥	المطلب الثاني: الإعجاز التشريعي
١٦٥	تعريف الإعجاز التشريعي
١٦٩	المطلب الثالث: الإعجاز العلمي
١٦٩	تعريف الإعجاز العلمي:
١٧٠	١ . الإعجاز في خلق السموات والأرض
١٧١	٢ . الإعجاز في (مرج البحرين يلتقيان)
١٧٣	٣ . الإعجاز في (فيه شفاء للناس)

الفصل الرابع

(١٧٦-٢١٠) منهج الإمام أبي زهرة في عرض قضايا العقيدة

١٧٧	المبحث الأول: إقراره لعقيدة التوحيد والدفاع عنها
١٧٨	أولاً: إثبات التوحيد لله
١٨١	ثانياً: إثبات الصفات لله تعالى .
١٨٧	المبحث الثاني: القضاء والقدر
١٨٧	موقف الامام أبي زهرة من القضاء و القدر
١٨٨	١ . مشيئة الله سبحانه تعالى
١٩٠	٢ . أفعال العباد
١٩٢	المبحث الثالث: منهجه في اقرار الغيبات
١٩٣	١ . الايمان بوجود الملائكة والرسل والكتب السماوية

١٩٥	٢. وجود الشيطان
١٩٦	٣. الحياة الآخرة
١٩٧	٤. الايمان بوجود الجن
١٩٩	المبحث الرابع: عرضه لعقيدة اليهود والنصارى ومناقشته لهما
١٩٩	أولاً: عرضه لعقيدة اليهود ومناقشته لهم :
١٩٩	١. التوحيد عند اليهود
٢٠٠	أ. وصف اليهود لله بالبخل
٢٠٠	ب. عبادة العجل
٢٠١	٢. تحريف التوراة
٢٠٢	ثانياً: عرضه لعقيدة النصارى و مناقشته لهم
٢٠٢	١. عقيدة تأليه المسيح
٢٠٥	٢. عقيدة التثليث
٢٠٦	٣. صلب المسيح و فداء الخليقة

الفصل الخامس

(٢١١ - ٢٤٤) منهجه في تفسير آيات الأحكام

٢١٢	المبحث الأول: منهجه في استنباط الأحكام الفقهية
٢١٣	أولاً: العرض الموجز في تفسير آيات الأحكام
٢١٤	ثانياً: بيان الأصل اللغوي للمفردات الفقهية
٢١٥	ثالثاً: الموضوعية وعدم التعصب لمذهب معين
٢١٧	رابعاً: عرضه لأقوال الصحابة والتابعين في بعض المسائل الفقهية
٢١٨	خامساً: تعليل الحكم الفقهي وإنزاله على الواقع غالباً
٢٢١	المبحث الثاني: الجانب الفقهي في تفسير الإمام أبي زهرة
٢٢١	المطلب الأول: جوانب فقهية من فقه العبادات
٢٢١	أولاً: نجاسة المشركين
٢٢٣	ثانياً: رأيه في الصدقة على المشركين

- ٢٢٦ ثالثاً: رأيه في ورق اليانصيب
- ٢٢٨ المطلب الثاني: جوانب فقهية من فقه المعاملات
- ٢٢٨ أولاً: الربا
- ٢٣١ ثانياً: بخس الأشياء
- ٢٣٢ ثالثاً: لبس الجواهر واللآلئ
- ٢٣٥ المطلب الثالث: جوانب فقهية من فقه الأحوال الشخصية
- ٢٣٥ أولاً: تزويج المرأة نفسها
- ٢٣٧ ثانياً: شهادة غير المسلم
- ٢٣٩ ثالثاً: تحديد النسل:
- ٢٤٠ ١. معنى التحديد والتنظيم
- ٢٤١ ٢. حكم التحديد في الإسلام يختلف عن حكم التنظيم
- ٢٤١ أ. حكم التحديد
- ٢٤١ ب. حكم التنظيم
- ٢٤٢ ٣. تشبيه تنظيم الأسرة بالوَأد

الفصل السادس

- (٢٤٥-٢٦٩)
- ٢٤٦ المبحث الأول: موقفه من الحكم
- ٢٤٧ أولاً: أصول الحكم في الإسلام
- ٢٤٧ ١. الشورى
- ٢٤٩ ٢. الأمانة والعدل
- ٢٥٠ ٣. طاعة الحكام
- ٢٥٠ ثانياً: صفات الحاكم
- ٢٥١ ثالثاً: السياسة الشرعية
- ٢٥٣ رابعاً: تولية غير المسلم للمناصب السياسية
- ٢٥٤ خامساً: العلاقات الدولية
- ٢٥٤ ١. المواثيق والعهود

٢٥٥	ب. السلم
٢٥٧	ج. المعاملة بالمثل
٢٥٩	المبحث الثاني: موقفه من القوانين الوضعية
٢٦٣	المبحث الثالث: رأيه في الجهاد
٢٦٤	أ. وجوب الجهاد
٢٦٥	ب. ضروب الجهاد
٢٦٦	ج. إعداد الجند
٢٦٨	د. الفرار من المعركة

الفصل السابع

التفسير الإصلاحي الاجتماعي

(٢٩٣-٢٧٠)

عند الإمام أبي زهرة

٢٧١	المبحث الأول: التفسير الإصلاحي
٢٧١	تعريف التفسير الإصلاحي
٢٧٢	أولاً: دعوته لإصلاح الفرد:
٢٧٢	١. طهارة النفس
٢٧٣	٢. اجتناب سوء الظن
٢٧٤	٣. الإعراض عن اللغو
٢٧٥	ثانياً: دعوته لإصلاح الأسرة:
٢٧٥	١. الحث على الزواج والإنجاب
٢٧٧	٢. الإحسان إلى الوالدين
٢٧٨	ثالثاً: دعوته لإصلاح المجتمع
٢٧٨	١. تخلص المجتمع من الفساد وأهله
٢٧٩	٢. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة
٢٨٠	٣. ضرورة التزام النظام وحفظ الأمن
٢٨١	٤. الحذر والحيطه من الإشاعات
٢٨٥	المبحث الثاني: التفسير الاجتماعي

٢٨٥	أولاً: بيان الأضرار المترتبة على كتم الشهادة
٢٨٦	ثانياً: بيان الأضرار الاجتماعية للخمر
٢٨٨	ثالثاً: أدوات الهدم في المجتمع
٢٨٩	رابعاً: الاستئذان
٢٩٢	المبحث الثالث: موقفه من دعاة الإصلاح الديني
٢٩٤	الخاتمة: نتائج البحث وتوصياته
٢٩٤	أولاً: ما للمفسر
٢٩٦	ثانياً: ما يؤخذ على المفسر
٢٩٦	التوصيات
٢٩٨	فهارس البحث :
٢٩٩	فهرس الآيات القرآنية
٣١٢	فهرس الأحاديث النبوية
٣١٤	فهرس الأعلام المترجم لهم
٣١٨	فهرس المراجع والمصادر
٣٣٤	فهرس الموضوعات
٣٤٦	ملخص الرسالة باللغة العربية
٣٤٧	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ملخص البحث

تعد هذه الدراسة في مجال مناهج المفسرين، وهي تتناول منهج الإمام أبي زهرة في تفسيره (زهرة التفاسير) وهو علم من أعلام الفقه المعدودين، اشتهر بين الأوساط العلمية بالفقه، وجاءت هذه الدراسة لتظهر دوره كمفسر، وضم تفسيره التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير اللغوي والبياني، كما ضم العديد من القضايا الاجتماعية والإصلاحية، والعلمية، والعقائدية، والسياسية، والتربوية، والفقهية .

تميز تفسيره بطابع المعاصرة، واهتم بالجوانب الاجتماعية اهتماماً بالغاً، وهذا التفسير تحت الطبع الآن، وقد فسر منه عشرين جزءاً أي حتى سورة النمل الآية الخامسة والسبعين، وتوفي -رحمه الله- أثناء تفسيره لهذه السورة عام ١٩٧٤ م .

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز هذا التفسير وبيان أهميته بين التفاسير الحديثة، كما تهدف إلى إبراز معالم شخصية الإمام أبي زهرة التفسيرية، وبيان ماله وما عليه، ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذا البحث :

أنه تميز بطابع المعاصرة، واهتمامه بمشاكل العصر ومحاولة حلها بالرجوع إلى الإسلام، وينتمي تفسيره إلى مدرسة التفسير الإصلاحي الاجتماعي، ويتميز بخاصيته النظامية في ترتيب المعلومات، وإبراز السياق والنظم القرآني وبيان وجوه البلاغة، واهتم بعلم القرآن المختلفة .

وكان -رحمه الله- أشعري العقيدة، ولم ينتم إلى مذهب فقهي معين، لأنه يرى أن جميع المذاهب يجب الأخذ بها لأنها تراث المسلمين، وتركها تضييع لهذا التراث.

وكان موضوعياً في حكمه على كثير من القضايا، وكذلك معتدلاً في عرضه لكثير من المسائل .

ويؤخذ عليه: قلة توثيقه للمراجع التي نقل عنها سواء كان من كتب التفسير أو غيره، وكذلك عدم تخريجه للأحاديث النبوية، واعتماده أحياناً على أحاديث ضعيفة .

وله رأي مخالف للجمهور في موضوع النسخ فهو يرفض القول بأن في القرآن منسوخ، وهو بذلك يرفض نسخ القرآن للقرآن ونسخ السنة للقرآن، وفي هذا البحث رد مفصل على قول الإمام وأدلتته .

Abstract

This study belongs to the methodology of Interpretation and it discussed the methodology of EL- Mam Abu Zahra in his Interpretation which is called "Zahrat EL- Tafaseir" EL Mam Zahra is one of the most famous men in the comprehend (fekh) in the modern age. He is very well – known in the scientific environments as Jurisprudents . but the importance of this study was to come into view his methodology as commentator, and to explain his interpretation character finally to discuss the advantages & disadvantages to his interpretation. It's memorable that "Zahrat EL- Tafaseir" hasn't published up till now. In addition to this interpretation began with EL- Fateha and ended by the 75th of sourat EL- Namel which is located in the twentieth part of the holy Quran, because Abu Zahra has gone on (1974) before finishing his interpretation
 EL- Mam Abu – Zahra was very interested in the contemporary Issues especially the reformational restoration, so his interpretation belongs to this school.

The results of this study were:

- El – Mam Abu Zahra was interested in the contemporary issues especially the reformational social affairs, so he tried to find the solution to these affairs by coming back to what does the Islam say.
- He was skillful on the way who was followed to arrange the information who has got to stand out the verses of Quran and to explain the faces of its eloquence, in addition to his concern to interpret the different branches of this field.
- El – Mam Abu Zahra was Asharian and he never has any school of religious law , his reason for that he believed that Muslims should take from all these schools because it's the Muslims' Heritage . and this heritage will be lost if we haven't taken our knowledge of him.
- He dealt with the most comprehensive issues objectivity ,so his Judgements almost were mediocrity.

On the other hand, he was rarely written the recitation of the resources which his information was taken by Morevere his Judgements sometimes depended on doubtful tradition (Hadith)

Finally; El – Mam Abu Zahra disagreed the majority about the repeal, because he refused to say that some Quran was repealed, Although he didn't deny the repeal completely, but he refused to say that some Quran was repealed by Quran or by Sunna. His opinion about the repeal was discussed in this study